يَانِيس رِيتسُوس

سُوناتّا ضَوء القَمَر

مختارات شعريّة شاملة

ترجمة وتقديم : رفعت سلام

ترجمة

خطوط

22

يانيس ريتسُـوس

سُـوناتًا ضَوء القمَـر

(مختارات شعرية شاملة)

الجزء الثاني

خطوط وظلال

للنشـــر والتـوزيـع

الأردن، عمّان، جبل الحسين، بناية (٢٠)

تلفون: 5746218 79 962+ - 4651846 6 962+

email: dar5otot@gmail.com

ص.ب: 11190، عمّـان 925220 الأردن

سوناتا ضوء القمر - يانيس ريتسوس

شعر - ترجمة رفعت سلام - طبعة جديدة، ٢٠٢١

جميع الحقوق محفوظة ©

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي:

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the Publisher

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٢٨٠٢/ ٨/ ٢٠٢٠)

٨٨١

ريتسوس، يانيس

سوناتا ضوء القمر / يانيس ريتسوس؛ ترجمة: رفعت محمد عوض

.ـ عمان: خطوط وظلال للنشر والتوزيع ٢٠٢٠

(٥٥٠) صفحة

ر.إ.: (٢٨٠٢/ ٨/ ٢٠٢٠)

الواصفات: /الشعر اليوناني//الأدب اليوناني// الادب المترجم/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الرقم المعياري الدولي: ISBN: 978-9923-40-014-2

يَانِيس رِيتسُـوس

سُوناتَّـا ضَوء القَمَر

مختارات شعريَّـة شاملة

الجزء الثاني

مصَــائر

(1977)

"فَحَتَّى تَهشِيمُ القَصِيدَةِ قَد يُوَلِّدُ قَصِيدَة"

(ريتسوس، تلميحات، 1970)

[1]

خَيطٌ مُلَوَّن
عَلَى الأَرضِيَّـة
وَإِبرَةُ الحيَاكَة
مَرشُوقَةٌ فِي الحَائِط –
فَاتَ الأَوَانُ عَلَيك .

[2]

جَبَلٌ أَزرَق
نَهرٌ أَحمَر
العُصفُورُ عَلَى الغَيمَة
كُلُّ الأَكَاذِيبِ قِيلَت لَنَا
كُل الأَكَاذِيبِ نَقُولُهَا .

[3]

فِي البَدءِ البَيضَة

وَفِي النِّهَايَة الطَّائِر
فِيمَا بَعد الأُغنِيَة
طِبَـاقٌ
بِلَا انتِهَـاء .

[4]

امرَأَةٌ حَامِـل
فِي النَّافِذَة
تَحتَ النَّافِذَة
البَحـر
بِلَيمُونٍ مُتنَاثِـر
مَعَ الضَّحَايَا الغَرقَى .

[5]

تَحتَ المِصبَاح
أَشعَلَ سِيجَارَة
لَم يَكُن الكَبرِيتُ مَرئِيًّا
فَتَحَوَّلَ شَعرُ التِّمثَال
إِلَى الأَزرَق .

[6]

لَا تَستَغرِق وَقتًا طَوِيلًا
فِي المبوَلَـة
فَالآخَرُون يَنتَظِرُون
عِندَ الوُرُود .

[7]

رَحَلَت السَّفِينَة
ظَلَّت الصُّفَّارَة
فِي الغُرفَةِ طوَالَ اللَّيل
عَلَى الملَاءَاتِ البَيضَاء
عَارِيَةً تَمَامًا
بَعدَ مُمارَسَةِ الجِنس .

[8]

أَحجَارٌ وَكلِمَـات
كَلمَاتٌ وَأَحجَـار
أَحجَـار.

[9]

الشَّجَرَةُ تَمشِي

[9]

وَهيَ تَعرُج
بِسَبَبِ الأَورَاقِ التِي سَقَطَت
بِسَبَبِ الطُّيُور التِي رَحَلَت
بِسَبَبِ الحَبل
بِدُونِ الحصَان .

[10]

سَاعَةُ الكَنِيسَة
المنَازِلُ المطلِيَّةُ بِالأَبيَض
أَورَاقُ شَجَرٍ كَثِيرَةٌ كَثِيرَة
بِلَا حَصر
حَتَّى دَاخِلَ مَا يَستَعصِي عَلَى التَّفسِير
وَعَلَى المقعَدِ فِي الحَدِيقَة .

❖

طِيــن

(1978)

[1]

ظِل – هُو نَفسُه –
قَبلَ المجدِ وَبَعدَه .
رَمَينَا بِالعكَاكِيز
في البَحر .
سَيَعثُر عَلَيهَا شَخصٌ مَا
وَيَستَخرجُهَا
وَيُقَلِّدُنَـا .
وَسَوفَ تَنطِقُ بِالحَقِيقَة .

أثينا- 15 يناير 1978

[2]

وَلَا شَيء فِيمَا بَعد .
الرَّجُلُ العَجُوز
يَدفَع عَرَبَتَه اليَدَوِيَّة
المليئَةَ بِاللَّيمُون

عَلَى امتِدَادِ طَرِيقِ سَاحِلِ البَحر .
يَعرِف
تكرَارَاتِ الشَّجرَة
وَحِكَايَتَك
وَحِكَايَتِي .
فَيَنظُر إِلَى الأرض .

أثينا- 15 يناير 1978

[3]

جُذُوعٌ سَوداء
أَشجَارٌ مَبلُولَة
ضَبَاب .
بَنَادِقُ الصَّيَّادِين
تُهَشِّمُ الصُّخُور .
دَرَّاجَة نَارِيَّة .
كَم سَيَدُومُ هَذَا الطَّقس .
بَعِيدًا ، يُمكِن أَن يَبِين
تَمَامًا
عَمُودٌ أَحمَر .

أثينا- 15 يناير 1978 .

[4]

أسوأ شَيء :
إنَّهُم يَمُوتُون
حَتَّى الـ
قَصَـائِد –
الصَّوتُ الأخِير الذِي يَرِن
فِي جُمجُمَتِي السَّوداء .

16 يناير 1978

[5]

يَدٌ شَاحِبَة
تَشُد المسمَار
تَهوِي المرآة
يَهوِي الجِدَار .
يَصِل السَّائِحُون
وَتُلتَقَطُ الصُّور الفُوتُوغرَافِيَّة .

أثينا- 16 يناير 1978

[6]

أحذِيَةُ الموتَى
مِن كُلِّ المقَاسَات

جَرَّبتَهَا كُلَّهَا –
وَكُلُّهَا بِسِعرٍ جَيِّدٍ جِدًّا .

أثينا- 16 يناير 1978

[7]

الشَّيءُ الوَحِيدُ القَيِّـم
لَم يُقَـل .
رَمَينَا
بِالأَطبَاق وَالمسَدَّسَات
وَالأَحذِيَةِ وَالعُملَات فِي المَاء –
غَاصُوا إِلَى القَاع .
وَتَوَهَّـج القَاع .

أثينا- 16 يناير 1978

[8]

تَذَكَّـر
حِين أُسدِلَت السِّتَارَة
لِتَتَحَرَّك فِي النِّهَايَة
إِلَى المنتَصَف
فَتُغَطِّي بِظَهرِك الصَّحِيفَة وَالشَّجَرَة
وَالمَيِّت .

[9]

طِيـن
دَائِمًا مَزِيدٌ مِن الطِّين .
أَينَ يُمكِن لِلنَّهر أَن يَنسَاب
بِعِبئِه الطِّينِي
مُجَرجِرًا مَعَه
تَوبِيخَ الآخَرِين
حَتَّى قَوَارِبِكُم المَطَاطِيَّة .

أثينا- 16 يناير 1978

[10]

لِقَاءٌ جَسَدِي
فِي الأسفَلِ بِالأعمَاق
عَلَى صُخُورٍ صَامِتَة
فِي ظَلاَمِ مَاءٍ
سِرِّي
حَيثُ تَتَشَابَك
ثَعَابِينَ الماء
وَتَتَكَاثَر .

أثينا- 17 يناير، 1978

[11]

غَيرُ مَعقُول- قَال-
غَيرُ مَعقُول-
وَهَوَى عَلَى رُكبَتَيه .
هَطَل المطَر .
وَالدَّرَّاجَتَان تُرِكَتَا
بِلَا تَفسِيرٍ
تَحتَ الأشجَار .

أثينا- 17 يناير 1978

[12]

هَذَا وَذَاك
تَكَرَّرَا .
خَاصَّةً إِذَا مَا انتَشَرَت الأَكَاذِيب .
حَتَّى الموت يَبلَى .
فِي الغُرفَةِ المجَاوِرَة
تُدَبدِبُ الأقدَامُ إِيقَاع
مُوسِيقَى
لَا يُمكِنُ سَمَاعُهَا .

أثينا- 17 يناير 1978

[18]

[13]

مُكتَشِفًا ، غَيرَ مُكتَشِف ،
بَاحِثًا عَن سَبَبٍ مَا
لِوُجُودِه هُنَا
يَدعَكُ أسنَانَه بِالفُرشَاة
يُمشِّطُ شَعرَه
يَفتَح النَّافِذَة .
فَقَط لِيُسِيءَ استِخدَام
كَلِمَاتِه
وَمَلَابِسِه .

أثينا- 17 يناير 1978

[14]

تَدخُل وَتَهبِط
إِلَى الظَّـــلَام
ثُم تَسمَع سَعلَة .
هِي لَا شَيء- يَقُول .
وَبِالقُرب ، ثَمَّه خُطَى
تَبدَأ فِي أَن تُصبِحَ مَسمُوعة
تَبدَأ فِي الخرُوج .

أثينا- 17 يناير 1978

[15]

نَسَيتُ أن أذكُر
القَمَـر –
كَانَ أبيَض
فَوقَ الحَصَى
بِجوَارِ الشَّاكُوشِ الصَّغِير
بِجوَار قِشرِ اللَّوز
المَهَشَّـم .
أنتَ
مَن هَشَّمتَ اللَّوز
بِأسنَانِك .

أثينا- 17 يناير 1978

[16]

بَهجَةُ الإثم
إثمٌ وَإنكَار – ذَلَكَ مَا قَالَه .
هَوَت الأَورَاقُ
عَلَى الأَرضِيَّـة .
رُبَّمَا فِي الغَد ،
خَارِجَ القَصِيدَة ،
سَأُدرِكُ بِشَكلٍ أفضَل .

جيريكو Gericault في الرسم إنما هو فرنسا عشية الإحياء Restoration[*]؛ وهو ما يورد إلى الذهن أيضًا تفسير برودون Proudon للوحة كوربيه "العودة من المعرض (Return from the Fair) *Retour de foire*"، التي يرى فيها تاريخ المجتمع كله في ظل حُكم لوي-فيليب. ولهذا، فليس مقصورًا على الوقت الراهن أن يبحث هؤلاء الشغوفون بالسياسة عن علاقة أعمق بين ما يعجبون به ومعتقداتهم، بنجاح متفاوت غالبًا.

فلتُبَرر، بَرِّر... مَن يجرؤ على قول إن مثل هذا التوجه لا ينبع من شعور جدير بالثناء؟ وسأضيف أن هذا النمط من التفسير أحيانًا ما يساعد بالفعل العمل الفني، سواء كان لوحة، أو قصيدة، أو حوض غسيل؛ فلابد أن ندرك أنه يؤدي دوره بفضل القصد الفعال للمُنظِّر لبناء جسر بين العمل الفني وأولئك الذين تنتابهم الحيرة إزاءه. ولهذا السبب بالتحديد، في الغالب، فمثل هذه التفسيرات ذات قيمةٍ ما، بل أحيانًا ما تنتشر. وعلينا أن نراها كصور شعرية، لكن دون أن نأخذ تأويلاتها، مع ذلك، بجدية بالغة؛ ففي النهاية، *كان مستحيلًا* - بالنسبة لميشليه- *ألا* يدرك فرنسا في الـ"طوف"، وصورته هي صورة شاعر، وأنا أحيي ذلك الشاعر الكامن فيه. لكن أن نأخذ التفسير بجدية، أن نصدق أن رسم جيريكو إنما يصور فرنسا في ظل "الإحياء"، فهو ما سيكون حماقة. فعلى هذا النحو، فإننا سنخضع مع ذلك من جديد لما يُدعَى، عن حق، النزعة الاجتماعية المبتذلة.

---

[*] لوحة للفنان الفرنسي الروماني تيودور جيريكو Gericault (1791- 1824). وقد أصبحت اللوحة أيقونة الرومانتيكية. وهي تصور اللحظة التالية لتحطم الفرقاطة الفرنسية "ميدوزا"، ولجوء نحو 150 من بحارتها إلى طوف للنجاة، دون أن ينجو منهم إلا حوالي 15 شخصًا، بعد 13 يومًا من تحطم التخبط في البحر..

[19]

فِي الميدَان ، تَرَكُوا
سَلَّـة .
لَم تَفتَحهَا .
رُبَّمَا بُرتُقَال
وَرُبَّمَا ثَعَابِين .
الحَارِسُ اللَّيلِي
وَجَّه كَشَّافَه
إِلَى وَجهِك .

أثينا- 17 يناير 1978

[20]

اليَدُ التِي حَرَّكتُهَا
لِتَستَقِر عَلَى كَتِفِك
أعَدتُهَا مِن جَدِيد .
وَثَمَّة كُوبُ مَاءٍ
مَتروكٌ عَلَى عَتَبَةِ النَّافِذَة
فَوقَ التَّمَاثِيل
وَبَائِعِي الجرَائِد .

أثينا- 18 يناير 1978

[22]

[21]

سَوفَ تَلتَقِطُ القَلِيلَ
مِن لَون بُستَانِ الزَّيتُون
وَالحصَان عَلَى التَّل .
وَمَاذَا بَعد ؟
البُولدُوزَرَات تَحرُثُ الحقُول
وَالقَنَوَاتُ تَنسَاب
فِي شَهر يَنَاير
وَالجَانِب الآخَر
بِلَا دَكَاكِيـن .

أثينا- 18 يناير 1978

[22]

يَجلِسُ عَلَى الجِسر
يَتَفَرَّجُ عَلَى المَاء
(مَاذَا سَيَفعَل ؟)
وَهو يُصَفِّر .
مُشعِلُو الحرَائِق
اختَبَأُوا فِي الكَنِيسَة .

أثينا- 18 يناير 1978

[23]

[23]

مِن جَدِيد
عَارٍ، تَمَامًا .
وَيَدَاه –
العَارِيَتَانِ الآن –
بِبَسَاطَةٍ تَهزَآن
بِسَاعَةِ يَدِه .

أثينا- 18 يناير 1978

[24]

أَخَذَ كُرسِيًّا
إِلَى الحدِيقَةِ بِالخَارِج
وَرَاقَبَ الظِّل،
رَكَّلَ حَجَرًا .
غَالِبًا .
فِي الآوِنَةِ الأَخِيرَة
تَكرَهُنِي الكَلِمَات .

أثينا- 18 يناير 1978

[25]

الرُّخَام

الذِي يُشَكِّلُ التِّمثَال
وَمَا لَيسَ
بِالتِّمثَال
وَذَلِكَ الذِي يَبقَى
مَخفِيًّا فِي الجِبَالِ العَصِيَّة
نَصَحُونِي بِألَّا أكشِفَ عَنه .
فَقَط
لَم يَقُولُوا لِي كَيف .

أثينا- 18 يناير 1978

[26]

قِطَعٌ مِن قُطن
لَا مِن أَجلِ الجُرح –
حِين يَحِل المسَاء
رَائِعًـا-
مِن أَجلِ الفَم ،
مِن أَجلِ الأُذنَين ،
مِن أَجلِ العَينَين .

أثينا- 18 يناير 1978

[27]

غُرَفٌ خَاوِيَـة
أَسِرَّةٌ عَارِيَـة
المِكنَسَةُ فِي الرُّكن
وَالقَفَصُ الفَارِغ .
وَهَذِه المرآة
قَاتِمَةٌ ، شَرِهَـة
لَا تَزَالُ مُصِرَّةً
عَلَى أَن تَنظُرَ فِيهَا .

أثينا- 18 يناير 1978

[28]

الشِّـعر – قَال –
صِدقٌ نَادِم
مُعتَرِفٌ صَامِت .
لَا – قَالَ الآخَر –
بِصُورَةٍ عَادِيَّةٍ مُفَاجِئَة
وَقَضمَ أَحَد الأَركَان
بِقَلَّامَةِ أَظَافِر .
بِالتَّالِي ، فَالشِّـعر
لَيسَ مُرَبَّعًا مُكتَمِلًا .

[29]

بِلُطفٍ ، بِهُدُوء ،
يَرحَل ،
يَترُكُ مَكَانَه –
مَكَانٌ يَخُص
تِمثَالَه
بِشَفَتَين مَزمُومَتَين
بِذِرَاعَين مَفتُوحَتَين .

أثينا- 19 يناير 1978

[30]

فِي مَوقِعِ المَبنَى
سُمِّرَت الأَلوَاحُ عَالِيًا .
غَنَّى شَخصٌ مَا :
الأَرضَ وَالمَاء ،
المَاءَ وَالأَرض .
كُلُّ شَيءٍ جَاهِز
لِمَا سَيَأتِي ، أَيًّا مَا كَان .

أثينا- 19 يناير 1978

[31]

أخفَيتُه جيِّدًا –
وَالدَّلِيلُ الوَحِيد
جَبَـلٌ
وَالحَطَّـــاب .

أثينا- 19 يناير 1978

[32]

مَهَام كَثِيرَةٌ تَقصِمُ الظَّهر
ضَلَّ طَرِيقَه إِلَيهَا
تَمَامًا .
رُبَّمَا سَأَلُوا عَنه –
ثُم رَاحُوا يَبحَثُون
عَنه .
أخلَى الظَّلَامُ مَكَانَه لِلفَجر .
سرعَانَ مَا سَيَهطِلُ المَطَر .
لَا أَحَدَ يَبحَث عَنه .

أثينا- 19 يناير 1978

[33]

خَلَع

قِنَاعَه الجَمِيـل
وَوَضَعَه
عَلَى السَّرِير .
بَدَا وَجهُه الغَامِضُ تَمَامًا
دَمويًّـا .
آنَئِذٍ رُمِي النَّـرد .

أثينا- 20 يناير 1978

[35]

فَرَدَ عَلَى الطَّرِيق
لُفَافَةً ضَخمَـة
لِرِدَاءٍ أَحمَر اللَّـون .
سَارَ شَخصٌ عَابِر
بِامتِدَادِ حَافَّتِه
لَكِنَّه لَم يَدُس عَلَيه .
كَانَ الطَّرِيقُ مَهجُورًا .
فِي اليَومِ التَّالِي
سَارَت الشَّاحِنَات فَوقَه .
لَم يَعُد ثَمَّة رِدَاء .
وَالطَّرِيقُ كَانَ أَحمَر .

أثينا- 20 يناير 1978

[36]

أَصِيلٌ أَصفَر
صُـدَاع
مَنَازِلُ خَاوِيَة
المِيَاه تَنسَابُ فِي الصَّالَة .
أَينَ السَّـبَّاك ؟
أَين القَصِيـدَة ؟

أثينا- 20 يناير 1978

[37]

معدَنٌ عَلَى مَعدَن
مِطرَقَةٌ عَلَى السِّندَان
عَجَلَةٌ عَلَى سِكَّةٍ حَدِيد .
وَبَينَهَا كُلُّ قَرقَعَـة
طَائِـر
لَم يُصرَع بَعد
قَادِمًا مِن الجِهَةِ الأُخرَى .

أثينا- 20 يناير 1978

❖

[30]

أوتَــارٌ منفَــردَة

(1980-1979)

بِإصبَعِكَ الصَّغِير تُحَرِّكُ عَالَمًا .

❖

أَيُّهَا القَمَرُ الشَّهوَانِي ، لَا تَتَرَاجَع عَمَّا سَبَق أَن قُلت .

❖

فَلنَدَع الموتَى يَنَامُون أَخِيرًا لِيُمكِنَنَا نَحنُ أَيضًا أَن نَنَام .

❖

أَخِيرًا يَبدَأُ التَّفتِيشُ الذَّاتِي لِلجَثَامِين .

❖

مَع عُصفُورٍ بَدَلًا مِن وِسَادَة ، أَسهَرُ لَيَالِيَ بِكَامِلِهَا .

❖

الكَلِمَاتُ التِي تَبقَى خَارِجَ القَصِيدَة تَخَاف .

❖

لَو أَنَّ الضَّوءَ يُزعِجُك ، فَذَلِكَ خَطأُك .

❖

لِوَقتٍ طَوِيلٍ ، السَّيفُ ؛ وَلِوَقتٍ طَوِيلٍ ، الشَّفَقَة .

❖

الملَاءَاتُ فِي حَالَةِ فَوضَى وَالأَنوَارُ مُضَاءَة . فِي المنزِل ، لَا أَحَد .

❖

لَدَى رُؤيَتِك ، استَبَدَّ بِي الغَضَب عَلَى القَصَائِد .

❖

الكَلِمَةُ تَجَدَّدَت بِالتِّكرَار .

❖

المَعَانِي فِيمَا وَرَاءَ المَعَانِي ، وَوَرَقَةُ شَجَر .

❖

صَرَخَ عَالِيًا حَتَّى لَا نَظُن أَنَّه قَتِيلٌ مُنذُ سَنَوَات .

❖

هَذِه الشَّجَرَةُ ، ظَنَنتُهَا رَجُلًا . لَم أَكُن مُخطِئًا .

❖

يَصعَدُ عَالِيًا كَي يَلمَسَ الأَرض .

❖

القَاربُ الذِي يُشَكِّلُ جُزءًا مِنَ الغَسَق ، أَنَا مَن جَاءَ لِلبَحثِ عَنه .

❖

مِقعَدِي وَأَنَا ،- نُنصِتُ جَيِّدًا .

❖

مَعَك ، حَقًّا (وَلَيسَ فِي العُزلَة) أَكُونُ وَحِيدًا .

❖

الشَّمس ؛ قَهوَة ؛ دَرَّاجَة ؛ زُجَاجُ نَافِذَةٍ مَكسُور .

❖

كَانُوا يُغَنُّون بِشَكلٍ أَفضَل وَهُم يُغمِضُون أَعيُنَهُم .

❖

سِيجَارَة . وَالقَمَرُ عَلَى الصَّدر .

❖

الأُسطَورَة هِيَ قِنَاعٌ جَيِّدٌ للأَزمَانِ الصَّعبَة .

❖

خَطَايَاهُم ، وَضَعُوهَا عَلَى ظُهُور آخَرِين ، وَأَصبَحُوا هُم قِدِّيسِين .

❖

إِذَن هُو أَنَا مَن أَحَبَّ التَّمَاثِيل .

❖

البَحرُ الذِي استَولَى عَلَيَّ وَاستَولَيتُ عَلَيه .

❖

يَدٌ مِن رُخَامٍ مَقطُوعَةٌ تَستَبقِيكَ وَحِيدًا فِي مُعجِزَةٍ كَامِلَة .

❖

مَعَ الصُّدَاع ، المَطَرُ وَالأَبوَابُ المُغلَقَة .

❖

حَتَّى أَعمَاقِ الهَاوِيَة ، العِرفَان .

❖

رُبَّمَا كَانَ الصَّمتُ وَحدَه مَا يَقُولُ الحَقِيقَةَ كُلَّهَا .

❖

لَا تُهَشِّم زُجَاجَ النَّافِذَةِ بِقَبضَتِك .

❖

مِثلَمَا تُمَرِّرُ الكَلِمَةُ بِصُعُوبَةِ الدَّمَ فِي القَصِيدَة .

❖

فَلتَنَم الكَلِمَاتُ فِي النِّهَايَةِ لِنَستَطِيعَ النَّومَ نَحنُ أَيضًا .

❖

ثُم يَبدَأُ التَّنَصُّتُ عَلَى أَجسَادِ الغَائِبِين .

❖

النَّدَمُ عَلَى أَنَّكَ لَم تَتَخَل عَن شَيء .

❖

أَصفَر ، أَصفَرُ ، أَصفَر – يَصِيحُ طَائِرُ الجَنُوب .

❖

فِي العَصِي عَلَى التَّفسِير – كَانَ يَقُول – يَكمُن تَفسِيرِي .

❖

أَيَّتُهَا اليُونَانِيَّة . لَا مُتَعَرِّيَة . عَارِيَة .

❖

هُنَاكَ حَيثُ يَرفَعُونَ الصَّمتَ أَعلَى الصَّارِي .

❖

هَكَذَا مَرَّت الأَعوَام – ذِئَابٌ ، وَكَلِمَاتٌ ، وَأَقمَار .

❖

غَيرُ الملمُوس ، أَمنَحُه كُلَّ شَيء . لَا أَحَد يَأخُذُه .

❖

الأَلوَانُ تُظلِم . هَل تَفتَقِرُ إِلَى الأَحمَر ؟ تَوَقَّف .

❖

حَتَّى المنزِل سَيَّارَة ، بِحِصَانَين نَحِيلَين لِلغَايَة . مَا إِن تَدخُل حَتَّى تَنطَلِقُ بِك.

❖

المسَافَةُ بَينَ الأَشيَاءِ لَا تَكُفُّ عَن التَّزَايُد وَالتَّلَاحُم فِيمَا بَينَهَا .

❖

أَيُّهَا المَلهَى ، يَا خَطِيبَ البَحر ، بِأَي تَجدِيفٍ مَلعُونٍ تُرَاقِصُنَا .

❖

مَا سَتَقُولُه مِن بَعد ، سَتَقُولُه لَكَ الكَلِمَات .

❖

هَل تَدرِي ؟ حَالًا ، سَيُصبِحُ ذَلِكَ أَبَدًا .

❖

حَتَّى البُكَاء رُجُولِي ، حَقًّا . لَا التَّبَاكِي .

❖

هَكَذَا ، فَمَا لَا وُجُودَ لَه مَوجُود .

❖

إِنَّهَا بِالضَّبطِ هَذِه الانقِطَاعَات هِي مَا يُؤَكِّد البَقِيَّة .

❖

مَدَّ حَبلَ مِشنَقَتِه وَرَقَصَ عَلَيهَا مَعَ مِظَلَّةٍ صَفرَاء .

❖

صَوتُ طُبُول ، أَصوَاتٌ بَعِيدَةٌ ، دُخَان . وَالتَّمَاثِيلُ فِي أَروِقَةِ المُستَشفَيَات .

❖

جَبَلٌ وَاحِد ، وَتُفَّاحَتَان ، وَثَلَاثَةُ جُنُود .

❖

لَقَد دَخَلتُ الحِصَانَ الخَشَبِيَّ بِسَيفٍ وَمِرآة .

❖

رَجمُوه بِالأَحجَارِ حَتَّى الموت . وَبِالأَحجَار أَقَمتُ هَذَا النُّصُبَ التذكَارِي.

❖

عَلَى التَّـل نَجمَةٌ. والمرأَةُ المخنُـوقَة .

❖

هَل رَأيتَ صُرَّةَ السَّجِينِ مُطلَقِ السَّرَاح عَلَى مِقعَدِ الحدِيقَة ؟

❖

يَومُ أَحَدٍ طَوِيل مَعَ أَشجَار السَّرو ، وَالطُّيُورِ ، وَجِرَارِ المَاء .

❖

إِنَّه يَتَنَفَّسُ بِعِشقٍ فِي أُذُن الوَردَة .

❖

لَقَد تَرَكُوا أَحذِيَتَهُم هُنَا ، وَمَلَابِسُهُم مَا تَزَالُ دَافِئَةً ، لِيَذهَبُوا لِلاستِحمَامِ فِي النَّهر .

❖

قَريَةٌ صَغِيرَةٌ حَزِينَةٌ بِكُرسِيَّين فِي الشَّارِع .

❖

كُلَّمَا كَانَت التَّحدِيقَةُ أَعمَق ، كَانَ الفَمُ مَزمُومَ الشَّفَتَين أَكثَر .

❖

مُحَادَثَةٌ صَامِتَةٌ لحَارِس الفَنَارِ مَعَ السُّفُنِ التِي يُحطِّمُهَا .

❖

أَنتَ ، أَيُّهَا الرَّجُل ذُو السَّاقِ المقَوَّسَةِ ، يَا عَرِيسَ المحِيط – فَلتَتَخَيَّل عَذَابَ رَقصَةِ زِفَافِك .

❖

يُمسِكُ بِوَرَقَةِ غَارٍ بَينَ أَسنَانِه بِقُوَّة . فَكَيفَ سَيُغَنِّي ؟

❖

وَهَل عَلَيَّ أَن أُفشِي أسرَارَ القَمَر إِلَى الجَرِيحَ ؟

❖

كَانَ ذَاتَ يَومٍ وَسِيمًا ، أَنِيقًا ، مَمشُوقًا – فَكَبُرَ بَدِينًا بِفِعلِ الإِطرَاء .

❖

كَيفَ يَحدُثُ أَن يَحكُمَ الموتَى حَيَوَاتِنَا ؟

❖

مُتعَةُ العُزلَة بَعدِ سَدَادِ الدُّيُون .

❖

فَمٌ جَمِيل ، شَوَّهَه صَوتُ الأعمَاق .

❖

هَبَطَ مِن أَعلَى جَبَل . وَحِيد .

❖

كُنتَ تَنظُر إِلَى السَّمَاءِ اللَّانهَائِيَّةِ مِن خِلَالِ ثُقبِ مفتَاحِ نَجمَة .

❖

خَلَعَ ثِيَابَه كُلَّهَا كَأَنَّه مَدهُوشٌ مِن مَادِيَّةِ الأَشيَاء .

❖

هَذَا الوجُودُ خَاوٍ ، يَملأُ الخَوَاءَ بِخَوَاء ، فَيُمكِن لِلكَلِمَاتِ أَن تُدرِك .

❖

الأَلوَان ، لَيسَت مُنفَرِدَة . فَكُلٌّ مِنهَا لَه عِلَاقَةٌ بِالبَاقِي .

❖

لَا تَخَف . فَحَيثُمَا يَذهَبُوا إِلَى المصَب ، فَثَمَّةَ نَهرٌ وَحَدِيقَة .

❖

بَتَلَةُ يَاسمِينَة ، فِي كُوبِ مَاء ، بَعِيدًا حَيثُ تَأخُذُنِي[*] .

❖

فُندُقُ لِلطَّبقَةِ العَامِلَة . شَمعَةٌ عَلَى حَوضِ الغَسِيل . وَصَرخَاتٌ مَكتُومَةٌ فِي اللَّيل .

❖

العمَلُ يُعَلِّمُكَ مَا يَنبَغِي عَلَيك ، وَالمهَارَات التِي سَتحتَاجُهَا .

❖

مَا تُرِيدُ اقتِرَاحَه ، سَتُخبِرُكَ بِه الكَلِمَات .

❖

عَلَى أَيَّةِ حَال ، فَالكَلِمَاتُ تَنبَثِقُ مِن الأَفعَال .

---

[*] الضمير محايد you، يصلح للمخاطب المذكّر (تأخذني) والمؤنّث (تأخذينَني). وهي مشكلة لغوية دائمة لدى ترجمة الكثير من القصائد، وأحيَانًا ما لا يحلها السياق، لتبقى ملتبسة.

❖

تَجمَعُ اللآلِئ . لَا تُخبِرُكَ بِشَيء . ارمِهَا مِن جَدِيد . فَسَوفَ تَتَحَدَّثُ إِلَيك .

❖

هِي الحيَاةُ قَبلَ كُلِّ شَيء ، لَا الفِكر ، مَا يَمنَحُكَ الحَقَّ فِي الكَلَام .

❖

إِن لَم أَكُن قَادِرًا عَلَى جَعلِكَ تَرَى ذَلِكَ أَيضًا ، فَسَيَبدُو كَأَنِّي لستُ مُمتَلِكًا لَه .

❖

فَلِكَي يُصدِرَ الوَتَرُ وَالجَسَدُ صَوتًا ، لَا تَرتَدِ قُفَّازَات .

❖

قُل لِي مَرَّةً أُخرَى ، يَا صَدِيقِي – هَكَذَا تَبدَأ مِن جَدِيد .

❖

أَتَمَنَّى لَكَ صَبَاحًا طَيِّبًا وَأَعنِي ذَلِك .

❖

عَلَى السِّتَارَةِ دَاكِنَةِ الحُمرَةِ الظِّلُّ الهَائِلُ لِلحصَان .

❖

هَل نَجَحتَ فِي قَولِ شُكرًا ؟ بَعدَهَا لَا شَيء آخَر .

❖

وَحِيدِين تَمَامًا معَ إنهَاكِهِم ، وَهُم يَتَسَلَّقُونَ المنحَدَرَ نَفسَه .

❖

إِنَّه لَيسَ اتِّجَاهًا وَحِيدًا ، الطَّرِيقُ إِلَى المستَقبَل .

❖

لِتَعثُرَ عَلَى الماضِي ، فَلتَقطَع مِشوَارًا طَوِيلًا إِلَى الأَمَام .

❖

أَلَكَ علَاقَةٌ طَيِّبَةٌ بِمِرآتِك ؟ إِذَن، فَبِالعَالَم ، أَيضًا .

❖

أجرَاسُ يَومِ الأَحَد لِلأَطفَالِ وَالعَجَائِز .

❖

فِي الغَسَق ، يَمنَعُكَ أَلَقُ الأَلوَانِ مِن رُؤيَةِ النِّهَايَة .

❖

بِلَا حُب . العَالَم بِكْر .

❖

فِي الأَغلَال : وَيَعزِفُ عَلَى الكمَانِ بِجَمَالٍ بَالِغ .

❖

فِيمَا بَعد سَتَرَى مَا رَأَيتَ .

❖

مَخفِيَّةٌ تَحتَ الحصَاةِ البَيضَاء ، الحصَاةُ الحمرَاء .

❖

المرأةُ الحَامِلُ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الكَنِيسَةِ تَخترِقُ بُستَانَ الزَّيتُون .

❖

جَبَلٌ ، وَمُحِيطٌ ، وَفَتَاةٌ عَارِيَةٌ عَلَى الجَانِبِ الآخَرِ مِن زَهرَةِ عَبَّادِ الشَّمس .

❖

لِتَعرِفَ إِنسَانًا مَا ، سَتَكُون بِحَاجَةٍ لأَن تَنحَتَ تِمثَالَه .

❖

بِعَينَيهَا الزَّرقَاوَين تَمنَحُ اللَّونَ لِلعَالَم .

❖

كُلَّ لَحظَةٍ شَجَرَةٌ ، وَطَائِر ، وَمدخَنَةٌ ، وَامرَأَة .

❖

يَتَحَدَّثُ عَن الفُقَرَاء . تُصبِحُ يَدَاه نَهرًا .

❖

سَيَكُونُ عَلَيكَ أَن تَثقُبَ عَدَدًا مِن الثُّقُوب فِي قَصَبَة قَبلَ أَن تَصلُحَ لِعَزفِ أُغنِيَة .

❖

يُخبِرُنَا الصَّلِيبُ أن مُتَسَلِّقِين آخَرِين قَد وَصَلُوا إِلَى هَذَا البُعد .

❖

فِي المرآةِ أَرَى المستَحِمِّين وَنَفسِي .

❖

جَبَلٌ ، بُرجُ جَرَس ، سَرو ، مُسَافِرُون .

❖

آه ، صَيفٌ مِن أعنَابٍ نَاضِجَة ، خَارِجَ الدَّير .

❖

أَيُّهَا العجُوزُ ، يَا صَدِيقِي ، كَم بِفتُوَّةٍ تُؤَرجِحُ عَصَاكَ عَلَى الحصَى .

❖

جَامِعُو الكُرُوم والأَحصِنَةُ فِي المحِيط .
مَرحَى ، يَأتِي النِّدَاءُ مِن الشُّرفَات .

❖

أَعُودُ إِلَى تِلكَ الأَمَاكِنِ عَارِيًا .

❖

فِي الحَقلِ وَجَدتُ بَقَرَةَ يِسِينِين[*] تَرقُبُ غَيمَةً صَغِيرَة .

❖

سَيِّدَتُنَا تَرتَدِي الأَسوَد ، فِي الأُذرَةِ الذَّهَبِيَّة .

❖

رِيَاحُ الصَّيفِ تَقرَعُ عَرَبَاتِ الكَارُّو عَلَى الجِسر .

❖

لَيلَةٌ مُتعَة . قَصَائِدُ مَهجُورَة .

❖

أنزَلُوا الأَعلَام . عَادُوا إِلَى بيُوتِهِم . يُحصُون نُقُودَهُم .

❖

[*] يِسِينِين (سيرجي) Yesenin: أحد كبار الشعراء الروس في القرن العشرين (1895-1925)، ومات منتحرًا. وقصيدة "البقرة" من أهم قصائده.

هَذَا العُصفُور ، كَيفَ سَيُعَلِّمُ السَّمَكَةَ أُغنِيَتَه ؟

❖

إِنَّنِي أَمحُو تَمَامًا الظِّلَّ بِهَذَا القَلَمِ الذَّهَبِي .

❖

كَم يَنتَحِلُ هَوِيَّةَ نَفسِه بِصُورَةٍ جيِّدَة ، كَشَخصٍ آخَر .

❖

الظَّلاَمُ يَكمُن دَائِمًا فِيمَا وَرَاءَ صَفحَاتِي . ذَلِكَ سَبَبُ إِشرَاقِ حرُوفِي بِكُل هَذَا الألَق .

❖

لَم أَفهَم قَط كَيفَ وَصَلتُ إِلَى هُنَا . سَيرًا عَلَى الأَقدَامِ طوَالَ الطَّرِيق .

❖

الهِلب ، المطَرَّزُ عَلَى كُمِّك ، انشَبَكَ بِقَلبِك .

❖

فِي شَيخُوخَتِك ، مَا تَزَالُ الطِّفلَ الذِي كُنتَه .

❖

مَنزِلِي القَدِيم بِه تِسعَةُ شَبَابِيك . كُلُّهَا مُشرَعَةٌ عَلَى العَالَم .

❖

المرَاكِبِيُّ الوسِيمُ يَضَعُ وَردَةً فِي مريَلَةِ بُولِيدُورَا[*] .

❖

أَيَّتُهَا الشَّمسُ الغَارِبَة ، وُرُودُكِ الذَّهَبِيَّةُ طَبَعَت نَفسَهَا عَلَى صَفحَاتِي .

❖

كُلُّ الكَلِمَاتِ لَا تَكفِي لِقَولِ أَيِّ شَيء .

❖

الشَّبَابُ نَفسُه : صَدرُ الفَتَاةِ مَبلُولٌ مِن المحِيط .

❖

[*] بوليدورَا Polydora: هناك نحو خمس شخصيات، في الأساطير اليونانية، بهذا الاسم.

مَاءُ بِئرٍ عَمِيقَة ، يُروِي ظَمَأَ التَّمَاثِيل .

❖

الشَّمسُ مَا تَزَالُ لَم تَغرُب ، لَكِنَّهُم أَضَاءُوا أَضوَاءَ المرفَأ .

❖

الشِّعر . حِرفَةُ مُتعَةٍ ضَائِعَة ، كَمَا يَقُولُ إِيلِيتِس[*] .

❖

فِي أَيدِي الشُّبَّان الأعلَامُ تُغَنِّي .

❖

أَختَرِعُ خُطُوطًا لأطرُدَ الشَّرَّ الذِي قَهَرَ بَلَدِي .

❖

يُونَانِيٌّ ، أَقُول ، عَارٍ مَع سَلَّةِ أعنَاب .

---

[*] إيليتِس: هو الشاعر اليوناني الشهير أوديسيوس إيليتِس Odysseas Elytis، الفائز بجائزة نوبل (1979).

❖

جِبَالٌ رُجُولِيَّةٌ كَثِيفَةُ الشَّعر مَع كَنِيسَةٍ صَغِيرَةٍ بَيضَاء رَهِيفَة .

❖

أَرِيثُوزَا ، مُمسِكَة بِالقِيثَارَةِ فِي حِجرِهَا الكرِيتِي[*] .

❖

البَعضُ هُنَا بِالأَحصِنَة ، وَالآخَرُون بِالقِطَارَاتِ وَالشَّمسِيَّات .

❖

جَسَدٌ عَارٍ – تَحِيَّةٌ إِلَى العَالَم أَجمَع .

❖

سَتَكُونُ عَلَى مَا يُرَامُ مَع الحُلم ؛ فَهو لَا يَطلُبُ بُرهَانًا .

❖

[*] أريثوزا Arethusa: حورية، ابنة "نيريوس" التي جعلتها "حورية بحر"، في الأساطير اليونانية. هربت من بيتها في أركاديا تحت البحر، وصعدت كينبوع ماء عذب في جزيرة أورتيجيا، في سيراكيوز.

سَائِرٌ فِي النَّومِ شَاحِب ، يَرتَدِي أُقحُوَانًا أَحمَر .

❖

الجَسَدُ الحَقِيقِي ، أَبعَدُ مَنَالًا مِن ظِلِّه .

❖

خَارِجَ المنزِلِ الموصَدِ ، الرِّيَاحُ الأَربَع ، وَدُخَـانٌ ، وَكَرَاسِي .

❖

مِن أَجلِ لَحظَةِ أَمَلٍ وَاحِدَة ، رَهَنُوا مُستَقبَلَنَا كُلَّه .

❖

ذُرَةٌ حُلوَةٌ ، أَعنَابٌ ، قِردٌ ، وَالسَّمَاء .

❖

مِن أجلِ كُلِّ شَيءٍ فَعَلتَ ، وَلَم تَفعَل : هُو النَّدَمُ نَفسُه .

❖

كَثِيرًا لِلغَايَةِ مَا تُظَلِّلُ وَرَقَةُ شَجَرٍ شَفَّافَةٌ المدِينَةَ بِأَكمَلِهَا بِصُورَةٍ فَاتِنَة مِن

أَجلِي .

❖

لَكِن مَا الذِي تَتَطَلَّعُ إِلَيه ، فِي النِّهَايَةِ ، وَأَنتَ تَغرِقُ فِي الكَلِمَات ؟

❖

هُنَاك ، حَيثُ صُلِبَ الوَقوَاقُ وَالعَندَلِيبُ ، يَتِم صَلبِي .

❖

رُخَامٌ مُهَشَّم ، يُرَمَّم بِالإِسمَنتِ وَالجِبس .

❖

أقفَلتُ كُتُبِي . فَدَخَلَ التُّلُّ غُرفَتِي .

❖

أَيُّهَا الرَّاقِصُ الجَمِيل ، لَا تَنطِق بِكَلِمَة ؛ ارقُص .

❖

إِنَّهَا تُمطِر ، وأَفتَحُ مِظَلَّتِي حَتَّى يَبقَى تِمثَالِي جَافًّا .

❖

الحدِيقَةُ بِفُستُقِهَا ، كرِيس ، وَقَصَائِدي وَالبيَانُو ، ونيُوبِي[*] .

❖

عَالِيًا فَوقَ الجَبَل أَصِيحُ بِاسمِي . إِنَّه حَقًّا شَهِير .

❖

كَمَا تَعرِف ، فَخِلَالَ لَحظَةٍ فَسَيَكُون الأَمرُ قَد انتَهَى .

❖

سَقَطَت نَجمَةٌ فِي الشُّجَيرَاتِ الشَّوكِيَّة . أَبحَثُ عَنهَا . لَا أَجِدُهَا .

❖

قَمَرُ أَغُسطُس ، مُفعَمًا بِالطَّحَالِبِ البَحرِيَّة .

❖

[*] كريس Chryse: هناك نحو خمس شخصيات نسائية، في الأساطير اليونانية، تحمل هذا الاسم، من بينها أفرودايت؛ نيُوبي Niobe: ابنة الملك تنتالوس، وزوجة أمفيون ملك طيبة. هي نموذج الأم المفجوعة، التي تنوح على فقدان أطفالها، في الإلياذة.

السُّلَالَةُ اليُونَانِيَّةُ لِلتَّـل . مَعبَدُه المفقُودُ يَطفُو فِي الأَثِير .

❖

أَيَّتُهَا السَّفِينَةُ بِلَا ربَّان ، إِلَى أَينَ تَأخُذِينَنِي حِين يَحلُّ الغُرُوب ؟

❖

حَشَرَاتُ اللَّيل تَهَاوَت فِي شَعرِ النِّسَاء وَالأَصوَاتُ فِي الأَروِقَة .

❖

وَرَاءَ هَذِه الغَطرَسَة ، جُرحٌ عَظِيم .

❖

صَيَحَاتٌ مِن حَقلِ الكُرُوم : الحقُولُ تَفِيضُ بِعَصِير العِنَب .

❖

الأسمَاكُ لَا تَتَحَدَّثُ إِلَّا فِي الأَعمَاق السَّحِيقَة .

❖

صُفَّارَاتُ السُّفُنِ الغَرِيقَةِ اجتَاحَت هَذِه المنَازِل .

❖

أيُّ اكتِشَافٍ مُدهِشٍ يَصِيحُ بِهِ السَّـمَّاكُ ، صَبَاح الثُّلَاثَاءِ هَذَا ، مِن الحَدِيقَة ؟

❖

أنتَ بِحَاجَةٍ إِلَى تَكبِيرِ مِرآتِك – فَهيَ لَا تُنَاسِبُك : إِنَّهَا تَقطَع رَأسَكَ وَقَدَمَيك .

❖

أَحَدَ عَشرَ شَقِيقًا وَشَقِيقَةٌ وَاحِدَة . المنزِلُ خَاوٍ ؛ غَرِيقٌ ، هَذَا المركب .

❖

فِي الظَّلَام أَحيَانًا مَا تَهمِسُ المرَايَا بِأَهَم الحقَائِق .

❖

تَفتَحُ النَّافِذَة . أَلَم أَقُل لَك ؟ ذَلِكَ مَا يَستَحِق العَنَاء .

❖

فَجـر . أَنَا وَالخفِير علَى الجِسرِ الطَّوِيل .

❖

وَحِينَ تَجِيء يَكُونُ كَأَنَّكَ تَهرُب . لَكِنِّي رُبَّمَا أَكُونُ قَد رَحَلْت .

❖

يَستَعِيرُ الأَلوَانَ مِن الغرُوبِ لِيُزَيِّنَ جَسَدَه .

❖

فِي اللَّيل ، يَدخُلُ المحِيطُ وَسُفُنُه غُرفَتِي .

❖

كَم تُرَفرِفُ جُزُرُ الغُيُومِ دَاكِنَةُ الزُّرقَةِ فَوقَ المسَاءِ الذَّهَبِي .

❖

مَلَابِسُك ، المرمِيَّةُ عَلَى الكُرسِي ، مَا تَزَالُ تَفُوحُ بِرَائِحَةِ المحِيط .

❖

هَل يَتَكَلَّمُ جُرحُك ؟ إنَّه يَنطِقُ بِالحَقِيقَة .

❖

لَكِن وِسَامًا آخَرَ عَلَى صَدرِك : لَكِن تَجعِيدَةً أُخرَى عَلَى جَبِينِك .

❖

كُلَّمَا جَرَحتَهُم أَكثَر ، تَبَاعَدُوا أَكثَر . إنَّهُم يَهرُبُون .

❖

مَا الذِي تَتَكَلَّم عَنه ؟ السَّمَاء . حَتَّى لَو لَم يَكُن هُنَاكَ أَيُّ شَيء .

❖

أَصبَحَ الرَّجُلُ أَجَشَّ مِن الصَّمت .

❖

مَسَاء . لِهَذَا تُثَرثِرُ الخَادِمَةُ فِي مَبنَى الجَمَارِك مَعَ نَجمَة .

❖

اليَدُ القَوِيَّة تُمسِكُ بِوَردَة .

❖

كَم يُمَشِّطُ عَامِلُ المنجَمِ شَعرَه المبلُولَ بِأَنَاقَة .

❖

هِيَ السَّاعَةُ التِي يَعُودُ فِيهَا جَامِعُو الكُرُومِ إِلَى البَيت وَيُشعِلُون الأَضوَاء .

❖

هَل تَستَخدِمُ نَفسَ الإِيمَاءَةِ لِتُقَشِّرَ خَرشُوفَةً وَنَجمَة ؟

❖

أَدخُل مَعبَدًا مِن رُخَامٍ وَقتَمَا أَنطِقُ بِاسمِك ، يَا وَطَنِي .

❖

قَمَرٌ حَمِيمٌ بِكَارلُوفاسِي أَعلَى نَقِيقِ الضَّفَادِع المذهُولَةِ بِالحُب .

❖

يَركُلُ الأَرضَ ، يَسحَبُ المَاءَ ، يُقَدِّمُ مَشرُوبًا إِلَى الموتَى وَإِلَى أَحصِنَتِه .

❖

الفَانُوسُ فِي الثُّكنَات حَيثُ الجُنُودُ المتعَبُون نَائِمُون .

❖

مَنَازِلُ مُوصَدَة . بِالخَارِج ، القَمَرُ ، وَخَفِيرٌ يَبُولُ وَسطَ الأَعمِدَة .

❖

كَم هُو بَعِيد . وَكَانَ ذَلِكَ بِالأَمس . بَل لَا يَكَادُ فِي أَيِّ وَقتٍ كَان .

❖

أَيَّةُ كَلِمَاتٍ وَكَم مِن الكَلِمَاتِ تَكفِي لِنُطقِ صَمتِي ، لِيُمكِنَهَا فِي النِّهَايَةِ أَن تَهوِي صَامِتَة ؟

❖

لَيسَ لِلشِّعرِ دَائِمًا الكَلِمَةُ الأُولَى . لَه دَائِمًا الكَلِمَةُ الأَخِيرَة .

❖

لَو ظَلَلتَ مُستَيقِظًا ، سَتَعُودُ إِلَيكَ الأَشيَاءُ المفقُودَةُ مُضَاعَفَة . لَكِنهَا هِيَ فَحَسب .

❖

الخُطَى الطَّوِيلَةُ لِلأعلَام ، عَالِيًا ، فَوقَ أَكتَافِ الشُّبَّان .

❖

أَحبَبتُ قَولَ شَيءٍ مَا يُونَانِي ، وَأَن أَهرُبَ مِن أَجلِه .

❖

مَلَابِسُ القَاتِل كَانَ يَرتَدِيهَا الخَرُوف . وَكَانَ يَثغُو إِلَى النُّجُوم .

❖

أَنتَ يَا مَن تَعرِفُ مَا يَختَبِئُ وَسطَ التَّمَاثِيلِ وَالكَلِمَات ، سَوفَ تَكُونُ شَاهِدًا ذَاتَ يَوم .

❖

مُتَسَلِّقِين سَقَّالَةً خَطِرَة ، نُنَظِّفُ وَاجِهَاتِ مَعَابِدِنَا .

❖

قَمَرٌ بُرُولِيتَارِيٌّ هَائِل فَوقَ المَدِينَةِ النَّائِمَة .

❖

مُدرِكًا لأهَمِّيَّتِه ، دَائِمًا مَا يَتَكَلَّم بِرِقَّة .

❖

فِي المكَانِ الذِي يَهوِي فِيه صَمتٌ حَرِج ، أَضَعُ شَمعدَانًا أَو كُوبَ مَاء .

❖

الكَلبُ الضَّخمُ يَأتِي فِي الغَسَق إِلَى غُرَفِ الأَطفَالِ الخَاوِيَة وَيَنتَحِب .

❖

ارتَدَينَا قِنَاعًا ذَهَبِيًّا لِنُقَابِلَ الحمَاقَة .

❖

بِالتَّحدِيد كَيفَ سَتضمَنُ هَذِه الأَيَّامُ المجَّانِيَّةُ أَن تَتَوَاصَل .

❖

أَخَذُوا مِنه أَشيَاءً مَا ، وَأَعطُوه أَشيَاءً . الآنَ يُصبِحُ غَنِيًّا بِالفُقدَان .

❖

عَلَى الأَرضِيَّةِ الرُّخَامِ أُنشُوطَةُ لِجَامِ الحِصَان .

❖

تَضَاعَفَ المعجَبُون . اختَفَى الأَصدِقَاء . لَم يَبقَ أَحَد .

❖

يَقُومُ بِتمشِيَاتٍ دَاخِلَ رَأسِه . يَطَأُ الغيُومَ بِقَدَمَيه . صَفِّقُوا لَه .

❖

جَسَدٌ خَاضِع – هُو تَوَاضُع قِلَّةِ الخِبرَة .

❖

أَن تَتَحَدَّثَ دَائِمًا عَن الأَخطَاء يُشبِه أَن تَكُونَ مُخطِئًا .

❖

رَغبَةٌ نَهمَةٌ لِلرُّؤيَة ، مَخبَأه .

❖

كَم يَنهَارُ الزَّمَنُ بِهُدُوءٍ فِي قَصِيدَة .

❖

الأَشيَاءُ التِي نَادَته ، نَادَاهَا بِالمقَابِل ، عَلَى سَبِيلِ المجَامَلَة .

❖

فِيمَا بَعد ، بِاسمِ أُودِيب ، طَلَبتُ عَينَين زَرقَاوَين زُجَاجِيَّتَين .

❖

عَالِيًا فِي بُرجِ الجَرَس ، أُدَخِّن سِيجَارَةً بِجِوَارِ نَجمَةِ المسَاء .

❖

بِبُطءٍ ، وَضَعَ المسَاءُ جَارُوفَ بَنَّائِه عَلَى صَفحَاتِي .

❖

التِّمثَالُ مَقطُوعُ الرَّأس قَد يَكُونُ فِي انتِظَارِ رَأسِي .

❖

أَيَّتُهَا القَصِيدَة ، لَا تَهجُرِي جَسَدِي إِلَى الذِّئَاب .

❖

هُو بِجِوَارِ النَّافِذَة . هُو فِي المرآة . فَرَاغ . وَالمصبَاح .

❖

أَنَا فِي الانتِظَارِ لِمدَّةِ سَاعَة . وَالمرَاكِبِيُّ انطَلَقَ إِلَى البَحر .

❖

أَدنَى هِبَاتِ النَّومِ تَقوِّيكَ فِي النَّهَار .

❖

تَحتَ الكَلمَاتِ هُنَاكَ دَائِمًا رَجُلٌ عَارٍ ، يَتَظَاهَرُ بِالنَّومِ لِيُمكِن لَنَا أَن نَرَاه .

❖

خَارِجَ الأَفكَار ، يَا مَدِينَتِي ، بَعدَ مُنتَصَفِ اللَّيل أُؤَدِّي دَورَ شُرطِيِّ مرُور .

❖

غُرُوب نَارِي ، يُشعِلُ لَهِيبًا قُرمُزِيًّا فِي نَوَافِذِ أُورِيست[*].

❖

السَّفِينَةُ تَرحَل . وَأَنَا ، أَبقَى مَعَ مِصبَاحِ الشَّارِع .

❖

نشَارَةُ الخَشَب التِي سَقَطت مِن شَعرِك ، وَجَدتُهَا فِي قَصِيدَتِي اليَوم .

❖

تَحتَ الصَّفحَةِ السَّاكِنَة ، ثَمَّة رِيحٌ عَظِيمَةٌ تَدفَعُ بِالسُّفُن إِلَى الصُّخُور .

❖

نَافِخُو الأَبوَاقِ هَبَطُوا مِن مِيسِينَاي بِلَا كَلمَة .

❖

ضَوءٌ سِرِّي تَضَاعَفَ فِي شَظَايَا المرآة .

---

[*] أوريست Orestes: هو ابن كليتمنسترا وأجاممنون، في الأساطير اليونانية. وهو رمز للجنون والطهارة.

❖

التكرَار : تَأكِيدٌ لِمعنًى مَجهُول .

❖

إنَه يَخطُبُ فِي السُّوق ، وَسطَ الموَازِين ، وَعصِيِّ المكَانِس ، وَمنَاضِدِ الجزَّارِين.

❖

رَحَلُوا . العُزلَة . السَّمَاءُ الزَّرقَاءُ تَلتَقِطُ نَفسًا عَمِيقًا .

❖

كَسَّرُوا الطُّبُول وَأَخفُوهَا فِي مخطُوطَاتِهِم .

❖

مَدِينَةٌ مَيِّتَة . أَتَى المبعُوثُـون . تَمَاثِيل مُهَشَّمَة .

❖

لِكُلِّ وَاحِدٍ حِكَايَةٌ صَغِيرَة . فَلتُلقِ عَلَيهَا مَزِيدًا مِن الكِلس .

❖

الكَنِيسَةُ الصَّغِيرَةُ البَيضَاءُ عَلَى الجَبَل مَا تَزَال تَحمِلُ سِرَّك ، يَا بَلَدِي .

❖

مُستَحِمُّون ، قَاربٌ ، صَيفٌ ، جَسَدٌ ، وَالجِيتَارُ مَسنُودٌ إِلَى شَجَرَة .

❖

أُمسِيَةٌ فَقِيرَة . فِي الأسفَلِ عِندَ المحِيط هَدِيرُ المحَرِّكَات .

❖

جُنُودٌ ، أحذِيَةٌ ، لَعنَاتٌ ، يَا أُمَّنَا ، فَلتُرتِّلي صَلاَةً مَا .

❖

جُزُر الصَّيفِ بِلَا مَكتَبَات . مَنَاشِفُ مَبلُولَةٌ عَلَى الحَبْل .

❖

مَسَاءٌ مُتأخِّر ، أصوَاتُ بَعِيدَةٌ لأَطفَال ، وَنِسَاء ، وَأعوَامٍ ضَائِعَة .

❖

القَمَرُ الجَدِيدُ انبَثَقَ أعلَى قَصَائِدِي .

❖

لَم تَعُد لَدَيَّ أَسرَار . لَقَد أَضَاءُوا المَصَابِيحَ فِي الأسفَلِ عِندَ المرفَأ .

❖

مَا الذِي سَتَفعَلُه بِشَأنِ الأَوزِّ البَرِّي وَالفَنَادِقِ الموصَدَة ؟

❖

نَحَتُّ حَجَرًا بِعنَايَة ؛ وَألقَيتُه وَرَاءَ البَاب .

❖

جَاءَت المرأةُ العَجُوزُ مِن "مِيلِي" بِسَلَّةِ طَمَاطِم . لِهَذَا يُمكِنُهَا أَن تَدخُلَ قَصِيدَتِي .

❖

يَا لَهَا مِن ألحَانٍ فَاتِنَةٍ عَزَفَهَا لَنَا العَجُوزُ المفعَمُ بِالحَيَوِيَّةِ عَلَى وَتَرٍ وَاحِد .

❖

فِي ذَلِكَ الحِين ، استَولَت حَدِيقَةٌ خَرِبَةٌ عَلَى المدِينَةِ كُلِّهَا .

❖

صَلَوَاتُ صَبَاحٍ شَاحِب . جَثَامِينُ علَى الأَرصِفَة . صُخُورٌ سَودَاء . تَارِيخ .

❖

صُوَرٌ شَخصِيَّةٌ ، مَصَابِيح ، ذِكرَيَاتٌ ، قِطَار ، أَحلَام ، وَالكَلِمَاتُ قَبلَ الكُل .

❖

"بِيترُوس" حَافِي القَدَمَين ، "ألكسِيس" يَرتَدِي الصَّندَل ، وَأَنتَ فِي حِذَاءٍ مِن قُمَاش .

❖

مَا يَزَالُ يُحِب الأَشيَاءَ الجَمِيلَة . وَخُبثُه يَبِين حِين يَتَكَلَّم .

❖

لَا مَسئُولِيَّة مَغمُورَةٌ بِالشَّمس . يَوم الأَحَد . سَلَالِم رُخَامِيَّةٌ تَهبِطُ إِلَى الحَدِيقَة .

❖

يَا لَهَا مِن سُمرَةٍ أَخَذنَاهَا فِي العُطلَة ، مِن الشَّمسِ وَفُقدَانِ الذَّاكِرَة .

❖

كَائِنَاتٌ لَيلِيَّةٌ هَادِئَة ، تَتَشَمَّم الزُّهُورَ ، تَتَمَشَّى سَاهِرَةً عَلَى الجُدرَان .

❖

بِقِطعَةِ طَبَاشِير رَسَمتُ عَلَى السُّبُّورَةِ الحَاجِبَ الذَّهَبِيَّ لِلقَمَر .

❖

صَوتُ الطُّبُول ، أَصوَاتٌ بَعِيدَةٌ ، دُخَان . وَتَمَاثِيلُ فِي مَمَرَّاتِ المستَشفَى .

❖

فِي هَذِه الشَّفَافِيَةِ اللَّانِهَائِيَّةِ تَتَأَرجَحُ كَمَّاشَةٌ مِن حَدِيد .

❖

حُرُوفٌ متَحَرِّكَةٌ ، حُرُوفٌ سَاكِنَةٌ ، تَنطِق ، تَتَوَافَق ، تَهوِي صَامِتَةً فِي حيَادِيَّةٍ عَمِيقَة .

❖

وبَعدَ أَن خَلَعُوا كِمَامَتَه كَيفَ يُمكِنُه أَن يَتَكَلَّم ؟

❖

أَنتِ ، يَا اليُونَان ، تَصلُبِين خُبزِي وَصَفحَاتِي .

❖

هَكَذَا سَتَعرِف – هَذِهِ النَّغمَاتُ عَلَى وَتَرٍ مُنفَرِد هِي مَفَاتِيحِي . خُذهَا .

كارلوفاسي ، ساموس: 1 أغسطس إلى 1 سبتمبر 1979.

❖

ظِـلَال الطُّيُـور

(1980)

[1]

كَانَ سنُونُو يَتمَشَّى
عَلَى السَّقفِ المسَطَّح
وإحدَى رِجلَيه نَظِيفَة
وَالأخرَى مُلوَّثَة بِالطِّين –
يَا لَهذَا العَالَم الجمِيل – قَال –
بِأَحَدِ أشيَائِه وَبِالآخَـر.

أثينا- 5 مايو 1980

[2]

بَائِعَةُ زُهُورٍ صَغِيرة –
كَانَت تَعرِفُ القَلِيلَ عَن كَيف تُشعِل جَيِّدًا اللَّانِهَائِي
مِن أجلِنَا نَحنُ الاثنَين .

أثينا – 5 مايو 1980

[3]

حَقِيبَةُ ظَهر
مُعَلَّقَةٌ فِي شَجَرَة
فَتَّشتُ فِيهَا
مَا مِن خُبزٍ وَلَا رِيش
وَإِذ عَلَّقَهَا الصَّيَّاد عَلَى ظَهرِه
لَم يَكتَشِف طَائِرًا
كَانَ قَد حَطَّ عَلَى كَتِفِي
وَقَالَ لِي :
لَو صَفَقتَ بِجَنَاحَيك
فَسآخُذُك إِلَيه .

أثينا- 5 مايو 1980

[4]

سَمِعتُ أَرنَبًا
يَقضُمُ العُشب
وَعَينَاه تُضِيئَان
اللَّيـل -
حَيثُ اكتَشَفتُ
أَن لَدَيَّ صَدِيقًا .

أثينا – 5 مايو 1980

[5]

مَسَاء
فِي الغُرفَةِ الخَاوِيَة
حِذَاءُ العمَلِ يَقِفُ مُنتَصِبًا
وَالآخَر يَنحَنِي عَلَى أحَدِ الجَوَانِب –
إِلَى أَيِّ هَوًى يُشِيرَان ؟
أي مُستَقبَل ؟
الذِي يَقِفُ مُنتَصِبًا
وَالآخَرُ المنحَنِي .

أثينا – 6 مايو 1980

[6]

أطبَقَ عَلَى وَرَقَةِ شَجَرٍ
بِأسنَانِه
غَنَّى النَّهر
رَمَقته سِحلِيَّة
أرهَفتُ سَمعِي
لأنفَاسِ الأفُق
فَلَم أستَطِع قيَاسَهَا (تَقدِيرَهَا – تَقيِيمَهَا).

أثينا – 6 مايو 1980

[7]

عَامِلُ الأسمَنت وَالنَّجَّارُ وَالبنَّاء
يَعمَلُونَ فِي قَيظِ الشَّمس
وَالمنزِلُ يَعلُو –
شَكَّل تِمثَالَ الطَّائِر
مِن طِين –
لَم يَنقُر فِي العُشب
أَو يُحَلِّق بَعِيدًا
لَكِنَّه رَغمَ ذَلِكَ غَنَّى .

أثينا – 6 مايو 1980

[8]

رَأَيتُ ظِلَّ الطَّائِر
وَلَم أَرَ الطَّائِر
لأنَّه كَانَ بِدَاخِلِي –
رَ فِـ يـ – قَال
رَ فِـ يـ قِـ ـي – أكمَلت
تَكَلَّمَ مَعِي
أَنتَ وَأَنَـــا
شَبِيهَان .

[9]

سَأَلتَ المَاء
سَأَلتَ السُّلَحفَاة
كُنتَ تَعرِف
أَنَّهُمَا لَن يُجِيبَا
عَلَى سُؤَالِك
فَقَد كَانَا الإِجَابَة .

[10]

دلوٌ مِن مَاءٍ قَذِر
المرآةُ فِي المصعَد
مِظَلَّةٌ
تَقطُرُ دَمًا عَلَى الرُّخَام –
أسمَاكٌ كَثِيرَةٌ مَبقُورَة
عَن الكَلِمَاتِ التِي لَم تَنطِقهَا .

[11]

لَم تَكُن النِّسَاءُ عَن كَثَب .
قَطَفتُ وَردَةً ،

وَوَضَعتُهَا فِي سُترَتِي .
فِيمَا بَعد فِي المسَاء ،
عَادَت النِّسَاء .
نَطَقتُ بِاسمِكِ دَاخِلِي .
مَعِي الوَردَة .

[12]

أَرَدتُ أَن أَقُولَ لَك
إِنَّنِي نَسَيت
دَائِمًا مَا أَنسَى
ذَلِكَ الذِي أُرِيدُه .
عَلَى أَيَّةِ حَالٍ فَالمرآة
فِي مَحلِّ الحِلَاقَة عَبرَ الطَّرِيق
زَرقَاء
وَالدَّرَّاجُ
قَفَزَ عَلَى دَرَّاجَتِه وَمَضَى بَعِيدًا
بِهَذِه الزُّرقَة .

[13]

ظـــلَام .

إحدَى أغَانِي رِيمبِيتِيكَا[*] .
الجُندِي
يُشعِلُ سِيجَارَتَه .
وَالمرأةُ
عَادَت بِلَا صَوت .
أَشيَاءٌ يُمكِنُك الاعتِمَاد عَلَيهَا .
فَحَتَّى لَو غَيَّرتَهَا
فَلَن تَتَغَيَّر .

[14]

لَابُدَّ أَنَّهُم تَرَكُوا المنشَفَة
عَلَى الدَّرجَةِ العُليَا
عَن قَصد .
لَم أَطأهَا .
فَتَحتُ البَاب .
فَتَحتُ النَّافِذَة
المطِلَّةَ عَلَى السِّيركِ عَبرَ الطَّرِيق
لَعَل الأَسَدَ يَسمَعُنِي لَو صَفَّرت .

---

[*] هي الأغاني الشعبية المدينية باليونان، وخاصةً أغاني الفقراء، في خمسينيات القرن الماضي.

لِهَذَا سَأَكُونُ أَنِيقًا
بِسَاعَةٍ سَوْدَاء
فِي مِعصَمِي الأَيسَر.

[15]

فِي جَيبِه
نَهرٌ صَغِير
وَأَربَعَةُ أَورَاقِ شَجَرٍ خَضرَاء،
وَأَحمَرُ الشِّفَاهِ المسرُوق
الذِي لَوَّنَت بِه
فَتَاةٌ لأَوَّلِ مَرَّة
شَفَتَيه.

أثينا، 7 مايو 1980

[16]

الحَقلُ مُغَطًّى
بِتُفَّاحٍ أَصفَر صَغِير
يَتَعَفَّـن.
ظِلَالُ الطُّيُورِ تَمُر
فَوقَ التُّفَّـاح.

جَرَائِدُ قَدِيمَة
تَطفُو عَلَى النَّهر .
وَوَسَطَ البَط
وَفِي مُوَاجَهَةِ الجَبَل
فِي حُبٍّ –
سَأَصِل .

[17]

حَدَّقُوا فِي بَعضِهِم ،
نَظَرُوا إِلَيه .
المدِينَةُ شَاحِبَة
الحَلَّاقُون وَالبَقَّالُون
وَالجَزَّارُون
بَائِعُو الأَدَوَاتِ المكتَبِيَّة وَعُمَّالِ الطَّلَاء
وَرَاقِصَان
مِثلَ ثَلَّاجَةٍ كَهرَبَائِيَّةٍ ضَخمَة
بَيضَاء
كُلَّ لَيلَة .

[18]

مَضَيتَ بَعِيدًا .
وَاللَّيـل
فَاضَ عَلَى الأَحصِنَة
الحمرَاءِ وَالسَّودَاء
وَالبُنِّيَّـة
وَعَلَى ذَلِكَ الأَبيَض
نَاصِعِ البَيَاض .

[19]

القَمَـر
غَطَّى شَعرَك
بِأَورَاقِ شَجَرٍ ذَهَبِيَّة .
أَخَذتُهَا ،
وَوَضَعتُهَا خِفيَةً
تَحتَ وِسَادَتِي .
لَم أَذهَب إِلَى السَّرِير .
خَلَعتُ ظِلَّك .

[20]

مِن أَينَ أَتَت هَذِه الفَقَاقِيع ؟
لَقَد انبَثَقَت عَلَى أَنَامِلِك .
تَرَكَت أَشكَالَ حُرُوف
وَأَشكَالًا أُخرَى عَلَى أَورَاقِي
البَعض يُشبِه تِليفِزيُونًا صَغِيرًا
هَوَائِيًّـا
وَوَاحِدَةٌ تُشبِه تِمثَالًا فِي مُنتَزَه عَام
لِعَازِفِ بِيَانُو شَاب .

[21]

يَثنِي إِحدَى رُكبَتَيه .
يُشعِلُ خَمسَةَ أَعوَادِ ثِقَاب .
يُؤَدِّي بِنَا إِلَى الضَّلَال .
وَمَع أَنِّي
أَرتَدِي حِذَائِي
لَامِعًا تَمَامًا
إِلَّا أَنِّي أَتَرَاجَع خَشيَةَ
أَن يَلمَح انتِصَارَه .

[22]

بَارٌ لَيلِي ،
أَضوَاءٌ كَامِدَة ،
مَقَاعِدُ عَالِيَة ،
حَقِيبَةٌ وَرَقِيَّـة
بِهَا خُوخٌ بَنَفسَجِي ،
يَدٌ حَمرَاء
كَثِيفَةُ الشَّعر
عَلَى مُؤَخِّرَةِ رَقَبَتِي .
لِهَذَا بِالتَّحدِيد
أُنصِتُ بِعُمقٍ أَكبَر
إِلَى الموسِيقَى .

[23]

كُلوب كُلوب كُلوب
تَهوِي النُّجُوم .
الجِنرَالُ كُولُوكُوترُونِيس عَلَى حِصَانِه ،
كُولُوكُوترُونِيس فِي قَلعَةِ بَالَامِيدِي [٢] .

---

[٢] كُولُوكُوترُونِيس: جنرال يوناني، أحد أبطال حرب الاستقلال اليونانية ضد الامبراطورية العثمانية (1821-1829). وقد سُجن- لستة شهور- بإحدى زنازين قَلعَة بَالَامِيدِي: قلعة

تَدَحرَجَ حَجَرٌ إِلَى البَحر
وَصَنَعَ رَشَاشًا هَائِلًا .
يَنفَتِحُ البَاب ،
فَأدخُل
وَأَقِفُ أَمَام صُورَتِك
وَأَخلَعُ قَمِيصِي .

[24]

نِسيَانٌ مُتَبَادَل
هُو وَالموت .
بَعدَ المطَر
خَرَجَت المرأة
لِتَجمِع الحَلَزُون البَحرِي .
طَبَخَاه
لِعَشَائِهِمَا
عَلَى ضَوءِ السَّمَاء .
دَخَلَت غَيمَةٌ صَفرَاء .

يونانية، شرق البلوبينيز، التي تقع بالجنوب اليوناني. وقد بناها الفينيسيون (1714) خلال احتلالهم للمنطقة.

لَم أنطِق بِكَلِمَة .

أثينا – 8 مايو 1980

[25]

رُبَّمَا هُم صُمٌّ بُكمٌ – قُلنَا –
يَتَكَلَّمُون بِطَرِيقَةٍ أُخرَى ،
يَسمَعُون بِطَرِيقَةٍ أُخرَى .
مَثَـلًا
أَحيَانًا مَا تَحُط حَشَرَةٌ مَا
لَكِنَّهَا لَا تَطِير
مُتَوَهِّمَةً فِينَا
حَمِيمِيَّةً خَفِيَّة
أَو كَيفَ تَحتَرِق بِالمَطبَخ
قِطعَةُ خُبزٍ مُحَمَّصٍ مَنسِيَّة
لَكِنَّهَا تُسَوِّد المنزِلَ كُلَّه
بِرَائِحَتِهَا .

أثينا – 9 مايو 1980

[26]

بِرغمِ رَفضِكَ العَنِيد ،
فَمَا الذِي تَعتَبِرُه جَمِيلًا ؟

ثَلاثُ قِطَع مَلَابِس مُعَلَّقَةٌ عَلَى الأَسلَاك الشَّائِكَة ،
شِبشِبَان نِسوِيَّان
أَمَامَ بَابِ الحَمَّام
أَو هَذِه اليَد
مَرفُوعَةً إِلَى الجَبِين ،
بِصُورَةٍ عَفوِيَّة ،
بِصُورَةٍ قَهرِيَّـة .

[27]

فِي التَّاسِع مِن مَايُو القَتلَى
فِي التَّاسِع مِن مَايُو الأَعلَام
وَتَاسُوس تُوسِيس
لَدَى البَابِ الخَشَبِي
فِي وَسطِ الشَّارِع
وَالنَّائِحَـات
وَنَملَةٌ تَتَمَشَّى
عَبرَ جَبِينِه
النَّملَةُ الشَّارِدَةُ البَطِيئَة
التِي تُضِيفُ الشَّعرَ
إِلَى تَارِيخ

التَّاسِع مِن مَايُو.

[28]

جُزُرٌ صَغِيرَةٌ تَطفُو
خِلَالَ المسَاءِ الذَّهَبِي.
رُبَّمَا غُيُوم،
رُبَّمَا أَفكَار –
عَلَى إِحدَاهَا كُرسِي
عَلَى أُخرَى مَصبَاحُ زَيتِي
عَلَى ثَالِثَةٍ قَلَّامَةُ أَظَافِر
تَخُصُّ لَاعِبَ الأَكرُوبَاتِ الشَّاب
بِلَونِ النِّيكَل.
خَبَّأتُهَا فِي جَيبِي
وَنَظَرتُ بَعِيدًا إِلَى الجَبَل،
الجَبَل الفِضِّي،
الفِضِّي مِثلِي.

أثينا- 10 مايو- كالاموس، 10 مايو 1980

[29]

الوَقتُ يَمُر
الأَلوَانُ تَذوِي
سِربُ نَحلٍ الآن
يُشَوِّشُ وَجهَك
وَصَدرَك .
أَسمَعُ طَنِين النَّحل
ظِلَالَهُم
حِين يَختَرِقُون
اضطِرَادَ المُوسِيقَى .

[30]

انتَظَرنَـا –
غَالِبًا كَانَ قَد فَاتَ أَوَانُ أَن نَحلِقَ ذُقُونَنَا
لَكِنَّه ذَهَبَ إِلَى الحَمَّام
فَتِيًّا وَوَسِيمًا
بِشَعرٍ مَبلُول
أَشعَثَ شِبه مُمَشَّط فَحَسب
مُلتَمِعًا هُنَا وَهُنَاك
رُبَّمَا مِن وَمِيضِ المرآة

وَعَلَى الطَّرفِ الأَقصَى
مِن أُذنِه اليُسرَى
نِتفَةٌ بَيضَاء مِن رَغوَةِ صَابُون
فَضَحَت نَفَادَ صَبرِنَا
وَجَرِيرَتَه .

كالاموس – 11 مايو 1980

[31]

تعَرَّى الشُّبَّان
بَقَوا لِلَحظَةٍ فِي الشَّمس
ثُم اندَفَعُوا إِلَى البَحر .
كَانَ النَّهَارُ حَرِيقًا .
لَم يَعُد بِه أَشجَار
وَلَا أَعمِدَةُ تِلِيفُونَات .
عَلَى الصَّخرَةِ الوَحِيدَة
نَظَّارَةُ شَمسٍ سَوداء
لَم يَرتَدِهَا أَحَد .

[32]

كَبُر الأَولَاد .

أَصبَحَت مَلَابِسُهُم بِالِغَةُ الضِّيق .
تَفَتُّح أَجسَادِهِم
بَان —
فِي لِقَاءَاتِ المصَادَفَة
فِي اللَّيـل
فِي الشَّوَارِعِ المضَاءَة
بَعدَ أَن تَمَنَّوا لَنَا مَسَاءً سَعِيدًا ،
تَصَرَّفُوا كَأَنَّمَا ارتَكَبُوا إِثمًا مَا
أَو كَأَنَّنَا أَثِمنَا تِجَاهَ أَنفُسِنَا ،
نَاظِرِين بِرُؤُوسٍ مُنحَنِيَة
فِي أَحذِيَتِهِم البُنِّيَّـة .

[33]

كَانَ الآنَ يَعرِف
أَنَّ الآخَرَ لَم يَكُن عَلَيه
أَن يَنتَظِر وَحِيدًا حُلُولَ اللَّيل .
أَمَامَ التَّمَاثِيلِ الثَّلَاثَة ،
رَمَى بِسُترَتِه عَلَى وَاحِدٍ
وَبَنطَلُونَه عَلَى آخَر ،

وَحِذَاءَه عَلَى الثَّالِث .
وَعَارِيًا تَظَاهَرَ بِأَنَّه
التِّمثَالُ المِثَالِي –
عَدَا تِلكَ الالتِمَاعَةِ الصَّغِيرَةِ لِلُّعَاب
فِي رُكنِ فَمِه .

[34]

قَمِيصٌ أَبيَضُ صَغِير
مَنسِيٌّ فِي غُرفَةِ تَبدِيلِ المَلَابِس .
البُرجُ الطِّينِيُّ الصَّغِيرُ لِلدَّبُّور
عَلَى أَحَدِ الأَعمِدَة .
الحَارِس عَلَى شَارِع استَادِيُو
أَخَذَ تُفَّاحَةً حَامِضَة
مِن سَلَّتِه
قَضَمَهَا ،
وَقَفَ يَتَطَلَّعُ إِلَى الغُرُوب .
مِن الأُتُوبِيس الأَخِير
شَاهَدنَاه
أَنَا وَالدَّبُّور .

أثينا – 11 مايو 1980

[35]

ظِلُّ جَسَدِك
عَلَى الأَرض
يَحتَل مِسَاحَةً
بِأَكثَر مِن جَسَدِك .
أُعِد فِي ظِلِّك
"صورةً سَلبِيَّة" فُوتُوغرَافِيَّة
قَاتِمَةً لَا مَرئِيَّـة –
فِي الغَد سَتَظهَر
كُلُّهَا بَيضَاء
بِبَصمَاتٍ سَودَاء
خَارِجَ الإِطَار .

[36]

يَجمَعُون فِي شَعرِه
رِيَاحًا وَثِيرَانًا وَعَصَافِير
شَجَرَةَ بَلُّوط
جُذُورُهَا تَخرُجُ مِن الأَرض
تَلتَفُّ حَولَ كَتِفِه
تَعبُرُ النَّهر

وَأوراقُهَا تَسَّاقَط مِن شَفَتَيه
إلَى المِيَاه
تُغَطِّي تَفكِيرِي .

[37]

مسَـاء .
ثَلَاثَةُ حَمَّالِين
عَلَى أكتَافِهِم أخشَابٌ ضَخمَة ،
وَالبَحرُ فِي الخَلفِيَّة –
فِي زَمَالَةٍ خَفِيَّة
مَعَ أضوَاءِ البَار ،
مَعَ السُّفُنِ الرَّاحِلَة ،
مَعَ الأولَادِ الصِّغَارِ المحزُونِين
مَعَ النِّسَاءِ المتَجَمِّلَات .
مَن تَرتَدِي
فُستَانًا طَوِيلًا أُرجُوَانِيًّا
مَمشُوقَةً تَمَامًا
عَلَى البَلَاطِ الأبيَض ،
رُبَّمَا لِعَيبٍ يَخُصُّنِي

أو لِصَالِحِي .

[38]

قِدرَان قَدِيمَان أَسوَدَان
مِن أَدَوَاتِ جُندِي
وَسطَ نَبَاتَاتِ القُرَّاص
قُربَ كَومَةٍ
مِن عِظَامِ سَمَكِ الصبيدَج البَيضَاء
وَالسِّحلِيَّةُ الماكِرَة
وَعَينُهَا شِبه مُغمَضَة
مُرشِدَة
فِي لِقَاءِ المصَادَفَةِ هَذَا .

أثينا – 12 مايو 1980

[39]

وَضَع يَدَه
وَهوَ عَلَى رُكبَتِه
مُلَاصِقَةً لِلنَّهر .
يَدٌ
ضَخمَةٌ قَوِيَّة .

النَّهرُ يَنسَاب
مَلِيئًا بِأَسمَاكِ الثَّعَابِين .

[40]

شَيءٌ مَا كَبِير
يَدفَعُنَا إِلَى السَّكِينَة ؛
شَيءٌ مَا غَيرُ جَائِزٍ تَقرِيبًا
لَن يَنظُرَ إِلَينَا فِي عُيُونِنَا
وَسُخرِيَةٌ مَا عَلَى شَفَتَيه
مَرَارَةٌ مَا .
هُو مَايُـو .
والشَّارِعُ مُزدَحِمٌ
بِبَائِعِي الفَوَاكِهِ الجَائِلِين
وَالأَولَادِ بَائِعِي الجَرَائِد .

أثينا – 13 مايو 1980

[41]

أَنَا لَا أُنصِتُ إِلَيك – يَقُول –
فَأَنَا أَرَى التَّلَّ جَمِيلًا
وَالشَّجَرَةَ جَمِيلَةً
وَظِلَّ الطَّائِرِ عَلَى العُشب

وَنَفسِي
جَمِيلَين – يَقُول –
فِي المِيَاهِ أَو فِي المرآة .
وَأَيًّا كَانَ مَا تَقُول
فَنَصِيبِي لَم يَنقُص
فِي النَّهر
أَو فِي وَردَة .

أثينا – 14 مايو 1980

[42]

أَضوَاءٌ كَتُومَةٌ مِن الطُّرُق
تَحتَ الأَشجَار .
يَتَحَدَّثُ دَرَّاجٌ
مَعَ جُندِي .
كُوبٌ يَنكَسِر
عَلَى الرَّصِيف .
عَصِيرُ البُرتُقَال يَرسُم
مَلَاكًا بِكَتِفَين عَرِيضَين
وَبِقَدَمٍ وَاحِدَة .

أثينا – 15 مايو 1980

[43]

فِي سَاحَةِ الكَنِيسَة
الجَمِيلَةِ المهرُوسَة
مسَاءٌ مُقمِر
يَضرِبُ بِعُكَّازِه
ظِلَّه عَلَى الرُّخَام –
سَاعَةُ حَائِط مِترُوبُولِيس
بِلَا أَيِّ إِرجَاء
دَقَّت الثَّانِيَةَ عَشرَة
قَاطِعَةً وَلَا شِعرِيَّة .

أثينا – 16 مايو 1980

[44]

الجَنَاحُ الأَيمَن
أحمَر ،
وَالآخَرُ الأَيسَر
أَبيَض .
مُنتَصَفُ أَصِيلِ السَّبت .
أَورَاقُ شَجَر الرَّبِيع ،
عُزلَـة ،
مَرَايَا مُوصَدَة .

أثينا – 17 مايو 1980

[45]

كُوبُ القَهوَة ،
الملعَقَةُ الصَّغِيرَة عَلَى الطَّبَق ،
ثَلَاثُ سَجَائِر .
نَقَر عَلَى المَائِدَةِ بِظِفرِه
نَقرَةً فَنَقرَةً ثُم
نَقرَةً أُخرَى –
أَلَن يُجِيبَ أَبَدًا
مِن بِئرِ الحَدِيقَةِ
الرَّجُلُ الغَرِيقُ ؟
مَا لَم يَكُن
الشَّخصَ الذِي يَنقُرُ عَلَى المَائِدَة
بِظِفره ؟

أثينَا – 17 مايو 1980

[46]

عَقَارِبُ عَلَى الأَرضِيَّة ،
عَجَلَاتٌ صَغِيرَة ،
دَبَابِيسُ شَعر ،
قَطرَاتُ شَمع .
المنزِلُ يَفُوح

بِرَائِحَةِ الرِّيشِ وَالعطُور.
النِّسَاء
تَقِفنَ أَمَامَ المرَايَا
تَستَخدِمنَ أَمشَاطَ
القَتلَى.

أثينا – 17 مايو 1980

[47]

خَارِجَ الأَكوَاخِ الخَشَبِيَّة،
عُصبَةُ كِلَاب
تُمَزِّق إِربًا دُمَى
الأَطفَالِ الموتَى –
المعنَى مُرَاوِغٌ
فِي صَخَبِ النَّهَار
فِي الملَابِسِ الدَّاخِلِيَّةِ النَّظِيفَة
المُعَلَّقَةِ لِتَجِفَّ عَلَى السُّطُوح
فِيمَا نِيكيَاس
تُلَوِّحُ بِمِنشَفَةٍ بَيضَاء
مِن نَافِذَة
وَتَضِيعُ بِدَاخِلِي.

أثينا – 18 مايو 1980

[48]

زِئبَقُ القَمَر
انسَابَ بِبُطء
عَلَى عُلبَةِ كَمَان
نَسيَهَا الموسِيقِيُّون
وَبَقِيَت عَلَى الكُرسِي .
بَخَّارَان بَقيَا لِوَقتٍ مُتَأَخِّر
وَرَاءَ التَّمَاثِيل
حَيث سَمَّرَتهُمَا
أَضوَاءُ القِطَارَاتِ المَارَّة .

[49]

كُلُّ شَيءٍ تَم
بِلَا وُسطَاء .
قُبَّعَاتُهُم
مُعَلَّقَةً مَصفُوفَة
فِي المَمَر –
بِالخَارِج
كَانَت الشَّمسُ مُشرِقَة
وَعَامِلُ محطَّةِ الغَاز يَتَحَدَّث

مَع فَتَاة –
هَؤلَاءِ وَأُولَئِك
أَخفَوا الشَّيءَ الأَكثَرَ جَوهَرِيَّة
لَكِنَّنِي بَحَثتُ عَنه .

كالَاموس – 18 مايو 1980

[50]

كَانَ اليَومُ مَملُوءًا بِزِيزِ الحصَاد .
عَرَّافُ مَاءٍ عَجُوز
كَانَ يَحمِلُ سَلَّةً
مِن بَيضٍ طَازِج .
لَم يَكُن يَبِيعُه ؛
كَانَ يَأخُذُه إِلَى ابنِه
عَلَى التَّل ،
حَيثُ الحَطَّابُون
كَانُوا يَقطَعُون أَشجَارًا كَبِيرَة
قُربَ النَّهر
طوَالَ اللَّيل .
صَاحَت الطُّيُورُ الشَّرِيدَة .
وَالنِّسَاءُ اللَّاتِي سَمِعنَهَا
وَجَدنَ أَسِرَّتَهُن مَلِيئَة

بِثِمَارِ الصُّنُوبَر وَالبَابُونج .

كالاموس – 19 مايو 1980

[51]

إِصِّيصُ زُهُورِ جِيرَانيُوم
فِي محَطَّةِ الغَاز .
شَـاب
بِشَعرٍ أَسوَد
وَذِرَاعَين مَفتُولَتَين –
آهِ مِن الرِّقَّةِ المؤَسَّسَة
مِن الأَحلَامِ الموعُودَة
التِي تَمُر وَتَمضِي
سَاكِنَةً بِدَوَاخِلِنَا .

كالاموس – 20 مايو 1980

[52]

عَلَى الشَّاطِئ
شِبَاكٌ مُمزَّقَـة ،
عِظَامُ قَنَافِذَ وَرِنجَـة
يَقطِينٌ أَصفَـر ،
وَمِجذَاف ،

وَأنتَ وَالبَحر ،
وَفِي الأعلَى نورَس –
عَلَى كَتِفَيه نَضَع
الكلِمَات التِي قِيلَت
وَإزمِيل إيُوفرَانُور .

ملحوظة : إيوفرانُور الكُورِينثِي
كان نحاتًا ورسَّامًا بأثينا في القرن الرابع قبل الميلاد.

[53]

صَيحَاتُ الطُّيُور ،
صَيحَاتُ السَّبَّاحِين
كُلُّهَا خَضرَاءُ مُزرَقَّة .
بَابُونج عَلَى التَّل ،
مَلَابِسُ دَاخِلِيَّةٌ عَلَى الصُّخُور ،
وَهَؤلَاء الذِين يَمتَزِجُون بِالأبيَض النَّاصِع
هَادِئُون بِصُورَةٍ ضَبَابِيَّة
إلَى أن يَحلَّ اللَّيـل .
آنَئِذٍ مِن نَافِذَتِك
بِلَا حِيلَـة
نَسمَع
فِي خَفَاء

حَدِيثَ النُّجُوم .

كالاموس – 25 مايو 1980

[54]

مَاءٌ وَفَحـم ،
أُغنِيَةٌ وَصَخرَة ،
العُصفُورُ وَقَفَصُه ،
هُو وَظِلُّه ،
أَلِيفَـان
فِي حُب .
كُلُّ شَيءٍ يَهوِي
مِن أَجلِ المستَعصِي –
أَيُّهَا الحِرمَان أَيُّهَا النَّفي
المقطَعُ الثَّانِي القَبُول
التَّوكِيـد .

[55]

رَحَلُوا مُنذ سَنَوَات
وَعَادُوا فِيمَا بَعد
غُرَبَاء ؛
بِلَا حَقِيبَة ،

بِلَا ضِمَادَة ،
ذَاتَ مَسَاءٍ سَبتٍ فِي الميدَان :
جُنُودٌ أَولَادٌ بِالمدرَسَةِ الثَّانَوِيَّة
بَنَاتٌ صَغِيرَات
عُشَّاقٌ وَالرَّجُل
بِرِبَاطِ الحِذَاءِ المحلُول
يَتَعَثَّر فِي الصُّخُورِ غَيرِ المرئِيَّة .
القِطَارُ يَتَأَخَّـر .
وَالموتَى انتَظَرُوا ،
رَمَوا سَجَائِرَهُم فِي الشَّارِع .
بِرَكُ الطِّين كَانَت تُشرِقُ كُلُّهَا
مِن قَمَرٍ وَحِيد .

أجرينيون – 30 مايو 1980

[56]

الوُجُوه والأَيدِي تَتَحَسَّس طَرِيقَهَا ،
وَالعُيُونُ تَتَحَسَّسُ طَرِيقَهَا فِي الخَفَاء .
لَقَد وَعَدُوا الآخَرِين
(مَن هُم ؟)
فِي الشَّارِع أَشعَلُوا أَعوَادَ الثِّقَاب
نَظَرُوا فِي سَاعَاتِهِم

كَانَ المسَاءُ قَد حَلَّ فِعلًا
مسَاءٌ بِمُلصَقَاتٍ وَلَافِتَاتِ التَّأجِير
بِمَصَابِيح شَوَارِعَ مُضَاءَة
وَأَصغَر الموتَى
فِي محَطَّاتِ الأُتُوبِيس
مَعَ بَاسكُوس
بِالكَادَ فِي عُمرٍ يَسمَحُ بِظُهُورِ شَارِب
مَاذَا تُرِيد – قَال –
لَم أَعُد أَرقُد مَعَ النِّسَاء
لَقَد رَكَلتُ الغُصنَ الجَاف ،
وَدَخَلتُ المنزِل
نَاصِعَ البَيَاضِ فَادِحَ الظُّلمَة
بِلَا حَتَّى مِصبَاحٍ وَاحِد .

[57]

القَمَرُ فِي البِركَة
أَنوَارُ سَيَّارَاتٍ عَابِرَة
أَشجَارٌ يَتَنَاثَرُ عَلَيهَا فَجأَةً الضَّوء
رُطُوبَةٌ ذَاتُ رَائِحَة
كُلُّهَا تَوَقَّفَت

فِي الوَقتِ نَفسِه
لَا شَيء عَودَتُهَا الخَفِيَّة
سِوَى أَن تَحتَ أَشجَارِ الدُّلب
ثَمَّةَ مَقَاعِدَ حَمرَاء
وَمَنَاضِدَ حَمرَاء
وَمَصَابِيحَ فِي أَورَاقِ الشَّجَر
وَمَا يَزَالُ يُلَوِّحُ مِن الشُّرفَة
منديلُ أُمِّكَ الأَسوَد .
ابني – قَالَت –
فَاحتَضَن الشَّجَرَة
وَبَكَى .

أجرينيون – 30 مايو 1980

[58]

رَحَلَ العَازِفُون .
آخِر ضَوءٍ كَشَّافٍ انطَفَأ .
عَلَى خَشَبَةِ مَسرَح ستَادِيُو
لَم يَكُن سِوَى
أَسرَابِ طُيُورٍ وَرَقِيَّة
قَوَارِبَ وَرَقِيَّة
وَنَحنُ بِتِلكَ الأَيدِي

المتحَفِّظَةِ فِي جُيُوبِنَا .
نُجُومٌ كَثِيرَةٌ فِي الشَّارِع
سَجَائِرُ كَثِيرَة .
فَاسِيلِيس وَبَانُوس وَيَانِيس
بَعدَ مُنتَصَفِ اللَّيل .
الصَّامِتُونُ وَالموتَى
لَفُّوا البَطَّانِيَّات
تَحتَ أَذرِعَتِهِم
أَلقَوا نَظرَةً عَلَى ستَادِيُو
وَرَحَلُوا مِن جَدِيد .

أجرينيون – 31 مايو 1980

[59]

تَحتَ الأَشجَار
مَسَاءٌ مِن طُيُورٍ كَتُومَة
وَهمسَاتِهَا الدَّقِيقَة .
ملَاءَةُ سَرِير
مَفرُودَةٌ فِي الشَّارِع
نَاصِعَةُ البَيَاض .
صَبِيُّ المطعَم
وَضَعَ كُوبًا مِن زُهُورِ القرنفُل

عَلَى المَائِدَة
وَآخَر
قَفَزَ مِن البُحَيرَة
وَجَلَسَ عَلَى المقعَدِ الخَالِي
وَأَكَل
بِالحرَكَاتِ الهَادِئَةِ المُعتَادَة
فِيمَا تَرصُد عَدَدَ الموتَى
وَتَنسَى .

أجرينيون – 1 يونيو 1980

[60]

صَبَاحُ رَمَادِي .
ثِيسَالُونِيكِي رَمَادِيَّة .
وَلَدَانِ بِدَرَّاجَتَين
وَاحِدٌ بِدُون
المرأةُ العجُوزُ ذَات السَّلَّة
صَيَّادُ السَّمَكِ سَاكِنٌ كَحَجَر
سَفِينَةٌ سَفِينَتَان
رَمَادِيَّتَانِ وصُولًا إِلَى الخَامِسَة
امرَأةٌ رَمَادِيَّة
جَمعُ الكِستنَاء

شَخصٌ مَا يَقضُم تُفَّاحَةً
رَمَادِيَّة –
آهِ يَا قِدِّيسَ الرَّهَافَة
بَعدَ الموت
الأبَــدِي .

[61]

تَحَدَّثَ الآخَر .
برنَامِجٌ إِثرَ برنَامِج .
جُنَّ بِيترُوس
رَسَمَ إِيمَاءَةً عَلَى السَّمَاء
استأنَفَ المطَر
الملصَقَاتُ الكَبِيرَةُ ابتَلَّت
انصَبَّت عَلَى خَشَبَةِ المسرَح
أَمَامَ الميكرُوفُون
رَتَّل المطَرُ
قَصِيدَتَك
لَا بِرَدَاءَةٍ تَمَامًا
بَل بِالأَحرَى بِجَمَال
مَعَ وَقفَاتٍ قَصِيرَة

بِدُون هَروَلَةِ كُلِّ شَيءٍ مَعًا
فِيمَا رَقِيبُ الشُّرطَة
وَالجُنُودُ الخَمسَة
رَحَلُوا فِي سَيَّارَةِ الجِيب المَكشُوفَة
إِلَى مَهبَطِ الطَّائِرَات .

ثيسالونيكي – 2 يونيو 1980

[62]

حَفَرَ حُفرَةً فِي الأَرض
غَرَسَ المسَامِيرَ الثَّلَاثَة .
كَانَ الصَّيفُ قَد حَل .
وَالكَثِيرُ مِن غُرَفِ الطُّلَّاب
خَاوِيَــة .
اللَّيَالِي فِي الطُّرُقِ الكبِيرَة
الأَشجَارُ وَضَوءَان أَخضَرَان
يُؤَدُّون الأَدوَارَ الرَّئِيسِيَّة
رُبَّمَا لِهَذَا السَّبَب
أَشَاحَت التَّمَاثِيلُ بِعَينَيهَا
وَهِيَ تَرَى العَاهِرَات
وَالبَحَّارَةِ المسفُوعِين بِالشَّمس
وَالمَمَثِّلِين الشُّبَان الثَّلَاثَة

أَحَدُهُمَا يَرتَدِي مَلَابِسَ إِيفِيجِينيَا
وَالآخَر إِلِيكترَا
وَالثَّالِث بِيرسِيفُون .

[63]

أَحَادِيثُ بَعِيدَة
غَائِمَةٌ غَيرُ مُحَدَّدَة
كَتُومَة
مَصَابِيحُ الرَّأس لِعُمَّالِ المنَاجِم
تَحُط فِي الميدَانِ المهجُور
عَلَى جُندِي
عَلَى لَاعِبُ كُرَة
اللَّيلُ يَحل
بِرُمُوشٍ وَحشِيَّةٍ
زَائِفَة .
يَدُق مِسمَارًا
يُعَلِّقُ عَلَيه مَلبَسَه
وَيَستَلقِي .
وَالقَصِيدة
مَتروكَةٌ عَارِيَة

فِي نَاصِيَةِ كُورَاكِي وَبابانَاستاسيو.

أثينا – 4 يونيو 1980

[64]

رَأى ظِلَالَ الطُّيُور
عَلَى العُشب
حَاوَلَ أن يَقِيسَ المسَافَة
بَينَ الطَّائِرِ وَظِلِّه ؛
مَسَافَةٌ غَيرُ مُؤَكَّدَة.
فِيمَا بَعد
وَضَعَ مَفَاتِيحَه عَلَى المنضَدَة
أغمَضَ عَينَيه
تَخَلَّى عَن القيَاس
ابتَسَم لِنَفسِه
دَاخِلَ مَا لَا يُقَاس
امتِثَال وَوَرَع
الفَنَـــاء.

أثينا – 8 يونيو 1980

❖

إيرُوتِيـكَا

(1981)

مَعزُوفةٌ صَغيرةٌ مِن مَقام كَبِيرٍ أَحمَر

الكَلِمَاتُ أيضًا
شَرَايِين
فِيهَا
يَنسَابُ الدّم
عِندَمَا تَتَّحِدُ الكَلِمَات
تَتَضَـرَّجُ بِالأَحمَـر
بَشـرةُ الوَرَقَـة
مِثلَمَا تَتَضَـرَّج
بَشـرةُ الرَّجُـل
وَالمَـرأة
فِي لَحظَةِ الحُب .

عَلَى البِسَـاطِ الأحمـر
عَارِيـةً تَمَـامًا
مُغمَضَةَ العَينَيــن
تَنتَظِــرُه
لِتَخلَعَ حِذَاءَه
وَجَوارِبَــه
وَتَدفِسَ ثَدَيَيهَــا
بِقُـوَّةٍ، بِقُـوَّة
فِي قَدَمَيـه العَرِيضَتَيـن .

جَبَـلاَن
جَسَــدَان
شَجَرَةٌ وَاحِـدَة
وَالنَّهرُ الطَّوِيـل
بِقَدرِ البَحرِ فِي الأسفَل
بِقَدرِ المِينَاءِ الآخَـر
بِالحَانَات
بِالمُجَدِّفِين
وَمَحَلاَّتِ الحِدَادَة

المُوسِيقَى - أيضًا - هُنَاك .

ضَبَاب
تِلاَلٌ مُستَوِيَــة
مُعتِمَة -
كَيفَ يُمكِنُ أن يَكُونَ هُنَاك
وَسطَ الرَّمَادِيِّ الفَاتِحِ العَام
جَسَدٌ مُنتَصِب
فِي احمِرَار
عَارِيًــا ؟

القَصِيدَة
آه القَصِيدَة - يَقُول
جِمَاعٌ جِنسِيٌّ دَائِم
لاَعَلاَمَاتِ تَرقِيم
لاَ طَمث
شَذَا الأَرض
سِمَادٌ وَزُهُورُ لَيمُون

وَمَنِي
المِعوَلُ وَالجَارُوف
عَلَى الرُّخَام
يَعمَلاَن فِي ازدِوَاج
لاَ تَقُل شَيئًا آخَر
فَالحُبُّ وَاحِـد .

تَرتَدِي وَتَعرَى
نَارٌ ثِيَابُهَا
عُرِيُهَا نَار
المَسَامِيرُ ذَابَت
نَهرًا مِن حَدِيد
يَنسَابُ تَحتَ الأشجَار
تَنفتِحُ ثَلاثُ نَوَافِذ
تُحَدِّقُ الطُّيُورُ بِدَاخِلِهَا
وَفِي مَنَاقِيرِهَا أعوَادُ كبرِيت
زُجَاجُ اثنَتَي عَشرَةَ نَافِذَةٍ أحمَر
وَسِتٌّ ذَهَبِي .

تَحتَ السَّرِير
حِذَاؤُهَا
يَأخُذُ شَكلَ قَدَمَيهَا
دِفءَ قَدَمَيهَا
الَّذِي يَضُوعُ بِه
وَطَائِرَان أبيَضَان
بِعُيُونٍ فَاحِمَةِ السَّوَاد
وَخَاتِمٍ مِن التِّيكَل
حَولَ رَقَبَتَيهِمَا .

يَقُول– لَا يَنفَد
بِلاَ نَفَــاد
الجَسَدُ الإنسِانِي
سَمَاءٌ كَثِيفَة
سَمَاءٌ حَمرَاء
تَغُوص
وَلاَ مِن غُصنٍ وَحِيدٍ لِتَتَشَبَّث
بِالأرضِ كَي تَقِفَ عَلَى
سَمَاءٍ كَثِيفَة

فَلِكَي يَنفَتِحَ جَنَاحَاك
لاَ بُدَّ أن تَبزُغ .

لَم تَخِط
قَمِيصَه
شَبَكَته بِالدَّبَابيس
لِتَجرَحَه عِندَمَا يَرتَدِيه
كَم سَيَكُونُ جَمِيلًا
أن يَرتَدِيه مَفتُوحًا
وَفِي حنجرَتِه القَوِيَّة
الأبيَضُ الصَّافِي
مَعَ بُقَعٍ حَمرَاء .

لَيَالٍ شَهوَانِيَّـةٌ تَمَامًا
القَمَر فِي الغُرفَـة
القَمَرُ عَلَى السَّرِيـر
عَلَى الجَسَدِ العَارِي
أسفَلَ السُّلَّم فِي الطَّابِقِ الأرضِي

يُقَعقِعُ الحَدِيـــد
الحَدَّادُ يُسَـمِّر
حدوَاتٍ ذَهَبِيَّة
فِي الحِصَان
الأبيَضِ المُجَنَّح
وَلَن تُبَالِي
بِمَا إذَا كَانَ سَيَطِير مِن جَدِيد
بِمِثلِ أحذِيَتِه الثَّقِيلَةِ هَذِه .

تَحتَ ثِيَابِهَا
عَـارِيَة
فَوقَ ثِيَابِهَا
عَارِيَةٌ تَمَامًا
أمَامَ النَّافِذَة
تُمسِكُ بِكُوبٍ طَوِيل
هَل سَتُقَدِّمُه لَك ؟
ألَن تُقَدِّمُه ؟
تَشرَبُ مِنه هِي نَفسُهَا
لاَ تَنظُرُ إلَيك

وَهَكَذَا تَكُونُ أكثَرَ عُريًا
بِوَردَةٍ
بَينَ ثَديَيهَا .
أصَابِعِ اليَدَيـن
أصَابِعُ القَدَم
أعضَاءُ ذُكُورَة
وَسطَ الأصَابِعِ الخَمسَة
أربَعَةُ فُرُوج
- عِشرُون وَستَّةُ عَشر -
وَقَبلَ أن تَملِكَ وَقتًا
لِجَمعِهِم مَعًا
يَنبَجِسُ سَائِلُكَ المَنَوِي
عَلَى شِفَاه التِّمثَال .

البَطَّانِيَّةُ الوَبَرِيَّة
النَّارُ الدُّخَان
لَيــل
جَسَدٌ عُريَان
القُمصَانُ تَخفِق

عَلَى الشُّرفَـة
الأعلاَمُ تُرَفرِف
تُفَّاحَاتٌ حَمرَاء
تَتَدَحرَجُ إلَى خَارِجِ المِنضَدَة
وَوَاحِدَةٌ صَفرَاء
أظَافِرِي أصبَحَت طَوِيلَة
وَشَعرِي .
كَيفَ يَكبُرُ
هَذَا الجَسَد
فِي اللَّيل
الأقدَامُ
تَخرُجُ عَنِ السَّرِير
تَخرُجُ عَنِ النَّافِذَة
نَجمَةٌ تُولَد
مفتَاحٌ يَضِيع
البَابُ يَنغَلِق
أظَلُّ بِالخَارِج
يَدُ التِّمثَال
تَسقُطُ عَلَى رُكبَتِي

فِيمَا بَعد يَهبِطُ اللَّيل
كُرسِيَّانِ خَشَبِيَّان
عَلَى القَمَر
وَعَلَى الكُرسِيَّين
هُو وَ هِي
حَافِيَان
يُوَاجِه كُلٌّ مِنهُمَا الآخَر
يَتَلاَمِسَان
بِإِصبَع القَدَم الكَبِير

حَرَكَتُه
شَعرُه
يَدَاه
جُندِيٌّ وَحِيـد
فِي الغَابَة
طَائِرَةٌ وَرَقِيَّة
مَرمِيَّةٌ عَلَى صَخرَة
جَانِبٌ مِن الطَّرِيق
فِي ضَوءِ الشَّمس السَّاطِع

طَرِيقٌ مَبلُـول
بِمَاءٍ مَجهُول .

جَسَدٌ عُرِيَــان
يَستَلقِي أو يَقِف
جُغرَافيَا مَجهُولَة
دُرِسَت آلاَفَ المَرَّات
حُفِظَت عَن ظَهرِ قَلب
مَجهُولَة –
أسمَعُ الثَّرثَـرَة –
مَن يَرمِي النَّرد
عَلى أرضِيَّةِ الحَمَّـام ؟

يَدُك
أو فَقَط
أصَابِعُكِ الثَّلاَثَة
وَهِيَ تُمسِكُ الكُوب
تَكشِف

جَسَدَكِ كُلَّه
عَارِيًا
أغمِضُ عَينَي
كَي لَا تَرَيَا وَتَرحَلِين
فِي الظَّهِيرَة
سَنَّانُ السَّكَاكِين
يَمُرُّ فِي المَنطِقَةِ المُجَاوِرَة
سَأُعطِيه فِي السِّـر
السَّكَاكِينَ الاثنَتَي عَشرَة.

لاَ تَفعَلِي شَيئًا
سَأُعِدُّ الطَّعَام
سَأُجَهِّزُ المَائِدَة
لَن آكُل
سَأُرَاقِبُكِ وَأنتِ تَأكُلِين
كَأنَّكِ لَا تَدرِين
سَأُلَمْلِمُ الدَّبَابِيس
وَاحِدًا وَاحِدًا مِن الأرضِيَّة
لَن أَلتَقِطَ ثَوبَك

سَأترُكُه هُنَاك
بُرجًا مِن دِفء
فِيهِ طَائِرَان
وَعُلبَةُ ثِقَاب

أثَاثٌ ، ثِيَاب
أشيَاء مُشتَرَكَة
المِصبَاحُ القَدِيم
زُرَارٌ فِي كُوبِ الماء
ذَرَائِع - قَال -
تَدقِيقَات
فِيمَا لَا يُسَمَّى
وَرَاءَ السِّتَارَةِ الحَمرَاء
امرَأةٌ عَارِيَة
فِي يَدَيهَا بُرتُقَالَتَان
أقِفُ عَلَى كُرسِي
أُنَظِّفُ السَّقفَ مِن العَنَاكِب
لَكِن
إن لَم أمنَحكِ اسمًا

فَلَن تَكُونِي أنتِ
وَلاَ أنَا .

فِي المِرآة
أنتِ اثنَتَان
فِي الأُخرَى ثَلاَث
إحدَى عَشرَة خَمس عَشرَة
أربَعٌ وَعِشرُون
البَيتُ امتَلأ
وَمَا مِن امرَأةٍ وَاحِدَة
بَل بُحَيرَة
فِيهَا العَجَلَةُ الكَبِيرَة
وَفَردَةُ صَندَلِك
عَلَى المِنضَدَة
بِجَانِب المِطفَأة .

التَقَت شَفَتَاهُمَا
لِسَانَاهُمَا

لُعَابُهُمَا
تَكَاثَف لُعَابُهُمَا
فَشَكَّلَ مَعبُودًا
عَلَى صَدرِهِ ذِي الشَّعرِ الكَثِيف
زُهُورُ رَبِيعٍ صَغِيرَة
وَعَلَى رُكبَتَيه رَغِيفُ خُبز
وَالبُوصلَةُ ثَابِتَة
فِي مَركَزِ الخَرِيطَة
العَالَمُ دَائِـرَة .

جَسَدَان سَاكِنَان
فِي حَرَكَتِهِمَا
قَشٌّ فِي شَعرِهِمَا
مِصبَاحٌ كَهرَبِيٌّ أحمَر
نَفَسٌ أحمَر
طُيُورٌ لَيلِيَّـة
مَرَايَا أبوَاب
إنصَاتٌ سِـرِّي
ثُم

أحجَارٌ ضَخمَة
تَنحَدِرُ إلَى أسفَلِ الجَبَل
تَهوِي فِي البَحر
بُقعَةٌ مَبلُولَـة
وَعَلى الجَانِبِ صَوت
اشتِغَالِ وَتَوَقُّفِ الثَّلاَّجَـة .

جُذُورٌ مُتَشَابِكَة
دِيدَانٌ بَيضَاء
يَرَقَاتٌ خَضرَاء
تَرحَلُ عَالِيًا
سِيجَارَتَان
تُرسِلاَن الدُّخَان
فِي المِنفَضَة نَفسِهَا
مَسَاءٌ أحمَـر
زُجَاجُ نَوَافِذ مَكسُور
رَأيتُ حُلمًا - قَال -
آهِ أحمَرَ مَنِيعًا
لَم أعُد أذكُرُه

أنقُرُ الحَائِطَ بِأصَابِعِي
أُنصِتُ وَحدِي .
سَلاَسِلُ جِبَالٍ طَوِيلَة
أشجَارٌ كَثِيرَة
النَّهرُ فِي الأَسفَل
كَانَ الحَطَّابُونَ يَصِيحُون
قَاطِعُو الرُّخَامِ كَانُوا يَصِيحُون
القِطَارُ مَـر
تَرفَعُ يَدَك
فَيَخرُجَ الدُّخَانُ مِن إبِطِك
أنسَى المُشرِفَ وَعَسكَرِي المُرُور
وَتِمثَالَ الفَارِس
أُخفِي المُفتَاح
خَلفَ وَردَة
وَأبدَأ -بِالفِعلِ - فِي السُّعَال .

يَجلِسُونَ عَلَى الأرض
يَضرِبُونَ الأرضَ بِأيدِيهِم
تَهرُبُ الطُّيُور

قَالَ النَّبِي
فَلتُوَرِّط النَّارَ فِي المَشَاكِل
فَلتَندَمِج فِي ظِلِّك
جَاءُوا بِالكُوبِ الكَبِير
غَمَسَ كُلٌّ مِنهم أحَدَ أصَابِعِه
فِي المَاءِ المُثَلَّج
نَقَشَ صَلِيبًا
عَلَى الجَسَدِ العَارِي
كَانَ الرَّجُلُ العَارِي يَستَلقِي
فَوقَ العُشبِ المَحرُوق
وَوَجهُه إلَى أسفَل .
الثُّكنَاتُ
خَلفَ أشجَارِ الصُّنُوبَر
كَانَا يَنتَظِرَان
بِجِوَارِ النَّافِذَة
عِندِمَا دَوَّى عَبرَ الشَّارِع
صَوتُ بُوقِ المَسَاء
خَلَعَا ثِيَابَهُمَا بِسُرعَة
وَاستَلقَيَا -
فِي الخَارِج عَلَى الجُدرَان

عَلَى المَسَامِيرِ وَالسِّلك
كَانَت النَّبَاتَاتُ الشَّهوَانِيَّةُ الكَبِيرَة
تَصعَـــد .

الكَلمَـات
تَخترِقُ الوَرَقَة
تَخرُجُ مِن النَّاحِيَةِ الأُخرَى
أحَدُ الجَسَدَين
يَخترِقُ الآخَر
لاَ يَخرُجُ مِنَ النَّاحِيَةِ الأُخرَى
الخَـزَّاف
بَائِعُ الفَاكِهَة
الجَزَّارُ مَعَ كَلبِه
القَمَرُ يَظهَر
وَرَقَةٌ تَسقُطُ عَلَى الإسفلت
فَيَلتَقِطَهَا الرَّجُلُ الأعمَى .

العُيُونُ جَائِعَة

الآذَانُ وَالأُنُوفُ جَائِعَة
الفَمُ وَاللِّسَان
الجَسَدُ جَائِع
يَشُمُّ يَسمَعُ يَتَلَمَّسُ طَرِيقَه
عَلَى الرُّكبَتَين الثِّيَابُ وَالمحفَظَة
شَكلُ الجَسَدِ الآخَر
الرُّمُوشُ وَاحِدًا وَاحِدًا
التَّمَاثِيلُ تَركُضُ فِي اللَّيل
الرِّجَالُ مَعَهُم أعلاَم
أعمِدَةُ الإنَارَة
الجَسَدُ غَيرُ المُقتَنِع يَتَلَمَّسُ طَرِيقَه
عِندَ مَفَاصِلِ إيمَاءَةٍ وَحِيدَة
يَتَلَمَّسُ طَرِيقَه فَوقَ المَوت
دَاخِلَ المَوت
يُنصِتُ إلَى الحُوضِ يَقطُر
فِي الحَمَّامِ الرُّخَامِي
وَالمَنَاشِف الحَمرَاء الكَبِيرَة
المَبلُولَـة .

ضَعِي قَدَمَكِ العَارِيَة
عَلَى الجَرِيدَة
عَلَى القَصِيدَة
وَبِقَلَمِي الرصَاص سَوفَ أرسُم
الخَطَّ الخَارِجِيَّ لِقَدَمِك
سَأُثَبِّتُه عَلَى الحَائِط
بِمِسمَارٍ صَغِير
أضِئ الشُّمُوعَ الثَّلاَث
فِي الشَّمعَدَان -
عَلَيكِ بَعدَهَا أن تُغلِقِي البَاب .

هُدنَةٌ قَصِيرَة
تَسمَحُ لِي بِأن أرَى شَجَرَة
دَرَّاجَة
دُخَانَ أحَدِ القِطَارَات -
شُجَيرَةٌ حَمرَاء
بِجِوَارِ دُكَّانِ الأدَوَاتِ المَكتَبِيَّة
الأحَـد
كَم - فِي السِّر -

تَستَعِدُّ يَدَايَ فِي صَبرِهِمَا
لِلكِفَاحِ الجَدِيد
مَعَ يَدَيك .

إنَّهَا الأحجَـار
وَأحجَارٌ أُخرَى
المُوسِيقَى
تَدخُلُ مِنَ النَّافِذَة
إنَّه الخَوفُ مِنَ العُبُودِيَّة
الحَقِيقَيَّـةِ الخَارِقَة
أفضَل
التَّنَفُّسُ المُنفَرِدُ
لِلمَرَايَا
وَهوَ الَّذِي يَصعَدُ السَّلاَلِم
حَامِلاً فَانُوسَ عَامِلِ التَّحوِيلَة
يَخلَعُ مِعطَفَه
لِيُعَلِّقَه عَلَى عَمُودِ المَلاَبِس
يَسقُطُ المِعطَف
تَمَامًا فِي البُقعَة

الَّتِي حَدَّدتُهَا بِالفَحـم .

فِي مُنتَصَفِ الشِّتَاء
أرتَدِي الأبيَضَ النَّاصِع -
مَا الَّذِي كَانَ لَدَيه حَتَّى يُخفِيه ؟
أهوَ الأحمَرُ الأخرَس ؟
هَل سَاعَةُ مِعصَمِي المَسرُوقَة ؟
مِنَ النَّافِذَة
يُمكِنُ بِالفِعلِ رُؤيَةُ
ثَلاَثَ شَجَرَاتِ سـرو
وَنَفسَ المَدخَنَة
عَدِيمَةِ الدُّخَان .

السَّفَرُ يُجَسِّدُ النَّاس
امرَأةٌ تَحمِلُ مِظَلَّـة
أصوَاتٌ مُجَلجِلَةٌ مِن بُرجِ الجَرَس
فِي السَّابِعَةِ مَسَاء
فِي الدَّكَاكِينِ المُعتِمَةِ لِبَائِعِي السُّجُق

فِي دَكَاكِينِ التَّبغ
كُرسِيٌّ وَاحِد
جُندِيَّـان
إبهَامُ أُورِيست
عَلَى مفتَاحِ البِيَانُو
فِي عَتمَةِ الغَسَق
الَّتِي نَصِفُهَا بِالجَمَال
إنَّهَا هِي -يَقُول-
تِلكَ الَّتِي تُحَضِّرُ المَنِي
وَوَقفَةَ الزَّمَن
وَالدَّيمُومَـة -
أرُبَّمَا إلَى الوَرَاءِ قَلِيلاً ؟
أكثَرَ اقتِرَابًا ؟

كَومَةُ لَيمُـون
عَلَى المِنضَدَة
عَلَى الكَرَاسِي
عَلَى الفِرَاش
الأصفَرُ يَلتَمِع

يَتَدَحرَجُ عَلَى جَسَدِك
أحِبُّ السَّمَاءَ عِندَمَا تُمطِـر
لَيلَةٌ ذَاتُ ألفِ لَيمُونَة
وَفَجأةً فَانُوسُ رَجُلِ الغَابَة
يَستَوقِفُ الأرَانِبَ البَرِّيَّةَ المَبلُولَـــة
عَلَى أقدَامِهَا الخَلفِيَّة .

مَا لَم نَقُلـه
رُبَّمَا اختَزَن
إيمَاءَاتِنَا الخَاصَّة
أفعَالَنَا الخَاصَّة
كَأفعَالِ شَخصٍ ثَالِث
الآخَرُونَ أضَاعُوا الوَقتَ سُدَى
لَفُّوا السَّمَكَة
(كَانَت حَمرَاء)
فِي جَرِيدَة
دَخَلُوا عَبرَ البَابِ الزُّجَاجِي
وَاختَفَوا -
مُؤَكَّدٌ أنَّ هَذِهِ السَّمَكَة

كَانَت سِـرَّهَم .
أيُّهَا الجَسَدُ المَعصُوم
كَم مِن أخطَاءَ كَثِيرَةٍ كَثِيرَة
مَعَ هِلاَلٍ عَابِر
عَلَى أشجَار الرَّصِيفِ العَارِي
الجُنُودُ فِي الإجازة يُدَخِّنُون
تَحتَ السَّاتِر
ظَلَّت السَّمَاءُ تُمطِرُ طُولَ اليَوم
أسمَعُ المَاءَ يَنسَابُ بِلاَ انتِهَاء
مِن مَوَاسِيرِ التَّصرِيفِ إلَى الشَّارِع
حَتَّى رغمِ أنَّنِي أعرِف
أنَّ هَذِه التَّذكَرَة
فَاتَ أوَانُهَا .

الجَسَدُ - يَقُول -
فِي حَالَة الإضَافَةِ : لِلجَسَد
وَالجَسد عُمُومًا
لاَ كلمَةَ عِندِي أكثَرَ تَكثِيفًا
آخُذُ الحَقِيبَةَ البِلاَستِيك

أدخُلُ المَطَاعِمَ العَامَّة
أُلَمْلِمُ عِظَامَ السَّمَك
لِلقِطَطِ البَرِّيَّةِ فِي المَنطِقَةِ المُجَاوِرَة
أثنَاءَ الاستِرَاحَات -يَقُول -
أتَحَدَّثُ مَعَ المُوسِيقِيِّين
فِي كَوَالِيسِ المَسرَحِ المُعتِمَة
أيَّةَ مَسَافَةٍ لاَنِهَائِيَّةٍ أعبُرُهَا
مِن جَسَدِك
إلَى جَسَدِك .

مُدُنٌ بَحرِيَّـة
تُضِيءُ مَصَابِيحَها
كَلبٌ يَقِف
خَارِجَ البَاب
اثنَانِ مِن المُهَرِّبِين
أمَامَ إدَارَةِ الجُمرُك
نِسَاءٌ مُتَوَرِّدَات
حَمَّالُون مُغبرُّون
وَهوَ

يَختَبِئ خَلفَ جَسَدِه
يُرَاقِبُ ، غَرِيبٌ هُو
مُتَهَرِّبُ فِي لَيلِنَا
غَرِيبٌ يَقُول -أي غَرِيب ؟
فِي الأضوَاءِ المَبلُولَـة
يَعُودُ فِي إذعَان
يَملأُ سَاعَتَه
5 بَعدَ 9 مَسَاءً كَئِيبَ المِزَاج -
بَعدَ المَطَر .
مَن ذَا الَّذِي يَصِيحُ طُولَ اللَّيل ؟
أُنَاسٌ سَمعُهُم ثَقِيـل
المَرَايَا أيضًا ثَقِيلَةُ السَّمع
أُضِيءُ المِصبَاح
أُطفِئُ الثُّقَاب
فِي الغُرفَة
الأُخرَى
تَتَعَرَّين
أسمَعُ هَمهَمَةَ جَسَدِك
يَنحَنِي شَعرُكِ لأسفَل
ظِلُّ الدَّرَّاجَةِ مَخطُوط

عَلَى الحَائِطِ المَبلُول
ظِلاَلُ المَسَامِيرِ تَطُول
عَلَى البَابِ المُوصَد .

كَومَةُ زُجَاجَاتٍ فَارِغَة
تَحتَ شَجَرَةِ الفِنَاء
السُّكَارَى
المُفِيقُونَ الآن
يَنظُرُونَ خَارِجَ النَّافِذَة
إِلَى الزُّجَاجَاتِ وَأَورَاقِ الشَّجَرَة
وَالجَبَلِ الغَائِم -
أَكَانَ بِالفِعلِ سُكرًا ؟
مَتَى وَأَين ؟
وَالأَجسَادُ المَبلُولَة ؟
وَكُؤُوسُ النَّبِيذ الخَمسَة ؟
وَأَسَدُ السِّيرك ؟
مَعَ اللَّيلِ كُلِّه ؟

المُشَـرِّعُ وَمُقَاوِلُ البِنَاء
عَسكَرِي المُرُورِ الشَّاب
أعبُرُ فِي حِرص
أرَاهُم
لاَ يَلحَظُنِي أحَد
وَسطَ هَذَا الزِّحَام
تَوَقَّفتُ مَعَ الضَّوءِ الأحمَر
نَظَرتُ إلَى كَتِفَيك
ثُمَّ بَدَأ هُطُولُ المَطَر
أنتِ وَاصَلتِ السَّير
ثُمَّ صَعَدتِ السُّلَّم
حَمَلتِ القَفَص
بِدَاخِلِه البَبَّغَاءُ الأزرَق
لَم أصعَد
نَظَرت .

جَسَدُكِ عَلَى الرَّمل
التَصَقَ الرَّملُ بِبَشرَتِك
رَملٌ عَلَى يَدِي

عَلَى لِسَانِي
وَأنَا أكتَشِفُك
خَلفَ الحَواجِزِ الرَّهِيفَة
وَالرَّملُ يَتَسَاقَطُ مِن شَعرِنا
يَرسُبُ فِي أعمَاقِ الصَّمت
وَنَحن
نَخرُجُ مِن مَائِنَا الحَمِيم
مُغتَسِلِينَ فِي انتِعَاشٍ جَمِيل
إلَى ضَوءٍ وَجَسَـد
هَذِه الأرض .

ذَلِكَ الَّذِي يَزحَفُ فِي الجَسَد
عَلَى الجَسَد
مِن جَسَدٍ إلَى جَسَد
عَلَى الجَبَلَينِ بِغَيمَتِهِمَا الوَحِيدَة
عَلَى الطَّائِرِ فِي الشَّجَرَة
عَلَى عُشِّ الطَّائِر
المَجبُولِ مِن زَغَبٍ وَقَش
ذَلِكَ الَّذِي يَجعَلُك أنَا مَوجُود

الَّذِي يَجعَلُكُم نَحنُ مَوجُودُون
الَّذِي يُشَبِّهُكَ بِالآخَر
مُغَايِرٌ ، وَحِيـد
لِجَاذِبِيَّةِ الآخَـر
إيقَاعٌ وَإيقَـاع
الحُب
أخٌ غَـرِيم
الحُب .

أحمَرُ دَاكِنُ الحُمرَة
الأحمَـر -
فَلتُخَفِّفه بِالأسـوَد
نَعَم بِالأسوَد
فَلتَصنَع ثُقبًا فِي الوَرَقَة
وَارمِ بِه
المَسَامِيرُ وَالسَّكَاكِينُ وَالأسوَد -
أيُّهَا الأحمَرُ الذَّبِيح
أيَّتُهَا المُوسِيقَى الدَّاكِنَة .

فِي اليَومِ السَّابِع
(بَل الثَّامِن)
بَعدَمَا ذَهَبتِ
(بَعدَ مَوتِي)
وُلِدَ الإنسَـان
والهَرمُونِيكَا
وَفَرَاشَة
لَيسَت حَمـرَاء
بَيضَـاء
مَعَ بُقَعٍ صَغِيرَةٍ سَودَاء -
كُنتُ حُـرًّا .

جسدٌ عُريَان

قَال:
إنَّني أُصَوِّتُ عَلَى الأزرَق .
أنَا ، الأحمَر .
وَأنَا .

جَسَدُكِ جَمِيـل .
جَسَدُكِ لاَنِهَائِي .
ضَائِعٌ أنَا فِي اللاَّنِهَائِي .

اتِّسَاعُ اللَّيـل .
اتِّسَاعُ الجَسَـد .
انكِمَاشُ الرُّوح .

كُلَّمَا تَتَرَاجَعِين
أدنُو مِنك .

نَجمَــة
أحرَقَت بَيتِي .

اللَّيَالِي تُضَيِّقُــنِي
فِي غِيَابِك .
أتَنَفَّسُــك .

لِسَانِي فِي فَمِك .
وَلِسَانُكِ فِي فَمِي -
غَابَةٌ مَعتِمَــة :
الحَطَّابُون اختَفَوا
وَالطُّيُور .

أينَمَا تَكُونِين
أكُـون .

شفتاي
تَحفَّان بِأُذُنِك .
صَغِيرَةٌ صَغِيرَةٌ وَرَقِيقَة –
كَيفَ يُمكِنُ أن تَحتَوِي
المُوسِيقَى كُلَّهَا ؟

لَذَّةٌ حِسِّـيَّة –
أبعَدُ مِن المِيـلاَد ،
أبعَد مِن المَوت ؛
حُضُـورٌ
نِهَائِيٌّ وَأبَدِي .
ألمَسُ أظَافِرَك
كَم إنَّ العَالَمَ بِلاَ حَصر .

تَحتَ جَمِيعِ الكلِمَات
يَتَّحِدُ جَسَدَان
وَيَفتَرِقَان .

فِي لَيَالٍ قَلِيـلَة
كَيفَ لِلعَالَمِ كُلِّه
أن يَتَشَـكَّلَ وَيَنهَار .

اللِّسَـانُ يَلمَس
أعمَقَ مِن الأصَابِع
يُصبِحُ مُتَوَحِّـدًا .

الآن
مَعَ تَنَفُّسِـك
تَنتَظِمُ خُطوَاتِي
وَنَبضِي .

لَم نَلتَقِ طوَالَ شَهرَين
قَرن
وَتِسعُ ثَـوَان .

مَا نَفعُ النُّجُومِ لِي
عِندَمَا لَا تَكُونِينَ هُنَا .

مَعَ حُمرَةِ الدَّم
أنَا
أنَا لَك .

اسمُكِ وَحدَه
مَرَّةً ثَانِيَةً وَثَانِيَـة
شَقَائِي العَمِيق
مَلاَكِيَ الأعلَى
القَصِيـدَة .

مَا مِن سَكَنٍ آخَرَ عِندِي .
إنَّنِي أسكُنُ جَسَدَك .

كَانَت حَمرَاء
مَعَ خَطٍّ وَاحِدٍ عَمُودِيٍّ أسوَد .
سَقَطَت التُّفَّاحَاتُ فِي النَّهر .
طَفَت .
رَحَلَت .

كَيفَ لِزَهرَة
أن تَتَفَوَّقَ فِي اللَّيل
عَلَى قُنفُذٍ بَحرِي
بِدُونِ قَمَـر ؟

نَقِفُ عُريَانَيـن
مُتَنَكِّرَيـن .
مُنتَصِبَان .

ظفرُ إصبَعِكِ الصَّغِير
أكثَر لاَنِهَائِيَّةً مِن البَحر .
إلَى أينَ تَأخُذِينَنِي ؟

العَصِيُّ عَلَى التَّعبِير
يَكبُـر ،
يَقُومُ بِأعمَالٍ عَظِيمَـة .

جَسَدُك
يُزِيحُنِي ،
يَحتَوِينِي .
أستَلقِي وَأنهَض
دَاخِلَك .

الأعضَاءُ الخَاصَّةُ
تُدَوِّي
خَارِجَ الزَّمَن .

السُّـفُن ذَات الأضوَاء
تَأتِي وَتَمضِي ،
لاَ تُطلِقُ صُفَّارَاتِهَا .

الحُب ،
الجُرحُ العَمِيق -
ذَلِكَ مَا حَلُمنَا بِه
إلَى حَدٍّ مَا فِي بَرَاءَة ،
إلَى حَدٍّ مَا فِي المُطلَق ،
هُنَـا .

كَيفَ يَرتَبِطُ كُلُّ شَيءٍ بِك
المِظَلاَّتُ الحَمرَاءُ المُقَـابِلَة
العَصَافِيرُ فِي الشُّرفَة ،
الحَوضُ فِي الحَمَّام
أشجَارٌ لاَمَرئِيَّـة ، وَالهَوَاء .

حَيَوَانٌ ذَبِيح
هُو الفِرَاش .
دَمُنَا يَنسَـاب .

لِمَاذَا كُوبُ المَاءِ المَكسُور ؟
لِمَاذَا السِّتَارَةُ المُمَزَّقَـة ؟
وَحِذَاؤُكِ المَبلُـول ؟
أيـن ؟

هَنَاكَ ضَوءٌ مَا
فِي النَّافَذَةِ المُقَابِـلَة .
تَخلَعِينَ ثِيَابَك .
دَائِمًا أنتِ .

الفِرَاشُ ، السَّجَائِر ،
جَسَدُكِ فِي المِسَاحَةِ كُلِّهَا -
تِمثَالُ دَمِي .

أُشعِلُ الثِّقَاب ،
أَقُصُّ أَظَافِرِي ،
أَثقُبُ الملاَءَات .
لَستِ هُنَا .

ذَاتَ مَرَّةٍ قُلتِ
أُحِبُّ شَعرَك .
طَالَ شَعرِي .
أخفَانِي .

شَهرٌ مَوعُـود .
يَومٌ مَوعُـود .
سَأجِيءُ -قُلتِ -
أنتَظِرُ عِندَ البَاب .
البَاب
مَختُومٌ بِعُهُودٍ كَثِيرَة .

هَذِه القَلاَئِلُ مِن كُلِّ شَيء
هِيَ -بِالنِّسبَةِ لَنَا -
عَظِيمَةٌ للغَايَـة .
كُلُّ شَيء .

ثِيَابُك
الَّتِي ما تزال دَافِئَةً مِن جَسَدِك
مَرمِيَّةٌ فَوقَ أيِّ كُرسِي ؟
أين ؟

القَهوَةُ ، السِّيجَارَة ،
الانتِظَار .
الانتِظَارُ ، السِّيجَارَة ،
عَينَايَ أكثَرُ زُرقَـة .
فِي انتِظَارِك
نِسَيتُ أن أُلاَحِظ ،
نَسَيتُ أن أُلاَحِظَ نَفسِي .

يَحمِلُنِي الحُلم
بِإحدَى أيَادِيه
وَأنَا أنحَنِي عَلَى كَتِفِك .

جَسَدُكِ لاَ مَرئِي .
مَحسُـوس .
طَائِرَان فِي إبطَيكِ .
صَلِيبٌ بَينَ ثَديَيك .
لاَ شَيءَ مِن المَوت .

لاَ ، لاَ .
ذِكرَى الجَسَد
لَيسَت الجَسَـــد .
تَرتَبِطِينَ مَعِي
بِالتَّشَابُهَـات .
أُعِيدُ تَشكِيـلَك
قِطعَةً قِطعَة .
أنَا لَم أُوجَد دُفعَةً وَاحِدَة .

قُلتُ نَافِذَة .
لَم تَكُن .
كُلُّ النَّوَافِذِ
تَنفَتِحُ تِجَاهَك .

المُبَاشَرَة -يَقُول -
تَنفِي القَصِيدَة .
فَليَكُـن .
إنَّنِي أُفَضِّلُ جَسَدَك .

ذَلِكَ الكُرسِي .
إلَى الأبَـد .
لاَ يُمكِنُ تَحرِيكُه .
هُنَاكَ حَيثُ جَلَستِ .

تَقُولِين :
أنَا أنتَ ، أنتَ ، أنت .

وَأنَا ؟
أنتِ .
وَأتَيتِ .

رَدَّدتُ اسمَك
ألفَ مَرَّة .
لَم أتَحَدَّث مَعَك .
فَاسمُكِ لَا يُستَنفَـد .

اليَومُ المَوعُود .
وَأتَيتِ .
نَارٌ وَدُخَان .
دُخَانٌ وَلَيل .

الفِرَاشُ يَحتَرِق .
أجنِحَتُنَا مِن لَهَب .
لاَ تَحتَرِق .

وَاحِدًا فَوَاحِدًا ،
أصَابِعُ قَدَمَيكِ ،
أصَابِعُ يَدَيكِ ،
شَعرُكِ ، أظَافِرُك ،
رُكبَتَاكِ ، إبِطَاكِ ،
المَـوت .

الشِّعرُ خَامِـد .
وَأنَا مُقِيمٌ فِي مَكَانٍ مَا مِن جَسَدِك ،
مَحبُوسًا تَمَامًا ،
أُصبِحُ حُـــرًّا .

المِنشَفَةُ الزَّرقَاء الكَبِيرَة
الَّتِي تَتَنَشَّفِينَ بِهَا فِي الصَّبَاح ،
هُنَاكَ ، هُنَاك –
لَم أغسِلهَا قَط .

وَالآخَرُون – مَاذَا كَانُوا ؟

طَالَت لِحيَتِي كَثِيرًا ،
غَطَّت صَولَجَانِي .
الصَّقر .
صَدرُك .

أزرَقِي أنَا - تَقُولِين -
أزرَقِي .
نَعَم ، أنَا أزرَق .
أكثَرَ مِنَ السَّمَاء .
أينَمَا تَكُونِين
أُحِيطُ بِك .

أُمسِكُ بِالمِطرَقَة .
أضرِبُ الهَوَاء ،
أصنَعُ تِمثَالَك
تِمثَالاً مَفتُوحًا ،
أدخُلُه ،
وَأبقَى .

كُلُّ نَجمَـةٍ ، كُلُّ ورَقَـة
شَجَـر ،
كُلُّ سِيجَارَةٍ أُشعِلُهَا ،
كُلُّ خُطوَةٍ فِي الشَّارِع ،
هِي خُطوَتُك .
وَأنتِ هُنَا ،
وَتَأخَّرتِ فِي المَجِيء .

أغلِقنِي - تَقُولِين -
أغلِق نَفسَك .
كَسِّر المِشـط .
أصَابِعُكَ تُمَشِّطُنِي
مِنَ الدَّاخِل .

أُفَتِّشُ زَوَايَا اللَّيل -
كُوعكِ ، رُكبَتك
ذَقنك .
الأحجَارُ تَتَدَحرَجُ إلَى

أسفَل .
وَلاَ أوهَى ضَجَّة .
أينَ أنتِ ؟

الجَبَلُ يَدخُلُ البَيت ،
يَجلِسُ عَلَى رُكبَتِي .
النَّهَارُ يُرسِلُ الدُّخَان .
الهَوَاءُ - مِن جَدِيـد -
هَوَاؤُك .
غَيرَ ذَلِكَ - لاَشَيء .

اللَّيَالِي الطَّوِيلَةُ تَأتِي .
النَّبَاتَاتُ الَّتِي تَتَغَذَّى بِالحَشَرَات
تَحِيطُ بِالبَيت ،
تَحِيطُ بِالسَّرِير .
وَشِفَاهُكِ الغَائِبَـة
تَستَنزِفُنِي .

فِي مَركَزِ القَصِيدَة
أنتِ وَأنت .
أنفَاسُكِ
تَملأُ كُلَّ الكَلِمَـات ،
كُلَّ الصَّمت .

كُلُّ إيمَاءَةٍ مِنكِ
تَرَكَت
عَلَى المِنضَدَة ،
فِي الخزَانَة ،
تَحتَ الوِسَادَة ،
صُندُوقَ مُوسِيقَى صَغِيرًا
أستَمِعُ وَحدِي .

طوَالَ اللَّيل
واسمُك
يَشدُو فِي فَمِي ،
يَمتَصُّ لُعَابِي ،

يَمتَصُّنِي .
اسمُك .

فِي التِّلِيفُون
أسمَعُكِ تَخلَعِين
ثِيَابَكِ وَاحِدًا وَاحِدًا
إلَى الأرض .
وَآخِرُ شَيءٍ ،
خَاتَمُك .

سَوفَ تَستَقِلِّينَ القِطَار .
لاَ تَتَأخَّرِي - أقُولُ لَك .
أسرَعَ ، أسرَع .
وَلَسَوفَ تَنتَصِبُ
حَلمَتَاك .

سَاعَاتٌ مُتَوَقِّفَـة .

وَيَدَايَ تَوَقَّفَتَـا .
حَولَ خَصرِك .

التِّلِيفُونُ فِي الصَّبَاحِ
البَاكِر ؛
صَخَبٌ حَولِي
مِن كُلِّ نَاحِيَة ؛
عَرَبَـاتٌ ، أصوَاتٌ ، دَكَّاكِينُ سَمَك ؛
دَرَّاجَةٌ تَسقُطُ عَنِ الجِسر ؛
وَفَجأة
فِي مَركَزِ الصَّخَب
صَمتٌ مُطبِـق
يَمتَلِئُ بِصَوتِك .

الفِرَاشُ فَخُور .
لَقَد رَأى اتِّحَادَنَا
مِثلَمَا غَابَةُ الدُّبِّ المُوغِلَـة
مَعَ النَّهرِ الكَبِير

وَالنُّسُورِ الخَمسَـة .

لَم يَكُن لَدَيَّ بَيتٌ شِعرِيٌّ آخَر
أُضِيفُه .
وَلاَ كَلِمَةٌ أُخرَى .
فِي جَسَدِك
عِشتُ كُلَّ الشِّعر .
قِستُ الأعمَاقَ المُستَحِيلَة
بِرِيشَةٍ زَغبَاءَ مَربُوطَة
بِخَيط -
لَم تَهبِط ، بَل ارتَفَعَت .
شَفَتَاكِ .

حَمَلتُكِ فِي ذِرَاعَي .
وَطِـرت .
جَسَدُك
سَـمَاء .
لاَ طَيَرَان

يَستَنفِدُهَا أبَـدًا .

كُنتِ تَرحَلِين .
إيه - كُنتُ أبكِي لَك -
سَوفَ أُحَطِّمُ هَذَا الكُوب .

ضَحِكتِ .
لَم أُحَطِّمه .

الطُّيُورُ ، الجِبَالُ ، اللَّيَالِي -
كُلُّ مَا هُو جَمِيل
أُنَادِيه بِاسمِك ،
يَسمَعُنِي ويُجِيب .

تَنتَشِرِينَ فِي دَمِي ،
تَملَئِينَ جَسَدِي .
أحتَوِي العَالَم .

لَيــل .
رَمَينَا مَفَاتِيحَنَا
مِنَ النَّافِذَة .
أخَذنَا النُّجُوم .
نَفتَح .

والأغصَان
وَشَجَرُ الزَّان
وَالهِلب .
وَأنتِ فِي الحَدِيقَة
خَلفَ التِمثَـال .

يَومٌ جَمِيـل -
لاَ أستَطِيعُ احتِمَالَه
لأنَّكِ لَستِ هُنَا .

الدَّمُ هُو الشَّفَق ،
الدَّمُ هُو اللَّيـل ،

الدَّمُ هُو الوُرُود .
أنتِ دَم .

كُلٌّ مِنَّا فِي مَكَانٍ آخَر ،
مَعًا وَمُفتَرِقَان ؛
أُمسِكُ بِيَدِك ؛
تُمسِكُ بِي .

عِندَمَا يَأتِي الرَّبِيع –
أخلَعُ مِعطَفِي .
أرمِيهِ عَلَى كَتِفَيكِ .
فِي جَيبِهِ الأيمَـن
حَجَرَةٌ نَاصِعَةُ البَيَاض ،
دَافِئَة .

فِي القَصَائِدِ الصَّغِيرَة
أشيَاءُ كَبِيرَةٌ تَختَبِئ .

غَيرُ مَنطُوقَـة .
تَعرِفِين .

وَرَقَةُ شَجَـر ،
سِيجَارَة ،
قُبلَـة .
آهِ يَا عَالَمِي الحَبِيب .

جَسَدُكِ عُريَان ،
حَقِيقِي -
إجَابَةٌ نِهَائِيَّـة .
عَلَى لَا شَيء
هَيَّـا .

خَمسَةُ أكوَابِ مَاء
امتَلأَت ، فَرُغَت .
أُطِيحُ بِهِم بِقَلَمِ رَصَاص -

صَوتٌ بَعدَ صَوت
هُوَ التَّارِيخ .

أرَدتُ أن أحكِي عنهُم فِي مَكَانٍ مَا ،
أن أشتَرِكَ مَعَهُم -
كَانُوا ضِخَامًا ،
لَم أحكِ عَنهُم .
كَبُرتُ مُختَنِقًا ،
وَحدِي .

نَم عَلَى صَدرِي -
تَقُولِين :
وَأقضِي اللَّيل
عَلَى ثَديك .

كَم تَرفَعُنِي عَالِيًا
قُبُلاَتُك .
أضِيع .

أمسِكِي بِي .

الآن
السَّمَاء
هِيَ أرضِي .
أرضِي الشَّاسِعَة
هِيَ السَّمَاء .

دَاخِل جَسَدِك
وُلِدتُ وَأمُوت
وَأُولَـد .

رَمَيتِ المُلاَءَات .
فَتَحتِ النَّوَافِذ ،
فَامتَلأنَا بِالنُّجُوم .
فَرَاشَةٌ ذَهَبِيَّة
عَلَى شَعرِك .

دَائِمًا مَا تَأتِين
بِزُهُورٍ فِي ذِرَاعَيكِ .
وَأنتَظِر
مِن أجلِ الزُّهُورِ وَأجلِك .
مَا الَّذِي جَرَى لِلحَدائِق ؟

اللَّيـل .
أرِيكَةٌ حَجَرِيَّة
عَلَى البَحـر .
تَخلَعِينَ صَندَلَك .
سَفِينَةٌ تَتَوَهَّجُ بِالأضوَاء
كَانَت تَرحَل .

الشَّذَى المُفَاجِئ
لِلأُورجَانُو الكَئِيب .
أرَيتُكِ القَمَرَ الصَّغِير
فَوقَ التَّل .
لَم نَتَكَلَّم .

تَكَاثَرَ الحَدِيث
إلَى "شُكرًا" وَحِيدَة .

كُلُّ مَا ألمَسُه ،
الجَرِيدَةَ ، المِنضَدَة ، كُوبَ المَاء ،
إنَّمَا ألمَسُكِ أنتِ .
يَدَاي
تَتَشَبَّثَان بِثَدْيَيك .
لاَ سُلطَانَ لِي عَلَى يَدِي .
نَهَارَاتٌ ، لَيَـال .
مَجبُولَةٌ مِن نَـار .
زُجَاجُ نَوَافِذَ مَكسُور ،
أبوَابٌ مُوصَـدَة .

وَردَةٌ هَائِلَـة
تَشبُّ مُنفَـرِدَة
فِي الظَّلاَم .

طَرقَةٌ عَلَى البَاب .
التِّلِيفُون يَرِن .
لاَ شَيءَ .
لَسنَا هُنَا .
نَحنُ مَعًا .
غَائِبَـان .
وَالمَطَرُ المُتَآمِر .

شَكلُ جَسَدِك
طِيـن
فِي كَفِّي ،
يُصبِحُ جَـرَّة ،
قَارُورَة ،
تِسعَةَ تَمَاثِيـل
وَنِسـر .

يَدَاي تَذكُرَانَك
أكثَرَ عُمقًا مِن الذَّاكِرَة .

الأجسَـاد
نَفيٌ لِلكَلِمَـات .
فَهيَ تَتَوَاصَل
عَارِيَةً بِلاَ حَدِيث .
تَمثَالاَ أبِي الهَول
الحَجَرِيَّان
يَنظُرُ كُلٌّ مِنهُمَا إلَى الآخَر .
وَمِن شِفَاهِهِمَا
يَنسَاب
المَاءُ اللاَّزَوردِي .

خَلَعنَا ثِيَابَنَا .
أغلَقنَا البَابَ ، وَمَنَعنَا
دُخُولَ
البُيُوتِ ، الكِلاَبِ ،
الحَدَائِقِ ، التَّمَاثِيل ،
وَالمَوت .

هَل عَرَفت ؟
هَاتَان الكستِنَاءَتَان
مَا تَزَالاَن هُنَاك
عَلَى المِنضَدَةِ العَارِيَة .
أحِبُّك .

كَيفَ يَعِيشُ المَوتَى
بِلاَ حُب ؟

فُسُوقٌ عَمِيق .
المَدَائِنُ تَنهَار ،
الأحصِنَةُ تَعدُو ،
أعمِدَةُ الإنَارَة تَهوِي ،
بِلاَ صَخَب ، بِلاَ صَخَب .

تَرضَعِينَ إبهَامِي –
طِفلَةً ، فَشَبِعَت ،
وَشَبِعت .

لاَ أُحَادِثُكِ بِالتِّلِيفُون .
صَامِتٌ عَنك .
أنَا أنت .
فِي اللَّيل
عِندَمَا تَخلُو المُنتَزَهَات ،
أتَحَدَّثُ مَعَ التَّمَاثِيل .

حَفَرتُ بِيَدِي
بِشَفَتَي ،
بِعَينَي .
وَالجِدَارُ سَاكِن ،
هُنَاك .

شَاجَرتُ الشَّجَرَة .
قَطَعتُهَا ،
كَثِيرَةً كَانَت أورَاقُهَا .
غَطَّتنِي .

أُودِيسيُوس - تَقُولِين -
وَبِينِيلُوب ،
كَانَا مِن لاَزَورد .
المِنضَدَةُ كَانَت حَمرَاء ،
الفِرَاشُ كَانَ أحمَر .
وَعَلَى الثَّوبِ المَغزُولِ المُطَرَّز
بِالأغصَان ،
المَلفُوفِ فِي ألفِ طَيَّة ،
يَتَمَدَّدُ السَّيفُ الكَبِيـر .

كَانَت الحَرب ،
كَانَ الحُب .
وَنَحنُ - الاثنَين -
مَذبُوحَان .
لَلَمنَا ذَبِيحَينَا .
خَلَعنَا ثِيَابَهُمَا .
تَمَدَّدنَا .

تَقُولِين :
أُحِبُّ شَعرَك ،
أَظافِرَك ،
لِسَانَك .
عَلَى المَمَـرِّ المُكتَسِي
بِالقرمِيد ،
فِي الظَّلاَم ،
كَانَت خُطَى الحُرَّاسِ
مَسمُوعَـة .

نَسَيتِ مِظَلَّتَك
فِي القِطَار .
هَل كُنتِ تُفَكِّرِينَ فِي .
آنَئِـذٍ ؟
كَانَ شَعرُكِ مَبلُولاً .
مَشَّطتُه
وَوَضَعتُ المشـط
تَحتَ القَصِيدَة .

قُمنَا بِجَولَة
وَنَحنُ نَقضُمُ التُّفَّاحَة
الحَمـرَاء
بِدُونِ تَقشِيـر .
مَا أنصَعَ بَيَاضَ أسنَانَك .
مَا أكثَرَ حُمرَةَ الحُلم .

أينَمَا تَكُونِين ،
فَأنتِ بِجِوَارِي .
أشدُّ حِزَامَكِ
حَولَ خَصرِي .
زَهوِي العَمِيق .

القَصِيدَةُ غَيمَـة ،
رُبَّمَا حَتَّى الضَّوء
بِلاَ جَسَد .
فِي جَسَدِك أكُون .

كُلُّ مَا قُلنَاه
كُلُّ مَا لَم نَقُله
يُقَوِّي القَصِيدَة .
عَلَى القَوصَرَة
شَجَرَةُ سروٍ شَاهِقَة
بَين
حِصَانَين مِن رُخَام .

تَوَهَّجَ الغُرُوب
عَلَى كَتِفِ طَائِر .
رَأَينَاهُ مَعًا .
ابتَسَمنَا .
يَدُكِ عَثَرَت عَلَى طَرِيقِهَا
إِلَى يَدِي .

البَيتُ الَّذِي عِشنَا فِيه
يَتبَعُنِي .
لَكِن

عَلَى يَمِينِ الطَّرِيق
رَأيتُ غَابَةً
مِن بَنَفسَجٍ وَذَهَب ،
وحُزنًا
لأنَّكِ لَم تَرَيهَا .

فِي مُوَاجَهَةِ البَابِ الزُّجَاجِي
الجَبَلُ المُغَطَّى بِالثُّلُوج .
كَم كَانَت يَدَاكِ دَافِئَتَين
وَثَدَيَاك .

بَينَ البُيُوت
أشجَارُ بُرتُقَال .
ذَهَبِيًّا يَلتَمِعُ البُرتُقَال .
لازَوَردِيًّا الجَبَلُ الطَّوِيل .
أوِ ، الذَّهَبِيُّ وَاللَّازَوَردِي .
لَو أستَطِيعُ أن أرَاهُمَا فِي عَينَيك .

مِن النَّافِذَةِ الطَّوِيلَـة
أرَى النَّاسَ ، وَالبُيُوت ،
وَالحَدَائِق ،
قَوسَ قزَح ،
وَجَرَّارًا بُرتُقَالِيًّا ،
وَقِطَّة ،
وَقَوسَ قزَحٍ آخَر .
أهوَ أنتِ ؟

إلَى جَسَدِك مَشدُودَة
الجِبَالُ والأشجَار ،
الغُيُـوم ،
البَحرُ القَدِيـم .
جَسَدُكِ يَتَكَاثَف -
جَسَدٌ خَالِص .
جَسَـدِي .

لَو أنَّنَا نَظَرنَا إلَيهِم مَعًا

لَكَانُوا قَد ازدَادُوا جَمَالاً -
أورَاقُ شَجَرٍ حَمرَاء ،
تِلاَلُ خَضرَاء ،
بَوَّابَةُ حَدِيقَة ،
المَطَـر .
لَكِنَّنَا عِندَمَا نَكُونُ مَعًا
لاَ نَرَى شَيئًا .

مِن البِدَايَةِ تَهَجَّيت
المُوسِيقَى
مَعَك -
دُو ، رِي ، مِي ،
عَكَستُ الحُرُوف :
-يمِيـرُود -
اكتَشَفتُ المُوسِيقَى
لأتَحَدَّثَ مَعَك
دُونَ صَوت .

أُسَمِّيكِ بِمِيرُود -
أمَزِّقُ ثَوبَك ،
أصعَدُ السَّلاَلِم ،
أمضِي بِلاَ مَاء .

وَسطَ هَذَا التَّعَب .
نَهَمُ أيدِينَا الَّذِي لَا يَشبَع .

إلَى أيِّ مَدًى تَنحَنِين
كِي تَعثُرِي عَلَى جُذُورِك ،
كَي تَنغَلِقَ الدَّائِرَة ؟
لاَ تَنغَلِق .
لَيسَت دَائِـرَة .
لَولَـب .

السَّامِي وَالتَّافِه
أحيَانًا مَا يَلتَقِيَان

فِي النَّبضَةِ الوَاحِدَة .
لاَ يُقِيمُ الحُب
أيَّ فَاصِـل .

بَحرٌ قَوِي
دَاكِنُ الزُّرقَـة
أضَاءَ وَجهَك .
كُلُّ المَوتَى
تَبَدَّدُوا بِفِعلِ الشَّمس .

بَنَفسَجٌ بَـرِّي ،
أزهَارُ مَرجرِيتَا بَرِّيَّة ،
زَنَابِق .
عَلَى الصَّخرَة
الجَرَّةُ الرُّخَامِيَّة
مَعَ دَمِي .

فِيمَا بَعد
يَبقَى
شَيءٌ مَا صُلبٌ وَحَي .
السَّرَطَانَاتُ تَزحَف
فَوقَ المَرَاكِبِ المُحَطَّمَة .

مَـرَّ الصَّيَّادُون
بِسِلاَلٍ خَاوِيَـة .
تَرَاقَصَ القَمَـر
عَلَى رُكبَتَيك .
لَم أعُد أستَطِيعُ التَّمييز
بَين الخَوَاءِ وَالامتِلاَء .

ارتَطَمَ صَدرَانَا
بِمَا لَا يُمكِنُ اجتِيَازُه .

قَيظُ الظَّهِيرَة .

صُخُورُ مُونِيمفَاسيَا
الحَصَى الأبيَض
وَالكُمّثرَى الشَّائِكَةُ المُرعِبَـة
مَعَ هَذَا النَّزَقِ الطُّفُولِي -
عِندَمَا كُنتِ تَتَعَرَّين .

وَالإعَادَة
تَجدِيـد .
شَعرُكِ
الَّذِي تَطَايَرَ إلَى نَاحِيَةٍ وَاحِدَة
يَتَكَلَّمُ بِطَرِيقَةٍ أُخرَى .

هُنَاكَ حَيثُمَا تَكُونِين ،
هَل تَسمَعِينَ القِطَار ؟
لَقَد مَـر .
اشتَرَيتُ بُرتُقَالاً .
إنَّهَا تُمطِـر .

عِندَمَا اتَّكَأتِ بِيَدِك
عَلَى رُكبَتِي أو كَتِفِي
أو خَصرِي
غَيَّرَ العَالَمُ مَوقِعَه .
يَطُولُ الوَقت ،
تُصبِحِينَ طُوِيلَـة .
صُورَتُكِ سَاكِنَـة
عَلَى الحَائِطِ الدَّاخِلِي .

أستَمِع .
شَيءٌ مَا يُقَرقِع
فِي الخَشَبِ ، فِي زُجَاجِ النَّافِذَة ،
فِي المِرآة .
عِندَمَا نَلتَقِي مِن جَدِيد
هَل سَنَكُونُ أنفُسَنَا مِثلَمَا كُنَّا ؟

لَكِن بِالطَّبع
هَنَاكَ ألوَانٌ أُخرَى

وَأمَاكِنُ أخرَى .
فِي انتِصَافِ حُلمِي
أتَذَكَّـر .
وَأستَيقِظ .

الآن
نَحوَ أيِّ جَانِبٍ مِن الأُفُق
يُرَفرِفُ شَعرُك ؟

وَلاَ حَتَّى هَذِه اللَّيلَـة
هُنَاكَ قَمَـرٌ مُكتَمِل .
قِطعَةٌ مَا نَاقِصَـة .
قُبلَتُك .

حَرَكَةُ يَدِك
عِندَمَا تَخلَعِينَ ثِيَابَك -
لاَ تُمحِـى .

فِي مِرآةِ المَمَـر
تِسعَةُ مَصَابِيح
مُسَـمَّرَةٌ فِي الحَائِط .

هَذَا الخَوف -
مِن أنَّ شَيئًا مَا رُبَّمَا بَقِي
فَلَم آخُذه .
وَالخَوفُ
مِن أنَّ الأبَدِيَّ رُبَّمَا
يَنتَهِي .

يَا لَلغَرَابَـة -
الأضوَاءُ تُعتُم ،
أنوَارُ نَافِذَةِ الدُّكَّان ،
تَنطَفِئ .
قَبلَ أن يَحلَّ الليل
يُشرِقُ الفَجـر .

حَرَكَةٌ مِن جَدِيـد : حَرَكَةُ البُيُوتِ ، وَالشَّـوَارِع .

كَلِمَـةٌ شَبَقِيَّـة

[1]

نَومٌ شَهوَانِيٌّ ، بَعدَ النِّكَاح . مَلاَءَاتٌ مَبلُولَةٌ بِالعَرَقِ تَتَدَلَّى مِنَ السَّرِيرِ إلَى الأرض . فِي نَومِي ، أسمَعُ النَّهرَ القَوِي . فِي إيقَاعٍ مُتَبَاطِئ . جُذُوعُ الأشجَارِ الضَّخمَةِ تَتَدَحرَجُ مَعَه . فِي غُصُونِهَا يَجلِسُ ألفُ طَائِرٍ بِلاَ حَرَكَةٍ يُبحِرُونَ مَعَ أُغنِيَةٍ مَدِيدَةٍ مِن مَاءٍ وَأورَاق ، تُقَاطِعُهَا النُّجُوم . أُمَرِّرُ يَدِي تَحتَ رَقَبَتِكِ بِخِفَّةٍ ، خَوفًا مِن قَطعِ أُغنِيَةِ الطُّيُورِ فِي نَومِك . غَدًا فِي العَاشِرَة ، عِندَمَا تَفتَحِينَ مَصَارِيعَ النَّافِذَة ، وَتَندَفِعُ الشَّمسُ إلَى الغُرَف ،

سَتَظهَرُ العَضَّةُ فِي شَفَتِكِ السُّفلَى أكثَرَ وُضُوحًا فِي المِرآة ، وَسَوفَ يَتَحَوَّلُ البَيتُ إلَى حُمرَةٍ بَهِيجَة ، مُبَرقَشَةٍ بِزَغَبٍ ذَهَبِيٍّ وَقَصَائِدَ لَم تَكتَمِل.

[2]

عُدتِ تَضحَكِينَ مِنَ السُّوقِ ، مُحَمَّلَةً بِالخُبزِ ، وَالفَاكِهَةِ ، وَكِمِّيَّةٍ مِنَ الزُّهُور . الرِّيحُ - كَمَا أرَى - مَرَّرَت أصَابِعَهَا خِلاَلَ شَعرِك . أقُولُ لَكِ مَرَّةً أُخرَى: إنَّنِي لَا أحِبُّ الرِّيح . مَا الَّذِي تُرِيدِينَه مِن كُلِّ هَذِه الزُّهُور ؟

أيًّا مِنهَا مَنَحَه لَكِ بَائِعُ الزُّهُورِ مَجَّانًا ؟ وَرُبَّمَا تَبَقَّت صُورَتُكِ فِي مِرآتِه ، مُضَاءَةَ الجَانِبِ مَعَ بُقعَةٍ زَرقَاءَ عَلَى ذَقنِك . لَا أُحِبُّ الزُّهُور . عَلَى صَدرِك

تَنَامُ وَردَةٌ كَبِيرَةٌ بِحَجمِ يَومٍ بِكَامِلِه . وَالآن ، اجلِسِي قُبَالَتِي ؛

أُرِيدُ أن أنظُرَ إلَى مُنحَدَر رُكبَتَيكِ بِنَفسِي ، وَحدِي ، وَأنَا أُدَخِّن

إلَى أن يَحُلَّ اللَّيلُ سِرًّا ، وَيَنتَصِبَ قَمَرٌ أرضِيٌّ ، مَسحُورًا ، فَوقَ سَرِيرِنَا

قَمَرُ لَيلَةِ سَبتٍ مَعَه قِيثَارَةٌ وَمِزمَارٌ وَسَانتُورِي .

[3]

مَا أزَالُ نَائِمًا ، أسمَعُكِ تُنَظِّفِينَ أسنَانَكِ بِالفُرشَاةِ فِي الحَمَّامِ . هَذَا الصَّوتُ يَحوِي أنهَارًا ، وَأشجَارًا ، وَجَبَلاً يَضُمُّ كَنِيسَةً بَيضَاءَ صَغِيرَةً ، وَقَطِيعًا مِن شِيَاهٍ تَرعَى العُشبَ (أسمَعُ أجرَاسَهَا) ، وَحِصَانَين حَمرَاوَين ،

عَلَمًا فِي شُرفَةِ البُرجِ ، وَطَائِرًا فَوقَ المَدخَنَة ،

نَحلَةَ عَسَلٍ تَطِنُّ فِي زَهرَةٍ - الزَّهرَةُ تَرتَعِش -
آه - مَا أطوَل مَا تَستَغرِقِين !
وَلاَ تَبدَئِينَ فِي تَمشِيطِ شَعرِكِ الآنَ ، لأنَّنِي نَائِمٌ ، أقُولُ لَكِ ، فِي انتِظَار شَفَتَيكِ . أُحِبُّ رَائِحَة النَّعنَاعَ فِي لُعَابِك .
وَحَالَمَا أستَيقِظ ، سَأرِي فِي المَنوَرِ كُلَّ أمشَاطِكِ ، وَدَبَابِيسِ الشَّعر ، وَفُرَشِ الأسنَان .

[4]

القَصَائِدُ الَّتِي عِشتُهَا فِي جَسَدِك ، فِي صَمت ،
سَوفَ تُطَالِبُنِي ذَاتَ يَومٍ بِأصوَاتِهَا ، عِندَمَا تَكُونِينَ قَد رَحَلت .
لَن يَكُونَ لَدَيَّ - وَقتَهَا - أيُّ صَوتٍ لأتَكَلَّمَ مَعَهَا . لأنَّكِ كُنتِ مُعتَادَةً - دَائِمًا - عَلَى المَشي حَافِيَةً خِلاَلَ الغُرَف ، ثُم تَجثُمِينَ فِي السَّرِير كُتلَةً مُتَشَابِكَةً مِن زَغَبٍ ، وَحَرِيرٍ ، وَنَارٍ وَحشِيَّة . تَعقِدِينَ ذِرَاعَيك حَولَ رُكبَتَيك ، فَتَسمَحِينَ لِبَاطِن قَدَمَيكِ المُغبَرَّتَينِ الوَردِيَّتَين بِالتَّمَطِّي فِي إغرَاءٍ
تَذَكَّرِنِي - تَقُولِينَ مَا يُشبِه ذَلِك !
مِثلَ ذَلِكَ تَذَكَّرِنِي ، بِقَدَمَيَّ المُتَرِبَتَين ، بِشَعرِيَ السَّاقِطِ عَلَى عَينَي - لأنِّي عَلَى هَذَا النَّحوِ أرَاكَ بِصُورَةٍ أكثَرَ عُمقًا . حَسَنًا ، إذَن ،
كَيفَ يُمكِنُ أن يَكُونَ لِي صَوت ؟ أبَدًا مَا مَشَى الشِّعرُ عَلَى هَذَا النَّحوِ

تَحتَ أشجَارِ التُّفَّاحِ المُزهِرَةِ بِالأبيَضِ النَّاصِعِ فِي أيِّ فِردَوس .

[5]

عِندَمَا لَا تَكُونِينَ هُنَا ، لَا أعرِفُ أينَ أنَا . البَيتُ يُقفِر . السَّتَائِرُ تُرَفرِف خَارِجَ النَّوَافِذ ،

المَفَاتِيحُ عَلَى المِنضَدَة . عَلَى الأرضِ . دَوَالِيبُ المَلَابِسِ مَفتُوحَةٌ مِن رِحلَاتٍ قَدِيمَة ، عَلَي الثِّيَابِ الغَرِيبَةِ لِفِرقَةٍ مَسرَحِيَّةٍ كَانَت ذَاتَ يَومٍ مُزدَهِرَةً وَانفَضَّت أخِيرًا ؛

نَجمَةُ الفِرقَةِ الجَمِيلَةُ انتَحَرَت ذَاتَ لَيلَةٍ عَلَى خَشَبَةِ المَسرَح . عِندَمَا لَا تَكُونِينَ هُنَا ،

يَركُضُ الجُنُودُ فِي الشَّوَارِعِ بِالخَارِج ، تَصرُخُ النِّسَاء ؛

العَرَبَاتُ الثَّقِيلَةُ تُقعقِع ؛ تَنطَلِقُ الصُّفَّارَات .

تَمُرُّ سَيَّارَاتُ الإسعَافِ وَتَتَوَقَّف ، المُمَرِّضَاتُ فِي الزِّيِّ الأبيَضِ يُلَمِلِمُونَ الجَرحَى مِن الأسفَلت ، يُلَمِلِمنَنِي أيضًا ، يَحمِلنَنِي إلَى مُستَشفَى بَيضَاء نَظِيفَةٍ بِلَا أسِرَّة ؛

أُغمِضُ عَينَي كَطِفلٍ مُحَاصَرٍ بِالأبيَضِ الخَطِر .

إحدَى المُمَرِّضَاتِ ظَلَّت فِي الحَدِيقَة عِندَ النَّافُورَةِ ، تَنحَنِي وَتَجمَعُ وُرُودًا بَيضَاء أسقَطَتهَا الرِّيحُ مِن أشجَار الأكَاسيَا . وَهُنَاكَ ، ينفَتِحُ البَاب، وَتَدخُلِينَ بِسَلَّةٍ - الكُمَّثرَى اليَانِعَةُ تَفُوحُ بِالعُذُوبَة .

أأنتَ نَائِم ؟ أسمَعُ صَوتَك . أأنتَ نَائِمٌ وَحدَك ؟ ألَستَ فِي انتِظَارِي ؟
أفتَحُ عَينَي . هُو البَيت ، وَهَا أنَذَا ، وَالمِقعَدَان . المِقعَدَان الأحمَران .
وَالكِبرِيتُ عَلَى المِنضَدَة .
أيُّهَا الضَّوءُ الأبيَضُ الصَّافِي ، أيُّهَا الدَّمُ الأحمَرُ ، يَا حُبِّي ، يَا حُبِّي .

[6]

فِي الصَّبَاحِ أكُونُ دَائِمًا أكثَرَ تَعَبًا مِنكِ ،
رُبَّمَا أكثَرَ سَعَادَة . تَنهَضِينَ بِلاَ ضَوضَاء ،
تَصدِرُ الملاَءَاتُ حَفِيفًا ضَعِيفًا ، تَخرُجِينَ بِأقدَامٍ حَافِيَةٍ . وَأنَا أُوَاصِل النَّومَ
فِي دِفءِ جَسَدِكِ العَارِي
البَاقِي فِي الفِرَاش . أنَامُ فِي شَكلِ جَسَدِك ، أغرِقُ فِي ظُلمَةٍ بَيضَاء .
أسمَعُكِ تَقِفِينَ عِندِي ، حَائِرَةً ، تَعبُرُ ابتِسَامَتُكِ جَسَدِي كُلَّه ، تُلِينُ
أظَافِرِي . أنَام .
أشرِعَةٌ نَاصِعَةُ البَيَاضِ تَمرُقُ بِلاَ حَرَكَة .
بَطَّانِيَّةٌ حَمرَاءُ تَتَدَلَّى عَلَى خَطِّ الأمواَج . الأحمَرُ يُثقِلُ جُفُونِي .
نِسَاءٌ عَارِيَاتٌ فِي النَّهر . رِجَالٌ عَرَايَا فِي الأشجَار ،
أحصِنَةٌ مَهِيبَةٌ (لَيسَت حَزِينَةً) تَمشِي الهُوَينَى فِي مِيَاهِ البَحرِ الضَّحلَة .
أحَدُهُم فِي حَالَة انتِصَاب ، وَقَضِيبُه الأسوَدُ يَكَادُ يَلمَسُ المَاء .
فَتَاةٌ تَبكِي . صَبِيٌّ يَحفُرُ بِالمِطوَاةِ رَقَم 99 فِي شَجَرَةِ تُوت ، ثُم يُضِيف 9

أخرَى . أنَامُ أكثَرَ عُمقًا ، أكثَرَ نومًا . عُصفُورٌ يَحُطُّ فَوقَ عُرفِ أسَدٍ أبيَض ، تِر ، تِر - يَصِيح .
العَالَمُ سَائِلٌ مَنَوِيٌّ نَاضِرٌ وَبَهِيٌّ وَكَثِيف .
صَبَاح الخَيرِ يَا حَبِيبَتِي ، صَبَاح الخَيـر .

[7]

أخَذتِ مِنِّي كُلَّ شَيء ، فَلَن يَجِدَ المَوتُ مَا يَأخُذُه .
فِي جَسَدِكِ أتَنَفَّس ، لَقَد زَرَعتُ ألفَ صَبِيٍّ فِي حَقلِكِ الكَادِح ،
ألفُ حِصَانٍ يَركُضُونَ عَلَى الجَبَل ، يَجُرُّون وَرَاءَهُم أشجَارَ تَنُّوبٍ مَقلُوعَـة؛
يَنزِلُونَ إلَى ضَوَاحِي المُدُن ، يَرفَعُونَ رُؤُوسَهُم ،
يُحَدِّقُون بِعُيُونِهِم اللَّوزِيَّةِ السَّودَاءِ فِي "الأكرُوبُولِيس" ، أضوَاءُ المَصَابِيح الشَّاهِقَة
تَفتَحُ وَتُغمِضُ جُفُونَهَا القَصِيرَة . تَدفَعُهُم أضوَاءُ المُرُورِ الخَضرَاءُ وَالحَمرَاءُ إلَى ارتِبَاكٍ كَرِيه .
وَعَسكَرِي المُرُورِ هَذا يُحَرِّكُ يَدَيه كَأنَّه يَقطُفُ فَاكِهَةً لاَمَرئِيَّةً مِن اللَّيل . أو يُمسِكُ بِنَجمَةٍ مِن ذَيلِهَا .
يُدِيرُونَ ظُهُورَهُم كَأنَّهُم تَلَقُّوا هَزِيمَةً فِي مَعرَكَةٍ لَم يَخُوضُوهَا . ثُم فَجأةً ، يُهزُّون أعرَافَهُم مِن جَدِيد ، وَيَركُضُون إلَى البَحر . عَلَى أكتَافِهِم بَيَاضًا تَقفِزِين ، عَارِيَة .

أصِيحُ عَلَيكِ . يُطَوِّقُ ثَديَيكِ بِالعَرَضِ غُصنَانِ مِن لِبلاَب . وَحَلَزُونٌ يَنَامُ بِلاَ حَرَكَةٍ فِي شَعرِك .

أصِيحُ عَلَيكِ ، يَا حَبِيبَتِي .

ثَلاَثَةُ مُقَامِرِين ، سَاهِرِين طوَالَ اللَّيلِ ، يَذهَبُونَ إلَى دُكَّانِ اللَّبَنِ المُجَاوِر . يُشرِقُ النَّهَار . تَنطَفِئُ أضوَاءُ المَدِينَة .

وَاللَّونُ الفَاتِحُ الشَّاسِع يَنسَكِبُ وَيِيدًا عَلَى بَشرَتِك . أنَا دَاخِلُك . أَصِيحُ مِن دَاخِلِك . أصِيحُ عَلَيكِ هُنَا

حَيثُ الأنهَارُ تَلتَقِي فِي صَخَب ،

وَالسَّمَاءُ تَتَدَحرَجُ فِي الجَسَدِ الإنسَانِي ، فَتَرفَعَ مَعَهَا الكَائِنَاتِ وَالأشيَاءَ الفَانِيَة -

بَطٌّ بَرِّيٌّ ، نَوَافِذ ، جَوَامِيس ، صَندَلُكِ الصَّيفِي ، أحَدُ أسَاوِرِك ، قُنفُذٌ بَحرِي ،

حَمَامَتَان ،

إلَى أرَاضِي العَصِيِّ عَلَى التَّفسِيرِ وَمَا لَا يَعرِفُ الخُلُود .

[8]

لاَ أُرِيدُ أن تَصعَدِي سَلاَلِم المُستَشفَيَات . لَا أُرِيدُ أن تَقِفِي أمَامَ الأبوَابِ المُوَارَبَة لِغُرفَةِ العَمَلِيَّات - جَسَدٌ مُمَزَّقٌ ، دَم -

إنَّهَا لَيسَت دَورَتَكِ الشَّهرِيَّة ، رَغمَ أنَّ ذَلِكَ أيضًا يَدفَعُنِي إلَى الانسِحَاب ،

يَعُوقُنِي ، يُبهِجُنِي . خُلِقَ الدَّم ،
لِيَنسَابَ خَفِيًّا فِي الشَّرَايِين ، لِنَسمَعَه فِي اللَّيل ،
قَلبًا لِقَلب ، كَمُوسِيقَى فِي الطَّابِقِ التَّحتِي .
حَيثُ يَتَهَيَّأُ اثنَانِ آخَرَان - مَعَ المُوسِيقَى - لِتَعمِيقِ حُبِّهِمَا . لَا أُرِيدُ أن
تَتَمَشَّىْ فِي هَذِهِ المَمَرَّاتِ الَّتِي تَفُوحُ بِاليُودُوفُورم وَالكَافُورِ وَالمَوتِ
. لَا أُرِيدُ أن تَكُونِي مُمَرِّضَةً لأحَدٍ وَلاَ حَتَّى مُمَرِّضَتِي . لَا أُرِيدُ أن
تَرعَي مَشلُولِين ، وَتَمَاثِيلَ مَبتُورَةً ، وَقِمرِيَّةً
تَحَطَّمَ جَنَاحُهَا مِن طَلقَةِ رَش . لَا أُرِيدُ لابتِسَامَتِكِ أن تَقَعَ عَلَى أجسَادٍ
عَارِيَةٍ قَتِيلَة ، حتَّى لَو كَانُوا رِفَاقًا لِي .
يَلِيقُ بِكِ أن تَظَلِّي سَاكِنَةً فِي شَبَابِكِ ، أو مَعَ قَلِيلٍ مِن الحَرَكَاتِ كَي تُسَيطِرِي
عَلَى المَوجَاتِ قَبلَ السَّرِير ، أو فِي الحَدِّ الأقصَى أن تُمَشِّطِي شَعرِيَ
المَبلُولَ بَأشكَالٍ بَهِيجَةٍ جَمِيلَةٍ ، أو حتَّى أن تَأتِي بِصِينِيَّةٍ كَبِيرَةٍ
بِالشَّايِ كُلَّ صَبَاحٍ كَأنَّكِ تَأتِين
بِقِيثَارَةٍ ، دُونَ نِيَّةِ العَزفِ ، حَيثُ تَعزِفُ القِيثَارَةُ مِن تِلقَاءِ ذَاتِهَا وَأنَا أرفَعُ
عَينَيَّ نَحوَك .
لأنَّ مَدِينَةً مُضَاءَةً بِفَوَانِيسَ خَضرَاء
تَتَوَهَّجُ عَلَى الحَجَرِ النَّارِيِّ لِلخَاتِمِ الَّذِي جِئتِنِي بِه .
فِي شَوَارِعِهَا رَاقِصُون صِغَارٌ يَدُورُون فِي دوَّامَاتٍ بِفَوَانِيسَ وَزُهُورٍ مِن وَرَقٍ
قُرمُزِي ،
وَمِن الشُّرفَةِ يَنثُرُ شَابٌّ عَلَى شَعرِهِم قَصَائِدِي المُمَزَّقَة .

ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّنِي أُدِيرُ حَجَرَ خَاتِمِي ، لأحشُرَه فِي كَفِّي حَتَّى لَا تَفتِنَ عَينُ غَرِيبٍ حَسُودَةٌ أو بَرِيئَةٌ هَذِه السَّعَادَةَ اللاَّنِهَائِيَّةَ فِي الزَّمَن ، خَارِجَ الزَّمَن ،

فَلاَ نَجِدَ فِي الصَّبَاحِ التَّالِي الدَّبَبَةَ الثَّلاَثَةَ فِي المصعَدِ مَقتُولِين .

[9]

كَم أنتِ جَمِيلَةٌ . جَمَالُكِ يُرعِبُنِي . أجُوعُ لَكِ . أعطَشُ لَكِ .

أستَكشِفُكِ ، فَخَبِّئِي نَفسَكِ ، كُونِي لَا مَرئِيَّةً لِلجَمِيعِ ، مَرئِيَّةً لِي وَحدِي .

تَتَغَطَّينَ مِن قِمَّةِ الرَّأسِ إلَى إخمَصِ القَدَم بِوِشَاحٍ شَفَّافٍ دَاكِن

مُبَرقَشٍ بِلَمَحَاتٍ فَضِّيَّةٍ مِن أقمَارِ الرَّبِيعِ .

وَمَسَامُّك تُصدِرُ أصوَاتًا لَيِّنَةً ، وَأصوَاتًا سَاكِنَةً مَلهُوفَةً ، كَلِمَاتٌ سِرِّيَّةٌ نُطِقَت ، وَانفِجَارَاتٌ وَرِدِيَّةٌ مِن فِعلِ النِّكَاح . وِشَاحُكِ يَتَطَايَرُ يَتَوَهَّج .

فَوقَ المَدِينَةِ الَّتِي دَاهَمَهَا اللَّيلُ بِبَارَاتِهَا الدَّاكِنَةِ ، المَكَانِ المُفَضَّلِ لِبَحَّارَتِهَا ،

بُقَعُ ضَوءٍ خَضرَاءُ تُنِيرُ الصَّيدَلِيَّاتِ اللَّيلِيَّة .

كُرَةٌ أرضِيَّةٌ مِن زُجَاجٍ تَدُورُ سَرِيعَةً فَتَعرِضَ مَشهَدَ الكَوكَبِ الأرضِي . وَالرَّجُلُ المَخمُورُ يَتَرَنَّح

فِي عَاصِفَةٍ هَبَّت مِن تَنَفُّسِ جَسَدِك . لَا تَذهَبِي . لَا تَذهَبِي .

وَاضِحَةً هَكَذَا ، مُحَيِّرَةً هَكَذَا .
ثَورٌ حَجَرِيٌّ يَقفِزُ مِن القَوصَرةِ إلَى العُشبِ الجَاف . امرَأةٌ عَارِيَةٌ
تَصعَدُ السَّلاَلِمَ الخَشَبِيَّةَ وَهِيَ تَحمِلُ طِستَ مَاءٍ سَاخِن . البُخَارُ يُخفِي
وَجهَهَا .
عَالِيًا فِي الفَضَاء ،
طَائِرَة استِطلاَعٍ هِلِيكُوبتر تَتَنَقَّلُ فَوقَ مَنَاطِقَ عَشوَائِيَّة . انتَبِهِي .
فَأنتِ مَن يَبحَثُونَ عَنه ، خَبِّئِي نَفسَكِ بِصُورَةٍ أعمَقَ فِي يَدِي .
وَبَرُ البَطَّانِيَّةِ الحَمرَاءِ التِي تُغَطِّينَا يَكبُرُ دَائِمًا ، تُصبِحُ البَطَّانِيَّةُ دُبَّةً
حَامِلاً . تَحتَ الدُّبَّةِ الحَمرَاءِ نُمَارِسُ الجِنسَ بِلاَ انتِهَاء .
فِيمَا وَرَاءَ الزَّمَن ، فِيمَا وَرَاءَ حَتَّى المَوت ، فِي اتِّحَادٍ كَونِيٍّ مَعزُول .
كَم أنتِ جَمِيلَةٌ . جَمَالُكِ يُرعِبُنِي .
أجُوعُ لَكِ ، وَأعطَشُ لَك ، فَخَبِّئِي نَفسَك .

[10]

كُلُّ الأجسَادِ التِي لَمَستُهَا ، التِي رَأيتُهَا ، التِي نِلتُهَا ، التِي حَلُمتُ بِهَا ، كُلُّهَا
مُكَثَّفَةٌ فِي جَسَدِك . يَا "ديُوتِيمَا" الشَّبَقِيَّةَ فِي المَأدُبَةِ الكُبرَى لِلإغرِيق .
عَازِفُو النَّاي ذَهَبُوا ، الشُعَرَاءُ والفَلاَسِفَةُ ذَهَبُوا . والشُّبَّانُ الجَمِيلُونَ نَائِمُون
الآنَ بَعِيدًا فِي غُرَفِ نَومِ القَمَر ، وَأنتِ وَحِيدَةٌ فِي ابتِهَالِي .
صَندَلٌ أبيَضُ مَربُوطٌ بِسُيُورِهِ البَيضَاء الطَّوِيلَةِ إلَى رِجلِ الكُرسِي .

أنتِ نِسيَانٌ مُطلَقٌ ، أنتِ ذاكِرَةٌ مُطلَقَة . أنتِ هَشَاشَةٌ لَا تَتَهَشَّم .
النَّهَارُ يَبزُغ . كُمَّثرَى طَازِجَةٌ لاَذِعَةٌ تَنبَثِقُ مِن الصُّخُور .
شَمسٌ وَردِيَّةٌ تَتَمَدَّدُ سَاكِنَةً فَوقَ بَحرِ مُونِيمفَاسيَا . ظِلُّنَا المُزدَوَجُ يَنحَلُّ بِالضَّوءِ عَلَى الطَّابِقِ الرُّخَامِيِّ مَعَ سَجَائِرِهِ الكَثِيرَةِ المَدهُوسَةِ ، مَعَ أزهَارِ اليَاسَمِينِ المُثَبَّتَةِ فِي إبَرِ الصُّنُوبَر .
آه ، يَا "ديُوتِيمَا" الشَّبَقِيَّة .
لَقَد مَنَحتِنِي المِيلاَدَ وَلِمَن مَنَحتُهُم المِيلاَدَ مِن قَبل ، إنَّه وَقتُنَا لِنَمنَحَ مِيلاَدًا لِلأفعَالِ وَالقَصَائِد ، أن نَخرُجَ إلَى العَالَم . وَلاَ تَنسَي عِندَمَا تَذهَبِينَ إلَى السُّوقِ ، اشتَرِي كَومَةَ تُفَّاح ،
لاَ تُفَّاحَاتِ "هِيسبرِيدِيس" الذَّهَبِيَّةَ ، بَل تِلكَ التُّفَّاحَاتِ الحَمرَاءَ الكَبِيرَةَ ، حتَّى - عِندَمَا تَقضُمِينَ لَحمَهَا الجَامِدَ بِأسنَانِكِ النَّاصِعَةِ ،
تَظَلُّ ابتِسَامَتُكِ المُفعَمَةُ بِالحَيَوِيَّةِ ثَابِتَةً مِثلَ أبَدِيَّةٍ عَلَى الكُتُب .

[11]

أُرِيدُ أن أصِفَ جَسَدَكِ . جَسَدُكِ بِلاَ حُدُود ، جَسَدُكِ تُوَيجُ وَردَةٍ رَهِيفَةٍ فِي كُوبِ مَاءٍ صَاف .
جَسَدُكِ غَابَةٌ بَرِّيَّةٌ بِأربَعِينَ حَطَّابًا أسوَد . جَسَدُكِ سُهُولٌ مُنَدَّاةٌ قَبلَ شُرُوقِ الشَّمسِ .
جَسَدُكِ لَيلَتَانِ بِأبرَاجِ الجَرَس ، بِنَيَازِكَ وَقِطَارَاتٍ خَارِجَةٍ عَن القُضبَان .

جَسَدُكِ بَارٌ مُعتُمٌ بِبَحَّارَةٍ سُكَّارَى وَتُجَّارِ تَبغ ؛ يَقضُمُونُ أظَافِرَهُم فِي الرَّقص ، يَكسِرُونَ الأكوَابَ ، يَبصُقُونَ ، يَسُبُّون .

جَسَدُكِ بَحرِيَّةٌ كَامِلَةٌ - غَوَّاصَاتٌ ، مُدَمِّرَاتٌ ، فُرقَاطَاتٌ ؛ المَرَاسِي المُقَعقِعَةُ مَرفُوعَة ، المِيَاهُ تَفِيضُ عَلَى السُّطُوح ؛ أحَدُ صِبيَانِ السَّفِينَةِ يَقفِزُ مِن الصَّارِي إلَى البَحر .

جَسَدُكِ صَمتٌ مُتَعَدِّدُ الأصوَاتِ مَزَّقَته خَمسُ سَكَاكِين ، وَثَلاثُ حِرَابٍ ، وَسَيف .

جَسَدُكِ بُحَيرَةٌ شَفَّافَةٌ - فِي أعمَاقِهَا يُمكِنُ أن نَرَى المَدِينَةَ البَيضَاءَ الغَارِقَة .

جَسَدُكِ أخطَبُوطٌ وَحشِيٌّ ضَارٍ بِمَخَالِبَ دَامِيَةٍ فِي الإنَاءِ الزُّجَاجِيِّ لِلقَمَر ، فَوقَ الشَّوَارِعِ المُضَاءَةِ حَيثُ مَرَّت فِي الأصِيلِ جِنَازَةُ لامبِرَاطُورِ الأخِيرِ بِمُهَابَةٍ بَطِيئَة .

أزهَارٌ كَثِيرَةٌ مَدهُوسَةٌ مَنقُوعَةٌ بِالجَازُولِين فَوقَ الإسفَلت .

جَسَدُكِ مَبغًى عَتِيقٌ فِي شَارِعِ "سُوبُورنِيَا" بِدَاعِراتٍ عَجَائِزَ مُلَطَّخَاتٍ بِأحمَرَ شِفَاهٍ شَحمِيٍّ رَخِيص ؛ يَضَعنَ رُمُوشًا طَوِيلَةً مُستَعَارَة ؛ هُنَاكَ أيضًا عَاهِرَةٌ شَابَّةٌ بِلاَ خِبرَة - تُسَلِّي نَفسَهَا بِجَمِيعِ الزَّبَائِن ، تَترُكُ نُقُودَهَا عَلَى مَائِدَةِ اللَّيل ، تَنسَى أن تُحصِيهَا .

جَسَدُكِ فَتَاةٌ مُتَوَرِّدَةٌ ، تَجلِسُ تَحتَ شَجَرَةِ التُّفَّاحِ وَهِيَ تَقضُمُ كِسرَةَ خُبزٍ طَازِجٍ وَثَمَرَةَ طَمَاطِمَ مُمَلَّحَةً ، تَدفِسُ بَينَ الحِينِ وَالحِينِ وَردَةَ تُفَّاحٍ بَينَ ثَدَيَيهَا .

جَسَدُكِ زِيزٌ فِي أُذُنِ جَامِعِ الكُرُوم - يَرمِي ظِلاًّ بَنَفسَجِيًّا عَلَى الرَّقَبَةِ الَّتِي أحرَقَتهَا الشَّمسُ ، وَيُغَنِّي مِن تِلقَاءِ نَفسِه مَا لَا تَستَطِيعُ كُلُّ هَذِه الكُرُومِ مُجتَمِعَةً أن تَقُولَه .

جَسَدُكِ نُقطَةٌ مُراقَبَةٍ ، طَابِقُ درَاسٍ كَبِيرٍ عَلَى قِمَّةِ تَل -

أحَد عشرَ حِصَانًا فِي بَيَاضِ الثَّلجِ يَدرِسُونَ خِلاَلَ حِزمَاتِ أسفَارِ الكِتَابِ المُقَدَّس .

القَشُّ الذَّهَبِيُّ يَشبِكُ مَرَايَا صَغِيرَةً فِي شَعرِك ، وَالأنهَارُ الثَّلاَثَةُ يَلتَمِعُونَ حَيثُ تَنحَنِي ثَلاَثُ بَقَرَاتٍ ضَخمَةٌ سَودَاءُ بِتِيجَانٍ صُلبَةٍ ، تَشرَبُ المَاءَ وَتَبكِي .

جَسَدُكِ بِلاَ حُدُود .

جَسَدُكِ يَستَعصِي عَلَى الوَصف . وَأنَا أُرِيدُ أن أصِفَه ، أن أضُمَّه بِقُوَّةٍ إلَى جَسَدِي ، لأحتَويه وَيَحتَوِينِي .

[12]

النَّهَارُ مَجنُون . البَيتُ مَجنُون . مَجنُونَةُ المُلاَءَات .

أنتِ أيضًا مَجنُونَةٌ ، تَرقُصِينَ مَعَ السَّتَارَةِ البَيضَاءَ فِي ذِرَاعَيكِ ؛ تَنقُرِينَ بِالإنَاءِ عَلَى أورَاقِي كَأنَّه دُف ؛

القَصَائِدُ تُهَرولُ بَينَ الغُرَف ، اللَّبَنُ المُحتَرِقُ يَفُوح ،

حِصَانٌ زُجَاجِيٌّ يُطِلُّ مِن النَّافِذَة . انتَظِرِي - أقُول - لَقَد نَسِينَا مِرجَلَ

"فِيمُونوَاس" فِي صَالَةِ نِقَابَةِ الخطَّابِين ،
انقَلَبَت النُّبُوءَاتُ إلَى عَكسِهَا .
نَسِينَا قَمَرَ الأمسِ الدَّامِي ، وَالأرضَ المَبقُورَةَ . عَرَبَةُ تَمُرُّ مُحَمَّلَةٌ
بِالدِّفلَى . أظَافِرُكِ تُوَيجَاتُ وَرد . لَا تُبَرِّرِي نَفسَك . لَقَد وَضَعتُ فِي خِزَانَةِ
مَلاَبِسِكِ الحَقَائِبَ التُّلَّ مَعَ اللاَّفَندَر . الشَّمسِيَّاتُ أَصَابَهَا الجُنُونُ ،
تَشَابَكَت مَع أجنِحَةِ المَلاَئِكَة .
تُلَوِّحِينَ بِمندِيلِك ، مَن تُحَيِّين ؟ أيَّ نَاسٍ تُحَيِّين ؟ - العَالَم بِكَامِلِه .
سُلَحفَاةُ ماءٍ بُنِّيَّةٌ تَستَقِرُّ فِي ارتِيَاجٍ عَلَى رُكبَتَيكِ ، طَحَالِبُ مَبلُولَةٌ تَرتَعِشُ
عَلَى صَدَفَتِهَا المَنحُوتَةِ . وَتَرقُصِين . طَوقُ بَرمِيلٍ مِن العُهُودِ
القَدِيمَةِ يَتَدَحرَجُ أسفَلَ التَّل ، يَهوِي إلَى المَجرَى ، يَنثُرُ قَطَرَاتٍ
تُبَلِّلُ قَدَمَيكِ ، تُبَلِّلُ أيضًا ذَقنَكِ ، تَوَقَّفِي حَتَّى أُنَشِّفَك .
لَكِنَّكِ لَا تَسمَعِينَنِي فِي رَقصِك . حَسَنًا إذَن ، البَقَاءُ دوَّامَةٌ ، الحَيَاةُ دَائِرِيَّةٌ ،
بِلاَ نِهَايَة .
فِي اللَّيلَةِ المَاضِيَةِ ، مَرَّ الفُرسَانُ ، وَفَتَيَاتٌ عَارِيَاتٌ عَلَى كَفَلِ الأحصِنَة ،
رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبُ صُرَاخِ الأوزِّ البَرِّيِّ فِي بُرجِ الجَرَس . لَم نَسمَعهُم .
سَنَابِكُ الأحصِنَةِ تَغُوصُ فِي نَومِنَا .
اليَومَ وَجَدتُ أمَامَ بَابِكِ حدوَةً فِضِّيَّةً . عَلَّقتُهَا عَلى الإطَارِ الخَارِجِيِّ لِلبَاب .
حَظِّي - تَهتِفِين - حَظِّي - تَهتِفِين ، وَتَرقُصِين . بِجِوَارِك المِرآةُ
الطَّوِيلَةُ تَرقُص أيضًا ،
تَتَوَهَّجُ بِألفِ جَسَدٍ وَتِمثَال "هِيبُولِيُوس" المُتَوَّجُ بِالخشخَاشِ . بَبَّغَائِي

رَحَلَت - تَقُولِين وَأنتِ تَرقُصِين - وَلَم يَعُد أحَدٌ يُقَلِّدُ صَوتِي ، آي، آي -

هَذَا الصَّوتُ دَاخِلِي يَخرُجُ لِغَابَةِ "دُودُونَا" .

بُحَيرَاتٌ صَافِيَةٌ تَنبَثِقُ فِي الفَضَاءِ بِزَنَابِقِهَا المَائِيَّةِ البَيضَاءُ بِأعشَابِ قَاعِهَا كُلِّهَا .

نَقطَعُ القَصَبَ ، نَبنِي كُوخًا ذَهَبِيًّا ، تَتَسَلَّقِين فِي مَشَقَّةٍ السَّقف .

أتَعَلَّقُ بِكِلتَا يَدَيَّ فِي كَعبَيكِ . لَا تَنزِلِين . تَطِيرِين . تَطِيرِين إلَى الزُّرقَةِ . تَجُرِّينَنِي مَعَكِ وَأنَا أُمسِكُ بِكِ مِن الكَعبَين .

وَمِن كَتِفَيكِ تَسقُطُ المِنشَفَةُ الزَّرقَاءُ الكَبِيرَةُ إلَى المَاءِ ، تَطفُو بُرهَةً ، ثُم تَغُوصُ فِي طَيَّاتٍ وَاسِعَة ، مُخَلِّفَةً عَلَى السَّطحِ نَجمَةً خُمَاسِيَّةً مُرتَعِشَة.

لاَ تَذهَبِي إلَى الأعلَى - أصِيحُ . لَا أعلَى . وَفَجأةً

مَعَ ارتِطَامٍ مَكتُومٍ نَحُطُّ مَعًا عَلَى السَّرِيرِ الأُسطُورِي .

أنصِتِي -

فِي الشَّوَارِعِ تَحتَنَا يَمُرُّ المُضرِبُونَ بِاللاَّفِتَاتِ وَالأعلاَمِ هَل تَسمَعِين ؟ تَأخَّرَ الوَقتُ بِنَا .

خُذِي مَعَكِ أيضًا المندِيلَ الَّذِي رَقَصتِ بِه .

فَلنَذهَب .

شُكرًا يَا حَبِيبَتِي .

❖

قصَـــائد أخـــرى

تَسبِيحَـة

كَانَ يَقِفُ فِي الطَّرَفِ البَعيدِ مِنَ الشَّارِع
مِثلَ شَجَرَةٍ جَردَاءَ مُترِبَة
مِثلَ شَجَرَةٍ أحرَقَتهَا الشَّمس
تُمَجِّدُ الشَّمسَ الَّتِي لَا يُمكِنُ أن تَحتَرِق .

سَـاعَة الغِنَـاء

بِجِوَارِ إبرِيقِ النَّبيـذ
بِجِوَار سِلاَلِ الفَاكِهَة
نَسَينَا أن نُغَنِّي .

فِي مَسَاءِ افتِرَاقِنَا
بِتَرحِيبٍ مِن نَجمَةِ المَسَاء
غَنَّينَا مِن تِلقَاءِ أنفُسِنَا .

دَعـوةٌ صَغيـرَة

تَعَالَ إِلَى الشَّوَاطِئِ المُضِيئَة – غَمغَمَ لِنَفسِه
هُنَا حَيثُ تَحتَفِلُ الأَلوَان – انظُر –
هُنَا حَيثُ لَم تَمُر العَائِلَةُ المَلَكِيَّةُ قَط
بِعَرَبَاتِهَا المُغلَقَةِ وَمَندُوبِيهَا الرَّسمِيِّين .

تَعَال ، فَلَن يُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى أَن تُرَى – كَانَ عَادَةً مَا يَقُول –
أَنَا الهَارِبُ مِن اللَّيل
أَنَا مُنتَهِكُ الظَّـلاَم
وَقَمِيصِي وَجُيُوبِي مُتخَمُونَ بِالشَّمس .

تَعَال – إِنَّهَا تُحرِقُ يَدَيَّ وَصَدرِي .
تَعَالَ ، كَي أُعطِيهَا لَك .

وَلَدَيَّ شَيءٌ مَا أَقُولُه لَك
وَهوَ مَا لَا يَنبَغِي – حَتَّى أَنَا – أَن أَسمَعَه .

مُتوَاليَـة

لَم تَضَع الشَّمسُ اعتِبَارًا لأَيٍّ مِن تَرَدُّدَاتِك–
عَارِيًا تُرِيدُك وَعَارِيًا تَأخُذُك ،
إلَى أن يَكسُوكَ اللَّيل .

بَعدَ الشَّمس ، هُنَاكَ النَّـدَم .
بَعدَ النَّدَم ، الشَّمسُ مِن جَدِيد .

رِيَـاحٌ مَوسِـميَّة

سَفِينَةٌ بَعدَ سَفِينَةٍ بَعدَ سَفِينَة...
البَائِعُ المُتَجَوِّلُ يُحَدِّقُ أسفَلَ المُنحَدَر،
أشجَارُ الصُّنُوبَرِ ترمِي بِنَفسِهَا إلَى البَحر.
البَحرُ يَتَسَلَّقُ الجَبَل
وَالبَائِعُ المُتَجَوِّلُ يَصعَد الشَّمس،
مَرشُوشًا بِزَبَدٍ أبيَض.

الصَّيف فِي المَدِينَـة

الضَّوءُ فِي هَذَا المَكَانِ يَدفَعُنَا إِلَى اليَأس . هَذَا الشَّهرُ القَاسِي
لَن يَسمَحَ لَكَ بِألاَّ تُصبِحَ اثنَين . فَأنتَ لَا تَكفِي .
الرَّنِينُ الرَّتِيب ، عَرَبَاتُ الشَّارِعِ الَّتِي تَدُورُ حَولَ الزَّوَايَا ،
قَاطِعُو الرُّخَامِ يَشُقُّونَ الأحجَارَ فِي الظَّهِيرَةِ الحَارِقَة .

أعلَى الجِدَارِ يُمكِن رُؤيَةُ الأعمِدَةِ التِّذكَارِيَّةِ القَدِيمَة نَفسِهَا ،
زُهُورٍ رُخَامِيَّة ، أوشِحَةٍ رُخَامِيَّة ،
التِّمثَالِ النِّصفِي لِلمَصرَفِي ،
وَجهِ طِفلٍ يُظَلِّلُه جَنَاحِ مَلاَك .

عَلَى هَذِه المَنحُوتَاتِ الحِرَفِيَّة تَضَعُ الشَّمسُ الأتِيكِيَّةُ خَتمَهَا ،
وَالظِّلاَلُ تَضِيفُ امتِدَادَاتِهَا الخَيَالِيَّة —
وَلِهَذَا لَم يَكُن غَرِيبًا قَط مَا بَعدَ ظَهِيرَةِ الأَمسِ
فِيمَا كُنتَ عَائِدًا إِلَى البَيتِ مِن المَكتَب

حَامِلاً شَبَكَة مُشتَرَيَاتٍ بِالخُبزِ وَالطَّمَاطِم –
لَم يَكُن غَرِيبًا قَط ذَلِكَ الأمسُ حِينَ كَانَت الشَّمس
تَجلِسُ فِي الأيكَـة
أن تُقَابِلَ الشَّابَّ الرُّخَامِيَّ يَتَمَشَّى فِي كَسَلٍ وَهوَ يَبتَسِم .
جَلَستَ عَلَى دِكَّةِ الحَدِيقَة ، بِجِوَارِ البِركَةِ ، تَرمِي خُبزَكَ إِلَى السَّمَكَةِ الذَّهَبِيَّة،
وَطُوَال هَذِه اللَّيلَة ، وَرَغمَ أَنَّكَ لَم تَأكُل ،
فَلَم تُحِس قَط بِالجُوع .

مُساعَدَة

الرِّيَاحُ تَتَحَدَّثُ أمَامَ النَّوَافِذ
كَهَؤُلاَءِ المُوشِكِينَ عَلَى الفِرَاق .
الأثَاثُ يُصبِحُ شَبِيهًا بالفَتَيَاتِ الفَقِيرَاتِ اللائِي يُلَملِمن
الزَّيتُونَ المُتَسَاقِط . تَحتَ أشجَارِ الزَّيتُون ، يَتَمَشَّى المَسَاء
وَحِيدًا تَمَامًا ، وَالحُقُولُ – بِقَمحِهَا المَحصُود – إنكَار .
وقِشرَةُ الزِّيزِ السَّاقِطَة
تُشبِهُ بُرجَ جَرَسٍ صَغِيرٍ ، مُنهَارًا فِي العَشبِ الجَاف .

الرَّذَاذُ يَأتِي فِيمَا بَعد – يَتبَعُ العَصَافِير ،
وَبَطِيئًا يَستَلقِي القَمَرُ تَحتَ أشجَار السَّرو
مِثل مِحرَاثٍ مَهجُور . وَالفَلَّاح
يَنَامُ تَحتَ التُّرَاب –
وَزَوجَتُه وَحِيدَةٌ مَعَ الكَلبِ وَالثَّورِ الهَزِيل .
أيدِي الصَّمتِ مُثَلَّجَة

وَهيَ تَعقِدُ مِندِيلَهَا الأسوَدَ تَحتَ ذَقنِهَا .
لَكِنَّ أثَرَ يَدِه يَظَلُّ أقوَى مِن يَدِهِ عَلَى خَشَبِ المِحرَاث
وَسَوَادُ الكُرسِي يَحتَفِظُ بِالدِّفءِ مِن كَتِفَيه العَرِيضَتَين .

عَن هَذِه الأشيَاءِ غَيرِ الهَامَّة – لَا أدرِي –
أُرِيدُ أن أكتُبَ أُغنِيَةً صَغِيرَةً تَكشِفُ أنَّنِي لَا أدرِي
أيَّ شَيءٍ عَن أيٍّ مِنهَا – أنَّهَا فَقَط كَمَا هِي ،
وَحِيدَةٌ ، وَحِيدَةٌ تَمَامًا ، وَلاَ تَطلُبُ أيَّ وَسِيط
بَينَهَا وَبَينَ أحَدٍ آخَر .

المُنتصِر

فَتَحَ غُرفَتَه المُظلِمَةَ فِي تَرَدُّد
لِيُجَرِّبَ مَرَّةً أُخرَى أيَّ صَوتٍ سَتُصدِرُه خُطَاه
عَلَى الرَّصِيفِ الحَجَرِيِّ نَاصِعِ البَيَاضِ لِلنَّهَار.

كَانَ الكُلُّ فِي انتِظَارِه كَي يَخرُجَ مِن بَابِ الشَّمس.

وَضَع طَاقِمَ أسنَانٍ ذَهَبِيٍّ مِن ضَوء
وَحَاولَ أن يَعرِفَ عَن ظَهرِ قَلب بِضعَ أورَاقٍ خَضرَاء
لَكِنَّه أحَسَّ أنَّ فَمَه يَبدُو أكثَر خَوَاءً
وَلِهَذَا فَلَم يَتَكَلَّم أو يَبتَسِم.

ظَل الآخَرُون يُنصِتُونَ إلَى هُتَافِهِم.
لَم يُلاَحِظُوا قَط أنَّه ظَلَّ صَامِتًا.
ثُم انحَنَى، وَالتَقَطَ حَجَرًا

وَطَارَد الكَلبَ المُخلِصَ الأخِيرَ الَّذِي تَبِعَه .

رَفَعَه الرِّجَالُ عَلَى أكتَافِهِم فِي الشَّمس .
وهَكَذَا ، وَهوَ مَرفُوعٌ عَالِيًا فَوق رُؤُوسِهِم ،
لَم يَرَه أحَدٌ وَهوَ يَبكِي .

التَّــل

شَخصٌ مَا لَدَيه عَدَدٌ هَائِلٌ مِن المَوتَى .
حَفَرَ الأرضَ وَدَفَنَهُم بِنَفسِه .
حَجَرًا حَجَرًا ، تُرَابًا تُرَابًا ،
أقَامَ تَـلًّا .
عَلَى قِمَّةِ التَّل
بَنَى سَقِيفَة مُشمِسَة .

فِيمَا بَعد ، فَتَحَ مَمَرَّات ،
وَزَرَعَ أشجَارًا
بِعِنَايَةٍ ، بِصُورَةٍ هَندَسِيَّةٍ ، دَقِيقَة .
كَانَت عَينَاه دَائِمًا تَبتَسِمَان .
وَنَادِرًا مَا كَانَت يَدَاه تَرتَعِدَان .

الآن ، فِي أصِيلِ أيَّام الأحَد

تَصعَدُ الأمَّهَاتُ هُنَاك وَهُن يَدفَعنَ عَرَبَات أطفَالِهِن ،
وَالعُمَّالُ مِن الضَّوَاحِي القَرِيبَة بِقُمصَانِهِم المَغسُولَة
يَأتُونَ لِيُشَمِّسُوا أنفُسَهُم وَيَتَنَفَّسُونَ فِي هَوَاءٍ قَلِيل
هُنَاك فِي الغَسَق يَتَمَشَّى المُحِبُّون
وَيَتَعَلَّمُون قِرَاءَةَ النُّجُوم .
تَحتَ الأشجَارِ يَعزِفُ طِفلٌ عَلَى الهَارمُونِيكَا .
بَائِعٌ مُتَجَوِّلٌ يُنَادِي عَلَى مَشرُوبَاتِه لِلبِيع .
عَلَى هَذَا التَّلِّ يَعرِفُ الجَمِيع
أنَّهُم أصبَحُوا أقرَبَ إلَى السَّمَاء .

لَكِن مَا مِن أحَدٍ يَعرِفُ كَيفَ نَشَأ التَّل ،
مَا مِن أحَدٍ يَعرِفُ عَدَدَ مَن يَنَامُون فِي أحشَاءِ التَّل .

من ديوان "ملاحظات على هوامش الزمن" (1941 – 1938)

نُقصَان

الضَّوضَاءُ سَوفَ تُفزِعُ الدَّلاَفِيـن
وَآثَارُ الصَّيَّاد تَتَوَقَّفُ مَيِّتَةً فِي الرَّمل
سَتخَافُ الأُمَّهَاتُ عَلَى أَطفَالِهِن .

فِي رُكنٍ بِالغُرفَةِ لَن يَنثَنِي رُمحُ الصَّيد -
اليَقِينُ وَالبُؤسُ فِي صَلاَبَتِه .

ظِلُّه النَّحِيلُ مَحنِي . أَسمَاكٌ كَثِيرَةٌ أَحَسَّت بِطَرَفِه ،
أَكَلنَا وَتَغَذَّينَا ، وَالبَعضُ تَبَقَّى لِلبَيع . لَم يَختَرِق البَحرَ قَط .
لَفَّت امرَأَةٌ نَفسَهَا بِالشِّبَاك . لَم تَستَطِع أَن تُخفِي عُرِيَهَا .

القَمَرُ يَفُوحُ بِالقَار . وَأَنتَ لَا تَدرِي مَاذَا تَكُونُ بَعدَ اللَّيلَة
وَإِذَا مَا عَرفتَ ، فَلاَ تَقُل . هُنَاكَ وَمِيضٌ يَأتِي مِنَ الأُفُق
جِبَالٌ مُلتَمِعَةٌ فِي ضَوءِ القَمَر

وَكُفُوفُ المَجَاذِيفِ المُسَطَّحَةُ تَصفَعُ وَجهَ السُّكُون .
شَخصٌ مَا أَخَذَ القَارِبَ وَحِيدًا . لَم يَعُد قَط .
شُوهِدَ صَاعِدًا إِلَى يَدِ القَمَرِ المَفتُوحَة . لَا شَيء .

الأخطَبُوطُ يَتَصَلَّبُ عَلَى الجِدَارِ كَصَلِيبٍ صَغِير .
البَحرُ يَتَكَثَّفُ إِلَى مِلح . المِلحُ يُخَزَّنُ فِي الجِرَار .
لاَ يَمكِنُه أَبَدًا أَن يَتَحَوَّلَ إِلَى بَحرٍ مِن جَدِيد .

فِيمَا وَرَاءَ حَظَائِرِ الغَنَمِ المَطلِيَّةِ بِالأَبيَض ، يُنَادِي المُحِيطُ مَحَارَاتِه السِّرِّيَّة
وَأَحيَانًا مَا يَكُونُ القَمَرُ عَنكَبُوتًا يَلتَهِمُ الذُّبَابَ الأَزرَق
أَحيَانًا مَا يَندَفِعُ قِندِيلُ البَحرِ فَوقَ نُعَاسِ المَدِينَة
أَحيَانًا خَوذَةٌ مِن ذَهَبٍ لِمَن مَضَوا بِلَا سِلَاح
وَأَحيَانًا فَهوَ مِشطٌ لِلمَرأَةِ الزَّرقَاءِ المُسترَخِيَةِ عَارِيَةً عَلَى حَافَّةِ البَحرِ وَالسَّمَاء .

حِينَمَا أُخِذَت آنِيَةُ الحِسَاءِ مِن فَوقِ المَائِدَة
وَذَهَبَ كُلُّ أَثَرٍ لِلاستِدَارَةِ مِنَ الخُبز
تَارِكًا الوَجبَةَ مَعَ الأَسَفِ عَلَى الدَّائِرَةِ المُتَقَطِّعَة
ثُم تُعطَى بَعدَهَا الإِشَارَةُ فِي النِّهَايَة ،
وَيَنعَطِفُ مَركَبُ القَرصَنَةِ بِشِرَاعِهِ القُرمُزِيِّ بِكِبرِيَاءٍ حَولَ الرَّأسِ البَحرِي .

فَلاَ تُبَدِّد سَاعَةً أُخرَى
مَعَ التَّكَهُّنَاتِ وَالنَّدَمِ ، وَتَأنِيبِ الذَّات
فِيمَا أَطرَافُ أَصَابِعِكَ تَلُفُّ سِيجَارَةً سَمِيكَة .

صَبِيُّ المَرَاكِبِ يَنتَظِرُ فِي مَكَانِ الاجتِمَاعِ السِّرِّي
بِأَطرَافِ الرِّيحِ عَلَى ذِرَاعِه
وَفَحمِ اللَّيلِ السِّرِّيِّ فِي إِبطِه .
غِطَاءُ الرَّأس مَائِل . وَالدُّخَانُ المُتَصَاعِدُ مَعقُوفٌ مِن فَمِهِ كَلُغزٍ لِلأَعمَاق
كَدُخَانٍ مِن سَفِينَةٍ يَمضِي بَعِيدًا عَنكَ عَلَى الرِّيَاح .

يَكفِي لَكَ أَن تُغَيِّرَ مَنَاخَك
لِتَرسُمَ X فِي لَائِحَةِ حِسَابَاتِك
لِتَشهَدَ أَضوَاءَ البَحثِ مُتَقَاطِعَةً فِي اللَّا نِهَائِي
تَحُلُّ أَصَابِعَهَا لِتَخطُفَ شَبَابَك .

بِلاَ نَفَـاد

هَذِهِ المَنَازِلُ المَطلِيَّةُ بِالأَبيَض الوَاقِفَةُ فِي انتِظَارِ البَحَّارَةِ الضَّائِعِين فِي البَحر
أُتخِمَت تَدرِيجِيًّا بِالظِّلَال
عَوَارِضُهَا تَعَفَّنَت ، وسَلَالِمُهَا تَصَدَّعَت
وَالبَحرُ يَضرِبُ مِن جَدِيدٍ النَّوَافِذَ ثُم يَجرِي
وَالمَدَاخِنُ تَتَنَفَّسُ عَاصِفَةً قَدِيمَة .

الحِذَاءُ الَّذِي اشتَرَيتَه مُنذُ عَامَين مَا يَزَالُ جَدِيدًا تَحتَ السَّرِير
وَثِيَابُكَ الَّتِي لَم تُمَس تَحلُمُ بِيَومِ أَحَدٍ بِلَا غُيُوم
مَعَ أَولَادٍ يَغُوصُونَ عَرَايَا عِندَ حَاجِزِ الأَموَاج .

الصَّمتُ هُنَا غَامِضٌ ، مَلِيءٌ بِالمُؤَجَّلَاتِ وَالنَّدَامَات
وَشُعلَةُ المِصبَاحِ تَتَرَدَّدُ فِي الظَّلَام
كَلِسَانٍ فِي فَمٍ لَا يَستَطِيعُ الاختِيَارَ بَينَ التَّقبِيلِ وَالكَلَام .

مَا الغَايَةُ الَّتِي تَعكُفُ عَلَيهَا الآن ؟ مَا مِن أَحَدٍ استَنفَدَ البَحر .
رِحلَةُ نَدَمٍ ، بِلاَ نِهَايَة . وَمَصيَدَةُ الفِئرَانِ مَوضُوعَةٌ بِعِنَايَة
تَحتَ السَّلاَلِم . الحَذَرُ مَطلُوبٌ فِي كُلِّ الأَوقَات .
الاهتِيَاجُ يَخفُتُ فِي مُرُورِهِ مِنَ الذَّاكِرَة ،
أَنَّهُ الصَّوَارِي ، القَارِبُ الَّذِي يَتَدَحرَجُ عَلَى جَانِبِه
المَوجَةُ العَظِيمَةُ الَّتِي تَرمِي بِحَقِيبَةٍ وَرِجَال .

يُمكِنُكَ الآنَ أَن تُشِيرَ إِلَى هَذِهِ الأَلوَاحِ المُهَشَّمَة ، هَذِهِ المَجَاذِيفِ المُهَشَّمَة -
انتِقَامٌ مِن هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى البَحر .

ذَاتَ لَيلَةٍ ، فِي الغَابَاتِ الكُبرَى ، قَبلَ أَن يَقطَعُوهَا ،
قَبلَ أَن تُصبِحَ سَفِينَة - هُنَاكَ فِي الغَابَاتِ ، مَعَ النُّجُومِ فِي الأَعلَى
فِيمَا الصَّيَّادُون يَنطَلِقُون لِلعَودَةِ مَعَ كِلَابِهِم
- أَتَذكُر ؟ - نَادُوا بِاسمِهَا ،
وَتَعَلَّقَ هُنَاكَ فِي اللَّيلِ كَأَنَّه مَشدُوه
فِي انتِظَارِ أَن يُقَسَّمَ بَينَ الأَشجَارِ وَالنُّجُومِ وَالصَّمت
مَنسِيًّا مِنَ الرِّجَالِ ، البَاحِثِينَ مَرَّةً أُخرَى وَيُغَادِرُون .

لَكِنَّ الرِّيحَ تَهُبُّ الآن ، وَلَا يَسمَعُهَا أَحَد ،

نَقِيسُ فَحَسبُ غُرَفَنَا لِنَسمَعَ صَوتَ خُطوَاتِنَا .
وَكَثِيرًا مَا نَدُقُّ عَلَى الحَائِطِ لِنَختَبِرَ صَمتَ الحَجَر .
لَا أَحَدَ يَسمَع . وَعِندَمَا نُضِيءُ المِصبَاحَ عَلَى المِنضَدَة
نَنظُرُ إِلَى الظِّلَالِ الَّتِي تَرمِيهَا أَيدِينَا عَلَى البَاب
نَصنَعُ بِضعَةَ أَشكَالٍ مُتَلَاعِبَة
هِلبًا ، نَورَسًا ، قَارِبًا بِثَلَاثَةِ صَوَار
لَكِنَّنَا لَا نَنسَى أَبَدًا أَنَّهَا لَيسَت سِوَى ظِلَالِ أَيدِينَا
وَأَنَّ الرِّيَاحَ تَرقُدُ وَرَاءَ البَاب
وَوَرَاءَ الرِّيَاحِ المُحِيط ، الَّذِي لَن يَنخَدِعَ أَبَدًا بِظِلَالِنَا ، وَلَن يَهتَم
بِالخَوفِ أَو النَّدَم ، لَا بِجُبنِنَا وَلَا كِبرِيَائِنَا .

يناير 1943

مِن ديوان "إزاحَات" (1942 -1949)

إدرَاك

شَمسٌ حَجَرِيَّةٌ رَحَلَت إِلَى جِوَارِنَا
مُحرِقَةُ الرِّيحِ وَشَوكَ البَرِّيَّة .
انتَصَبَ الأَصِيلُ عَلَى حَافَّةِ البَحر
كَضَوءٍ مُتَوَهِّجٍ أصفَرَ فِي غَابَةٍ كَبِيرَةٍ بِالذَّاكِرَة .

لَم يَكُن لَدَينَا وَقتٌ لِمِثلِ هَذِهِ الأَشيَاء - لَكِن عَلَى أَيَّةِ حَال ،
كُنَا أَحيَانًا مَا نَرمِي بِبَصَرِنَا - وَعَلَى ملَاءَاتِنَا ،
بِامتِدَادِ بُقَعِ الزَّيتِ ، وَالقَذَارَةِ ، وَحُفَرِ الزَّيتُون ،
كَانَت هُنَاكَ بَعضُ الأَورَاقِ المُتَبَقِّيَةِ مِنَ الصَّفصَافِ ، وَبَعضُ إِبَرِ الصُّنُوبَر .

كَانَ لَهُم أَيضًا ثِقَلُهُم - لَم يَكُن كَبِيرًا -
ظِلُّ مِذرَاةٍ عَلَى الجِدَارِ الحَجَرِي ، مُتَأَخِّرًا فِي الغُرُوب ،
مُرُورُ الحِصَانِ فِي مُنتَصَفِ اللَّيل ،
لَونٌ وَردِيٌّ يَمُوتُ عَلَى المِيَاه
مُخَلِّفًا الصَّمتَ فِي الوَرَاءِ ، أَكثَرَ وِحدَة ،

أَورَاقُ القَمَرِ مُتَسَاقِطَةً وَسطَ القَصَبِ وَالبَطِّ البَرِّي .

لَا وَقتَ لَدَينَا - لَا وَقت ،
حِينَ تُصبِحُ الأَبوَابُ مِثلَ الأَيدِي المَثنِيَّة
حِين يُصبِحُ الطَّرِيقُ مِثلَ الرَّجُلِ الَّذِي يَقُول:
"لَا أَدرِي" .

لَكِنَّنَا عَرَفنَا أَنَّ بَعِيدًا عِندَ المُفتَرَقِ الكَبِير
هُنَاكَ مَدِينَةً بِآلَافِ الأَضوَاءِ مُتَعَدِّدَةِ الأَلوَان ،
وَالنَّاسُ يُحَيُّونَ بَعضَهُم بِحَرَكَةٍ فَحَسبُ مِن الجَبِين -
نَعرِفُهُم مِن وَضعِ أَيدِيهِم ،
مِن طَرِيقَتِهِم فِي قَطعِ الخُبز ،
مِن ظِلِّهِم عَلَى مَائدَةِ الغَدَاء ،
سَاعَةَ أَن تُصبِحَ كُلُّ الأَصوَاتِ نَاعِسَةً فِي عُيُونِهِم
وَنَجمَةٌ كَبِيرَةٌ وَحِيدَةٌ تَرسُمُ صَلِيبًا عَلَى وَسَائِدِهِم .
نَعرِفُهُم مِن تَجعِيدَةِ العَنَاءِ بَينَ حَوَاجِبِهِم
وَقَبلَ كُلِّ شَيءٍ - فِي اللَّيَالِي ، عِندَمَا تُصبِحُ السَّمَاءُ أَكبَرَ فَوقَهُم -
نَتَعَرَّفُ عَلَيهِم مِن تِلكَ الحَرَكَةِ العَمدِيَّةِ التَّآمُرِيَّة
وَهُم يَرمُونَ بِقُلُوبِهِم كَإِعلَانٍ غَيرِ شَرعِي
تَحتَ البَابِ المُوصَدِ لِلعَالَم .

أغسطس -سبتمبر 1949

استِعدَاد

الخِيَامُ تَتَسَلَّقُ جَانِبَ التَّلِّ خُطوَةً كُلَّ مَرَّة
بِاستِقَامَةٍ نَحوَ السَّمَاء ؛
الخِيَامُ مُسَمَّرَةٌ فِي الصُّخُور ،
بِرُمحِ الشَّمسِ خِلَالَ قُلُوبِهَا .

تَجِيءُ الأَيَّامُ وَتَمضِي . لَا تَتَغَيَّرُ أَبَدًا الصَّخرَة .
أَحيَانًا مَا تُبحِرُ سَفِينَةٌ مَارَّةٌ بِهَا ، أَو غَيمَة -
تَارِكَةً فِي الوَرَاءِ قُصَاصَةَ ظِل ،
نَافِذَةً صَغِيرَةً مَفتُوحَةً عَلَى ذَاكِرَةِ الأَشجَار .
لاَ يَتَغَيَّرُ أَبَدًا شَيء .
لَا القَلبُ وَلَا الصَّخرُ يَتَغَيَّر .

الفِرَاشُ الَّذِي نَنَامُ عَلَيهِ مِن صَخر ،
صَخرٌ هُوَ الخُبزُ الَّذِي يَسِنُّ أَسنَانَنَا ،
صَخرٌ هِيَ اليَدُ الَّتِي تُمسِكُ بِذَقنِ اللَّيل .

لاَ تَستَطِيعُ الرِّيحُ أَن تَأخُذَهَا .

يَطوِي المَسَاءُ عَلَمَه الأَحمَر .
مَرَّةً أُخرَى سَنَنَامُ بِالصَّخرِ بَينَ أَسنَانِنَا ،
بِتَنَفُّسِ البَحرِ فِيمَا وَرَاءَ آذَانِنَا .

أَيُّهَا الرِّفَاقُ ، أَيًّا مَا كَانَ مَا سَيَحدُثُ الآن
فَسَيَجِدُنَا بِحِزمَاتِنَا مُتَدَلِّيَةً فَوقَ أَكتَافِنَا ،
وَفِي هَذِهِ الحِزمَاتِ ، كُلُّ قُلُوبِنَا
الَّتِي تُحَوِّلُ عُهُودَنَا إِلَى ضَمَانٍ لِلدِّيمُوقرَاطِيَّةِ فِي عُقُولِنَا
وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي نَلوِي بِهَا أَصَابِعَنَا فِي عُروَةِ الزِّرِّ بِسُترَةِ صَدِيق
لَا لأَنَّنَا لَا نَملِكُ مَا نَقُول
بَل بِسَبَبِ كُلِّ الحُبِّ الَّذِي نُكِنُّه لَه - وَهوَ كَذَلِك :
فَعِندَمَا نُحِبُّ لَا نَستَطِيعُ الكَلَام ،
نَعبَثُ بِغُصنِ زَيتُونَةٍ بَرِّيَّة ،
نُخَرمِشُ اسمًا فِي التُّرَاب ،
وَهوَ دَائِمًا الشَّيءُ نَفسُه ، وَسَنَكُونُ دَائِمًا عَلَى استِعدَاد ،
وَهوَ دَائِمًا اسمُ الحُرِّيَّة .

جُذور العَـالَم

بَعضُ شُجَيرَاتِ البَقسِ الجَافَّةِ فِي إِبطِ الصَّيف ،
مَريَمِيَّةٌ ، وَزَعتَرٌ ، وَسَرخَس .

كُنَّا فِي غَايَةِ العَطَش .
كُنَّا فِي غَايَةِ الجُوع .
عَانَينَا كَثِيرًا .

لَم نُصَدِّق قَط
أَنَّ النَّاسَ سَيَكُونُونَ بِهَذِهِ القَسوَة .
لَم نُصَدِّق قَط
أَنَّ قُلُوبَنَا بِهَذِهِ القُوَّة .

غَيرَ حَلِيقِين - بِقِطعَةِ مَوتٍ فِي جُيُوبِنَا .
أَيُوجَدُ هُنَاكَ عُودُ قَمحٍ يُحنِي رُكبَتَه لِلسَّمَاء ؟

يَحُلُّ الظَّلَامُ مُتَأَخِّرًا . لَا يُخفِي الظِّلُّ صَلَابَةَ الحَجَر .

أَدَوَاتُ طَعَامِ الرَّجُلِ المَيِّتِ مَدفُونَةٌ فِي الرَّمل .
يَحُطُّ القَمَرُ عَلَى شَاطِئٍ آخَر
فِيمَا يَلُفُّه السُّكُونُ بِإِصبَعِه الصَّغِير -
عَلَى أَيِّ بَحر ؟ وَأَيُّ سُكُون ؟

كُنَّا فِي غَايَةِ العَطَش ،
نُشَكِّلُ الحَجَرَ طوَالَ النَّهَار .
وَتَحتَ عَطَشِنَا
جُذُورُ العَالَم .

أغسطس -سبتمبر 1949

رِجالُنا العَجَـائِز

أَحيَانًا مَا تَصِلُ سُفُنٌ جَدِيدَةٌ ، بِحُمُولَاتِهَا
مِنَ الرِّجَالِ العَجَائِزِ مِن "مُورِيَا" وَ"رُومِيلِي"
أَو مِنَ الشَّمَالِ البَعِيد ، مِن "تِريكَالَا" وَ"مَقدُونيَا" .
رِجَالٌ مَحنِيُّونَ ، بِعِظَامٍ سَمِيكَةٍ ، وَشَوَارِبَ بَيضَاءَ وَعَبَاءَاتٍ مِن جِلدِ الغَنَم ،
يَفُوحُونَ بِالعُشبِ وَرَوثِ البَقَر ،
فِي عُيُونِهِم تَثغُو قُطعَانُ المَسَاء ،
وَمِن شَعرِهِم تَتَدَلَّى الظِّلَالُ المُورِقَةُ لِلأَشجَارِ المُستَوِيَة ؛
يَتَكَلَّمُونَ قَلِيلًا أَو لَا شَيء .
لَكِنَّكَ يُمكِنُ فِي الغَالِبِ أَن تَقُولَ إِنَّهُم أَقرِبَاءُ لِشَجَرِ التَّنُّوب
عِندَمَا يَرفَعُونَ عُيُونَهُم لَحظَةً عَنِ الأَرضِ وَيَحَدِّقُونَ فِيمَا فَوقَ أَكتَافِنَا .

عِندَمَا يُلَوِّنُ المَسَاءُ الخِيَامَ بِمِسحَةٍ مِن زُرقَة
وَشَارِبُ الرِّيحِ يَشتَبِكُ فِي الزَّعتَر ،
عِندَمَا تَهبِطُ السَّمَاءُ الصُّخُورَ المَعقُودَةَ فَوقَ الذِّكرَى عَلَى مَرَابِطِ النُّجُوم
وَالمَوتُ يَتَمَشَّى صَامِتًا جِيئَةً وَذِهَابًا عَلَى الجَانِبِ الآخَر مِنَ الأَسلَاكِ

الشَّائِكَة ،
سَتَرَاهُم يَجتَمِعُونَ فِي مَجمُوعَاتٍ مِن ثَلاثَةٍ أَو أَربَعة ،
مِثلَمَا ذَاتَ مَرَّةٍ فِي المَاضِي البَعِيدِ فِي مَخزَنِ البَارُودِ بِمِيسِيلُونجِي .

وَآنَئِذٍ فَلَن تَكُونَ عَلَى يَقِين - عِندَمَا تَرَاهُم مُجتَمِعِين كَذَلِكَ عِندَ تُخُومِ المَسَاءِ ، غَيرَ حَلِيقِينَ ، بِلَا كَلَام ،
لَن تَكُونَ عَلَى يَقِينٍ عِندَمَا يُشعِلُونَ كِبرِيتًا
سَوَاء كَانَ لإِشعَالِ سِيجَارَةٍ فَحَسب
أَو لإِشعَالِ مُفَجِّرِ دِينَامِيت .

لاَ يَنطَقُونَ بِكَلِمَة .
أَبنَاؤُهُم أُخِذُوا جَمِيعًا إِلَى التِّلَال .
أَغرَقُوا قُلُوبَهُم فِي الجَبَل
كَبرمِيلٍ صَغِيرٍ مَلِيءٍ بِالبَارُود .

يَحتَفِظُونَ بِشُجَيرَةِ رَحمَةٍ قَرِيبَةً مِن عُيُونِهِم
بَينَ حَوَاجِبِهِم صَقرُ القُوَّة
وَبَغلُ الغَضَبِ فِي قُلُوبِهِم
الَّتِي لَن تَكُونَ عَبِيدًا للظُّلم .

وَالآنَ يَجلِسُونَ فِي "مَاكرُونِيسُوس" ،

تَحتَ سَطحِ الخَيمَةِ المُرتَفِع ، مُحَدِّقِينَ فِي اتِّجَاهِ البَحر
كَأسُودٍ مِن حَجَرٍ عَلَى بَوَّابَةِ اللَّيل
تُنشِبُ مَخَالِبَهَا فِي الصَّخر . لَا يَتَكَلَّمُون .

يُحَدِّقُونَ نَحوَ الوَمضَةِ الدَّافِئَةِ لأَثِينَا ،
يُحَدِّقُونَ نَحوَ نَهرِ أُردُن الكَوكَبَة ،
مُتَشَبِّثِينَ بِحَجَرٍ فِي أَيدِيهِم الطِّينِيَّة ،
حَامِلِينَ طَلقَةَ بُندُقِيَّةِ النُّجُومِ فِي عُيُونِهِم ،
وَفِي أَعمَاقِ قُلُوبِهِم يُمسِكُونَ بِصَمتٍ مُطبِق ،
صَمتٍ يَهوِي أَمَام الضَّربَةِ الأُولَى لِلرَّعد .

أغسطس -سبتمبر 1949

من ديوان "زَمنٌ مُتحَجِّر" (1949)

6 نوفمبر 1948

لَيل . الجَرَسُ الصَّغِيرُ لِقَاعَةِ طَعَامِ الضُّبَّاط .
أَصوَاتُ أَولاَدٍ يَلعَبُونَ كُرَةَ القَدَم .
أَكَانَ ذَلِكَ بِالأَمس ؟ - لَا أَذكُر - ذَلِكَ الغُرُوبُ الخَيَالِي
المُفعَمُ بِالأَلوَانِ الأُرجُوَانِيَّةِ ، وَالذَّهَبِيَّةِ ، وَالوَردِيَّة .
كُنَّا وُقُوفًا . نُحَدِّقُ فِي البَعِيد .
وَإِذ كَلَّمنَا أَنفُسَنَا ، وَحِيدِين ، انتَشَرَت أَصوَاتُنَا فِي الرِّيح
لِتَربِطَ الأَشيَاءَ مَعًا ، لِتُحَرِّرَ قُلُوبَنَا .

وَصَلَت رِسَالَةٌ فِي الفِنَاءِ الأَمَامِي:
ابنُ بَانُوسِيس قُتِل .
حَطَّت الكَلِمَاتُ مِن جِدَارٍ إِلَى جِدَار .
فِي المَسَاء . لَا شَيء .

اللَّيلُ بِلَا سَاعَات . العُقدَةُ مَحلُولَة .
طَبَقُ بَانُوسِيس الأَلُومِنيُوم كَانَ مُجَمَّدًا عَلَى المِنضَدَة .

استَلقَينَا . تَغَطَّينَا . أَحبَبنَا بَعضَنَا
حَولَ ذَلِكَ الطَّبَق الَّذِي لَم يُمَس ، وَلَم يَعُد يَنفُثُ البُخَار .

حَوَالَي مُنتَصَفِ اللَّيلِ جَاءَت القِطَّةُ السَّوداءُ عَبرَ النَّافِذَة
وَأَكَلَت بَعضَ طَعَامِ بَانُوسِيس .
ثُم دَخَلَ القَمَر ،
وَاقِفًا فِي صَمتٍ عَلَى الطَّبَق .
وَيَدُ بَانُوسِيس عَلَى المَلَاءَةِ الخَشِنَة
كَانَت شَجَرَةً مُستَوِيَةً كَالِحَة .

أَهوَ كَذَلِك إِذَن ؟ - أَلَا بُدَّ أَن نَحزَن
حَتَّى نُحِبَّ بَعضَنَا البَعض ؟

12 نوفمبر 1948

فِيمَا بَعدَ الظَّهِيرَةِ حَمَلنَا الصُّخُور . عَمَلٌ سَرِيع
مِن يَدٍ إِلَى يَد . شَمسُ الشِّتَاء ،
السِّلكُ الشَّائِكُ ، جِرَارُ المَاءِ ، صَفِيرُ الحَارِس .
هُنَا يَنتَهِي اليَوم . تَأتِي فِي اللَّيلِ الرِّعدَة .
لاَبُدَّ أَن نُغلِقَ عَلَى أَنفُسِنَا مُبَكِّرًا . لِتَأكُلَ خُبزَنَا .
عَمَلٌ جَيِّدٌ ، أَيُّهَا الرِّفَاقُ ، عَمَلٌ سَهل
مِن يَدٍ إِلَى يَد . لَيسَ كُلُّ شَيءٍ سَهلًا هَكَذَا ؛
ثَمَّةَ أَشيَاءٌ أُخرَى لَا تَنتَقِلُ مِن يَدٍ إِلَى يَد . تُلَاحِظُون ،
رغمَ أَنَّ الوَجهَ لَا يَتَغَيَّرُ كَثِيرًا . تُلَاحِظُون
مِن شقٍّ فِي الجَبِين
مِنَ الفَمِ الَّذِي انفَتَحَ لَكِن لَم يَنطِق
مِنَ الصَّمتِ قَبلَ العَشَاءِ وَحَتَّى
مِنَ الإِصبَعَين اللَّذَينِ يَجذِبَانِ فَتِيلَ المِصبَاح .
خِلَالَ الأَكلِ تَظَلُّ الأَطبَاقُ غَيرَ مَغسُولَة ،

تَقفِزُ الفِئرَانُ إِلَى المِنضَدَة ،
وَالقَمَرُ يَضَعُ ذَقنَه عَلَى السِّيَاج .

يَتَوَقَّفُ كُلُّ شَيءٍ كَسَاعَةِ الرَّجُلِ القَتِيل .
وَاليَدُ الَّتِي تُحَاوِلُ الإِمسَاكَ بِشَيءٍ مَا تَسقُطُ عَرجَاءَ عَلَى الرُّكبَة .
المِقَصَّاتُ الَّتِي تَقُصُّ الأَظَافِرَ لَن تَتَحَرَّك -
الظُّفرُ صَعب . وَلَا تَملِكُ حَتَّى أَن تَغضَب .
الدِّفءُ مُؤَجَّل . مُؤَجَّلٌ الحَدِيثُ وَالصَّمت .
وَحدَه إِشعَالُ سِيجَارَةٍ حَوَالَي مُنتَصَفِ اللَّيل
يَضَعُ نِهَايَةً قَبلَ الأَوَانِ لِكُلِّ مَا ظَلَّ بِلاَ إِنجَاز .

27 نوفمبر 1948

أَشعَلنَا نَارًا بِبَعضِ الأَعشَابِ الجَافَّة ،
سَخَّنَّا المَاءَ ، تَحَمَّمنَا ، عَرَايَا ،
فِي الهَوَاءِ الطَّلق . كَانَت الرِّيحُ تَهُب . كُنَّا نُحِسُّ بِالبَرد . وَكُنَّا نَضحَك .
رُبَّمَا لَم يَكُن بِسَبَبِ البَرد . فِيمَا بَعد
تَبَقَّت مَرَارَةٌ مَا . بِالتَّأكِيد قِطَطِي ،
خَارِجَ المَنزِلِ المُوصَدِ ، سَتَقفِزُ إِلَى النَّوَافِذ ،
سَتَخمِشُ المَصَارِيع . وَلَن تَستَطِيع
قَولَ كَلِمَتَين لَهَا ، لِلشَّرح ،
حَتَّى لَا تَظُنَّ أَنَّكَ نَسِيتَهَا . لَن تَستَطِيع .

21 نوفمبر 1948

يَومُ الأَحَدِ خِزَانَةٌ كَبِيرَةٌ بِمَلاَبِسِ الشِّتَاء .
يَومُ الأَحَدِ يَفُوحُ بِكُرَاتِ النَّفتَالِينِ وَالمَرِيَمِيَّة ؛
لَه شَكلُ مِظَلَّةٍ مُغلَقَةٍ فِي رُوَاقٍ مُبَلَّطٍ بِقِرمِيد .

النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ بِصَوتٍ أَعلَى فِيمَا بَعدَ ظَهِيرَةِ الأَحَد
يَسِيرُونَ أَسرَعَ مَا بَعدَ ظَهِيرَةِ الأَحَد
يَضحَكُونَ أَعلَى لَيلَةَ الأَحَد
رُبَّمَا حَتَّى لَا يُفهَمُ أَنَّهُم لَيسَ لَدَيهِم مَا يَتَحَدَّثُونَ عَنه ،
وَلِهَذَا فَلَن يَسمَعُوا أَنَّهُم لَا يَسِيرُون
وَلِهَذَا فَلَن يَعرِفُوا أَنَّهُم لَيسَ لَدَيهِم مَا يَضحَكُونَ عَلَيه .

لَكِن "بسُومَاس" العَجُوزَ لَدَيهِ الكَثِيرُ لِيَقُولَه ؛
يُمكِنُه أَن يَصنَعَ أَرَاجِيحَ وَقَوَارِبَ مِنَ الأَشجَارِ المُتَسَاقِطَة
يُمكِنُه أَن يَقرَأَ الخَطَّ فِي الحُبُوبِ الجَافَّة

يُمكِنُه أن يَتَكَلَّمَ عَن ضَفَائِرِ الذُّرَةِ ، عَنِ الطُّيُورِ وَالسِّنِين
حَتَّى عِن ظِلِّ العِجلِ فِي الغُرُوب
أو حَتَّى عَن حِذَائِه الَّذِي يُعَلِّقُه عَلَى كَتِفِه
كَأَنَّه مُوشِكٌ عَلَى القِيَامِ بِرِحلَةٍ طَوِيلَة .

أُدرِكُ آنَئِذٍ أَنِّي لَا أَدرِي شَيئًا
وَأَنَّه لَيسَ مِنَ اللَّائِقِ أن أُخَرمِشَ الشِّعرَ بِلاَ تَمييز
طَالَمَا أَنِّي لَم أَتَعَلَّم أن أَشُقَّ طَرِيقًا مُستَقِيمًا
لِيَتَمَكَّنَ "بسُومَاس" العَجُوزُ مِنَ السَّيرِ فِيه
دُونَ خَوفٍ مِن إِفسَادِ حِذَائِه .

ماكرونيسُوس 1948

24 نوفمبر 1948

يَومٌ مِن حَجَر، كَلِمَاتٌ مِن حَجَر.
اليَسَارِيعُ تَمشِي الهُوَينَى عَالِيًا عَلَى الجِدَار.
حَلَزُونٌ يُجَرجِرُ مَنزِلَه،
يَقِفُ عَلَى عَتَبَةِ البَاب،
قَد يَبقَى، قَد يَرحَل.

كُلُّ الأَشيَاءِ كَمَا هِي.
لاَ شَيء.
العَدَمُ لَيسَ رَخوًا.
إِنَّه حَجَر.

❖

نُسِيَ كُلُّ شَيءٍ قَبلَ أَن يُنطَق.
وَالصَّمتُ لَيسَ مَلاَذًا.

❖

لِلكُرسِيِّ صَبرُه .
يَصِلُ المَطَر
يُنَظِّفُ أَسقُفَ الطُّيُور
وَيَأخُذُ عَلَى عَاتِقِهِ عِبءَ شَخصٍ أَخرَس .
فُرشَاةُ الأَسنَانِ حَزِينَة
كَكُلِّ الأَشيَاء .

نَتَظَاهَرُ بِأَنَّنَا لَا نَرَى .
نُشعِلُ المِصبَاح .

26 نوفمبر 1948

هَذَا البَردُ يَضَعُنَا فِي مَأزَق .
المَاءُ مُجَمَّد ، الطَّعَامُ مُجَمَّد .
الشَّمسُ البَيضَاءُ مُلتَصِقَةٌ بِزُجَاجِ النَّوَافِذ ،
شَمسُ الثُّلُوجِ وَطَوَابِعِ البَرِيدِ المُستَخدَمَة .
وَحدَهَا جِرَارُ المَاءِ تَحتَفِظُ
بِقَلِيلٍ مِنَ البَيتِ وَالذِّكرَى .

❖

يَدٌ تَتَمَشَّى فِي الهَوَاء
بِإِبرَةٍ وَخَيط ،
حَدَثٌ بِلاَ تَوَاصُل
عَلَى الجِدَار ، الظِّلُّ السَّاكِن
لِصَوتٍ لَم يَقُل شَيئًا .

❖

نِكَاحٌ بِيَدٍ مَكسُورَة

اسطُوَانَةُ فُونُوجرَاف مَكسُورَة
قَمَرٌ فِي مَاءٍ مُتَجَمِّد
كُرسِيُّ المَسَاء .
النَّومُ بَطِيء .
فَلتُطفِئِ المِصبَاحَ ، إِذَن .
فَلاَ يُمكِنُنِي مَعَ الضَّوء
أَن أَكُونَ أَعمَى .

27 نوفمبر 1948

أَمرٌ عَلَى البَابِ الخَشَبِيِّ لِلمَطبَخ .
قَرَّرنَا أَن نَكُونَ مُقتَصِدِين .
يَومُ السَّبتِ انتَهَى
بِقَمَرٍ مِن زِنكٍ صَدِئ .

غَيمَةُ كَلبٍ تَلُوكُ نَومَنَا .

❖

كُلَّ يَومِ أَحَدٍ يَنتَابُنَا صُدَاع .
مِنه يَصَّاعَدُ دُخَان .
وَالسِّيجَارَةُ مُجَرَّدُ ذَرِيعَة .

❖

نَأكُلُ ، نَكنِسُ ، نَنَام .
الأَعمَى الَّذِي لَا يَنَام
يُفَتِّشُ الهَوَاءَ بِيَدَيه .

30 نوفمبر 1948

حِينَ تَذُوبُ الثُّلُوج
رُبَّمَا نَسمَعُ أَصَواتَنَا .
أَرُبَّمَا ؟

1 ديسمبر 1948

جَرَائِدُ قَدِيمَة
عَلِقَت بِأَجوِلَةِ القُطنِ الجَافَّة .
كَلبٌ يخترِقُ الرِّيح
بِمِنخَارِه .
نِفَايَاتُ أُسبُوع
عِظَامٌ ، ثَلجٌ ، قَصَائِد
تَحتَ السَّرِير .

7 ديسمبر 1948

الطَّاهِيةُ تَرَكَت أَوعِيَتَهَا
لِتُطعِمَ عُصفُورًا .

لَكِنَّ الأُغنِيَةَ لَا تَدُومُ طَوِيلًا ،
يَأخُذُهَا المَيِّتُ إِلَى تَحتِ الأَرض .

❖

عَلَى عُلبَةِ السَّجَائِر
دَوَّنَّا أَرقَامًا بِسُرعَة
لاَ تَتَعَلَّقُ بِأَيِّ شَيء .

جَمعٌ ، طَرحٌ ، جَمعٌ ، طَرح .

وَمَعَ ذَلِك ، حِسَابٌ ، فَحِسَاب
فِي النِّهَايَةِ تَنجَحُ فِي أَلاَّ تَصرُخ .

23 يناير 1949

أَخِيرًا
تَعكِسُ المِرآة
يَدَيكَ القَاسِيَتَين
فِيمَا تَفتَقِرُ إِلَى يَدَين لِتُصَفِّق
لاِنتِصَارِك .

26 يناير 1949

أُرِيدُ أَن أُشَبِّهَ غَيمَةً
بِدُب .
لَكِنِّي لَا أَستَطِيع .
فَالأَكَاذِيبُ الجَمِيلَة
تَتَلاَشَى مَعَ الزَّمَن .

30 يناير 1949

يَحِلُّ المَسَاء
بِلاَ كَلَام
بِيَدَيه تَحتَ إِبطَيه
مَغمُورًا فِي عَتمَةِ خَوفِنَا.
كُلُّ الشُّكُوكِ تَحَقَّقَت.
الظَّلَامُ لَا يُخفِي شَيئًا.
خُفَّاشٌ جَاءَ عَبرَ النَّافِذَة.
لَا مَعنَى لِذَلِك.

ليمنُوس، معسكر الاعتقال 1948 -1949

1 مايـو 1950

دَاسَ الجُندِيُّ عَلَى سِيجَارَتِه .
كَم بِسُهُولَةٍ يُدَاسُ كُلُّ شَيء ...
"لاَفرِيُون" فِي الجَانِبِ الآخَرِ مِنَ البَحر .
فَمَن ذَا الَّذِي قَال: نِسَاءٌ حَاصِدَات
بِمَنَاجِلِ السُّنُونُو ؟

فَلتُغطِّ أُذُنَيكَ بِرَاحَتَيك .
العَار . العَار .

6 مايـو 1950

سَفِينَةٌ تُمضِي ، وَسَفِينَةٌ تَجِيء
رَجُلٌ يَجِيءُ وَآخَرُ يَمضِي -
لِلمَرَّةِ الأَخِيرَة ، أَينَ يَنتَهِي المَوت ؟

الرَّمَادُ يُغَطِّي النَّار .
العَلَمُ يُغَطِّي المَيِّت .
وَكُلٌّ مِن الفَائِزِ وَالمَهزُوم
تَحتَ العَلَمِ أَو بِدُونِ عَلَم
مَيِّت .
لَن تَتَعَلَّمَ أَبَدًا لَو انتَابَكَ نَدَم .

7 مايـو 1950

جَزِيرَةٌ سَودَاءُ ، سَودَاء .
فَوقَهَا الصَّخرَةُ السَّودَاءُ بِالفَوَانِيسِ المُضَاءَة .
فِئرَانٌ ضَخمَةٌ تَدخُلُ المَغَاسِل .
تَتَمَهَّلُ كَي تَسمَعَ الأَبوَاق
تُحَدِّقُ فِي عُيُونِنَا
وَبَعدَهَا تَرحَلُ بِهُدُوء .

حِملَانٌ مَسلُوخَةٌ مُعَلَّقَة
فَوقَ نَومِنَا .

19 مايو 1950

المَجَانِينُ وَالعَجَزَةُ يَتَزَايَدُون -
الآنَ بِالتَّحدِيد
الآنَ عِندَمَا مَضَت المِحَنُ العُظمَى لِلرَّاحَة .
خِلَالَ اللَّيلِ مِن السَّقفِ يُمكِنُ سَمَاع
عُوَاءِ الرَّجُلِ المَجنُون ،
يُسَبِّحُ فَوقَ البَحر .
تَتَّسِعُ العَينَان
سَودَاوَين ، سَودَاوَين
كَدُكَّانَي حِدَادَةٍ عَلَى طَرَفِ المَدِينَة .

فِيهِمَا حَدَّادَان شِبهُ عَارِيَين
يَطرُقَانِ الحَدِيد .
وَهَذِهِ الضَّرَبَات
تَمنَعُكَ مِن كِتَابَةِ رِسَالَة

بَل ، الأكثَر ، مِن كِتَابَةِ قَصِيدَة .

هُنَا ، كُلُّ شَيءٍ كُتِبَ بِالدَّم .

24 مايُـو 1950

كَتَبنَا وَصَايَانَا بِجَمَالٍ بَالِغ .
لَم تُفتَح
وَلَم يَقرَأُوهَا
لأَنَّنَا لَم نَمُت .

قُلنَا أَشيَاءً
مِمَّا لَابُدَّ لِلمَرءِ أَن يَقُولَه ذَاتَ يَوم
أَعطَينَا أَشيَاءً
مِمَّا لَابُدَّ لِلمَرءِ أَن يُعطِيهِ ذَاتَ يَوم .

كَلِمَاتٌ كَبِيرَة
بَسِيطَةٌ لِلغَايَة
كَالمَلاَعِقِ فِي حَقَائِبِ ظَهر
القَتلَى .

رَأَينَا الأَبَدِيَّة
مُنعَكِسَةً مَنتَصِبَة
عَلَى نَظَّارَاتِ الرَّجُلِ الغَبِي
الَّذِي قُتِلَ مُنذُ شَهرَين .

وَلتَتَأَمَّل فَحَسب ،
فَلَم تَعُد تَستَطِيعُ أَن تَقُول
"نَحن"
دُونَ أَن تُخفِضَ عَينَيك
دُونَ أَن تَحمَرَّ خَجَلًا .

30 مايـو 1950

الجُنُودُ ، غَيرَ حَلِيقِين ،
عَلَى الحَائِطِ الحَجَرِي
يَسكُنُ عُيُونَهُم حُزنٌ مُتَثَائِب
يُنصِتُونَ إِلَى مُكَبِّرَاتِ الصَّوتِ ، البَحر ،
لاَ يَسمَعُونَ شَيئًا -
رُبَّمَا كَانُوا يُرِيدُونَ النِّسيَان .

فِي الغَسَق
يَذهَبُونَ بِبُطءٍ إِلَى الوَادِي لِيُلَبُّوا احتِيَاجَاتِهِم الجَسَدِيَّة .
عِندَمَا يُزَرِّرُونَ بَنطَلُونَاتِهِم
تَلتَقِطُ عُيُونُهُم لَمحَةً مِنَ القَمَرِ الجَدِيد .

كَانَ يُمكِنُ لِلعَالَمِ أَن يَكُونَ جَمِيلًا .

ماكرونيسُوس 1950

من ديوان "مذكرات المنفَى" (1948 -1950)

سَــلَام

إلى كُوستَاس فَارنَالِيس

أَحلاَمُ طِفلٍ هِيَ السَّلَام .
أَحلاَمُ الأُمِّ هِيَ السَّلَام .
كَلِمَاتُ الحُبِّ تَحتَ الأَشجَارِ
هِيَ السَّلَام .

الأَبُ الَّذِي يَعُودُ فِي الغَسَقِ بِابتِسَامَةٍ عَرِيضَةٍ فِي عَينَيه
بِسَلَّةٍ فِي يَدِهِ مَلِيئَةٍ بِالفَاكِهَة
وَقَطَرَاتُ العَرَقِ عَلَى جَبِينِه
تُشبِهُ قَطَرَاتٍ عَلَى جَرَّةٍ تُبَرِّدُ مَاءَهَا عَلَى عَتَبَةِ نَافِذَة ،
هِيَ السَّلَام .

حِينَ تَندَمِلُ الجِرَاحُ عَلَى وَجهِ العَالَم
وَفِي الحُفَرِ المَشقُوقَةِ بِفِعلِ القَنَابِلِ نَغرِسُ أَشجَارًا
وَفِي القُلُوبِ المَسفُوعَةِ بِالحَرِيقِ يُنبِتُ الأَمَلُ بَرَاعِمَه الأُولَى

وَالمَوتَى يُمكِنُ أَن يَنقَلِبُوا إِلَى جَنبِهِم وَيَنَامُوا بِلاَ أَنِين
مُدرِكِين أَنَّ دَمَهُم لَم يُسفَح سُدًى ،
فَذَلِكَ هُوَ السَّلَام .

السَّلَام هُوَ رَائِحَةُ الطَّعَامِ فِي المَسَاء ،
عِندَمَا لَا يَعنِي تَوَقُّفُ سَيَّارَةٍ فِي الشَّارِعِ الخَوف ،
عِندَمَا تَعنِي طَرقَةٌ عَلَى البَابِ صَدِيقًا ،
وفَتحُ نَافِذَةٍ كُلَّ سَاعَةٍ تَعنِي أَنَّ السَّمَاء
تُمتِعُ عُيُونَنَا بِالأَجرَاسِ البَعِيدَةِ لأَلوَانِهَا ،
ذَلِكَ هُوَ السَّلَام .

السَّلَام هُوَ كُوبٌ مِنَ اللَّبَنِ الدَّافِئِ وَكِتَابٌ أَمَامَ الطِّفلِ المُستَيقِظ .
وَحِينَ تَنحَنِي أَعوَادُ القَمحِ نَحوَ بَعضِهَا وَتَقُول: الضَّوء ، الضَّوء ،
وَإِكلِيلُ الأُفُقِ يَفِيضُ بِالضَّوء ،
ذَلِكَ هُوَ السَّلَام .

عِندَمَا تَتَحَوَّلُ السُّجُونُ إِلَى مَكتَبَات ،
عِندَمَا تَعلُو غُنوَةٌ مِن عَتَبَةٍ إِلَى عَتَبَةٍ فِي اللَّيل
عِندَمَا يَنبَثِقُ قَمَرُ الرَّبِيعِ مِن غَيمَة
كَعَامِلٍ يَخرُجُ مِن مَحَلِّ حِلاَقَةٍ بِالجِوَارِ حَلِيقًا مُنتَعِشًا فِي نِهَايَةِ أُسبُوع ،
فَذَلِكَ هُوَ السَّلَام .

حِينَ يَكُونُ اليَومُ المُنقَضِي لَيسَ يَومًا مُضَيَّعًا
بَل جِذرًا يُنبِتُ أَورَاقَ البَهجَةِ فِي اللَّيل
وَيَومًا كَسِبنَاهُ وَنَومًا مَشرُوعًا ،
عِندَمَا تُحِسُّ مِن جَدِيدٍ بِالشَّمسِ تَعقِدُ عَلَى عَجَلٍ حِقوَيهَا
لِتُطَارِدَ وَتَطرُدَ الحُزنَ مِن أَركَانِ الزَّمَن ،
فَذَلِكَ هُوَ السَّلَام .

السَّلَام هُوَ أَكوَامُ أَشِعَّةِ الشَّمسِ عَلَى حُقُولِ الصَّيف ،
هُوَ كِتَابُ أَبجَدِيَّةِ الرَّحمَةِ عَلَى رُكبَةِ الفَجر .
عِندَمَا تَقُولُ : أَخِي - عِندَمَا نَقُول : غَدًا سَنَبنِي ،
عِندَمَا نَبنِي وَنُغَنِّي ،
ذَلِكَ هُوَ السَّلَام .

عِندَمَا لَا يَحتَلُّ المَوتُ سِوَى مَكَانٍ صَغِيرٍ فِي القَلب
وَالمَدَاخِنُ تُشِيرُ بِأَصَابِعَ صَارِمَةٍ إِلَى السَّعَادَة ،
عِندَمَا يُمكِنُ لِلشُّعَرَاءِ وَالبُرُولِيتَارِيَا عَلَى السَّوَاء
أَن يَشُمُّوا القَرُنفُلَ الكَبِيرَ لِلغُرُوب ،
فَذَلِكَ هُوَ السَّلَام .

السَّلَام هُوَ القَبضَاتُ المُطبَقَةُ لِلرِّجَال ،
هُوَ الخُبزُ الدَّافِئُ عَلَى مِنضَدَةِ العَالَم ،

ابتِسَامَةُ الأُم .
ذَلِكَ وَحدَه .
السَّلَامُ لَيسَ شَيئًا آخَر .
وَالمَحَارِيثُ الَّتِي تَشُقُّ أَخَادِيدَ عَمِيقَةً فِي كُلِّ الأَرض
لاَ تَكتُبُ سِوَى اسمٍ وَحِيد :
السَّلَام . لَا شَيءَ آخَر . السَّلَام

عَلَى العَمُودِ الفِقَرِيِّ لِقَصَائِدِي
فَالقِطَارُ المُتَقَدِّمُ نَحوَ المُستَقبَل
مُحَمَّلًا بِالخُبزِ وَالوُرُود
هُوَ السَّلَام .

أُخوَتِي ،
كُلُّ العَالَمِ بِكُلِّ أَحلَامِه
يَتَنَفَّسُ عَمِيقًا فِي سَلَام .
فَلتَمنَحُونَا أَيدِيَكُم ، يَا أُخوَتِي ،
فَذَلِكَ هُوَ السَّلَام .

يناير 1953

من ديوان "سَهر" (1938 -1953)

الأَيـدِي

غَالِبًا مَا تَكُونُ الأَيدِي شَبِيهَةً بِالوُجُوه
أَو شَبِيهَةً بِالأَجسَادِ كُلِّهَا . فَهَذِهِ الأَيدِي
تَظَلُّ فَاتِرَةً فِي أَوَائِلِ الرَّبِيع ،
تَعطَسُ ، تَكُح ، تَشكُو ، تَصمت ،
كَرَجُلَينِ عَجُوزَينِ عَلَى مِقعَدَيهِمَا ، أَزرَارُهُمَا مَحلُولَة ،
وَأَعضَاؤُهُمَا الجِنسِيَّةُ تَذوِي فِي الشَّمس .

فِي المُقَابِل ، امرَأَةٌ تُرضِعُ طِفلَهَا .
يَدَاهَا ، رَغمَ سُكُونِهِمَا ،
عَدَّاءَانِ عَارِيَان فِي مَيدَانٍ كَبِيرٍ مِن رُخَام .

حَتَّى الفَجـر

كَانَت تَجرِي فِي الحَقلِ ذِي الأَشوَاكِ الطَّوِيلَة .
وَرَاءَهَا ، كَانَت سَاعَاتٌ وَأَجرَاسٌ كَبِيرَةٌ تَصِيح .
ثُم طَبلَةٌ ، فَأُخرَى - وَاصَلَت الجَري ؛
طُبُولٌ كَثِيرَةٌ فِي مُنتَصَفِ اللَّيل ؛ نَزَفَ
دَمُهَا مِن يَدَيهَا وَقَدَمَيهَا ؛ لَهَثَت ؛
تَعَثَّرَت فِي مَكَانٍ مَا وَسَقَطَت ؛ تَوَقَّفَ اندُفَاعُهَا ،
وَأَيضًا خَوفُهَا ؛ وَحده الاندِهَاشُ الهَادِئ :
مَاذَا كَانَت العَقَبَة ؟ ... غَالِبًا الفُضُول .

سَاقِطَةً هَكَذَا عَلَى الأَرض ، تَلَمَّسَت طَرِيقَهَا بِكُلِّ أَعضَائِهَا
ثُم رَفَعَت رَأسَ تِمثَالٍ مَقطُوعَة .
جَفَّفَت عَينَيهَا ؛ تَوَقَّفَت السَّاعَات ؛
تَوَقَّفَت الأَجرَاسُ وَالطُّبُول . كَانَ الفَجرُ يَطلُع .
هَذَا الشَّيءُ الَّذِي حَمَلَته كَطِفلٍ فِي يَدَيهَا

كَانَ وَجهَهَا هِي . مِن شَفَتَيه انسَاب
خَيطُ لَبَنٍ يَتَوَهَّجُ فِي فُتُورٍ فِي الفَجر .

دِلفِي ، مارس 1962

مَكانٌ خَـاص

أَخَذَ الصَّيَّادُ عُدَّتَه وَرَحَل .
وَقَفَت المَرأَةُ بِجِوَارِ البَاب .
حَدَّقَت فِي الفَجرِ الضَّبَابِي .
طَرَفُ وَردَةٍ عَلَى الأُفُقِ مُؤلِم .
وَرَاءَ ظَهرِهَا سَمِعَت أَنفَاس
البَيتِ المُعتِمِ بِحَوضِ الغَسِيلِ وَالمِكنَسَة .
سَمِعَت العَجَلاَتِ الصَّغِيرَةَ لِلأَطبَاق
تَتَدَحرَجُ فِي الهَوَاء . استَدَارَت إِلَى الدَّاخِل ،
أَخَذَت المِقَصَّاتِ الكَبِيرَةَ مِنَ المِنضَدَة
وَبَدَأَت فِي قَصِّ أَظَافِرِهَا إِلَى تَلٍّ صَغِير
وَبَحَثَت عَن مَكَانٍ مَا لِتُخَبِّئَهَا ، لَكِنَّهَا لَم تَجِد .
وَمَاذَا إِن عَثَرَ عَلَيهَا ذَاتَ يَومٍ زَوجُهَا أَو أَطفَالُهَا ؟

صَيفٌ في دِيمِينيُـو

سَفِينَةٌ تَرحَلُ مَعَ حُلُولِ اللَّيل . الضَّوءُ يَتَوَهَّج .
كُلُّ شَيءٍ شَفَّافٌ تَمَامًا ، غَيرُ مَوجُودٍ تَقرِيبًا .
شَخصٌ مَا جَالِسٌ عَلَى كُرسِيٍّ عَلَى الشَّاطِئ -
كَيفَ يَسنِدُ كُرسِيُّه نَفسَه عَلَى الصَّمت ؟

فِي الشَّوَارِعِ تَعبُرُ الشَّاحِنَاتُ مُحَمَّلَةً بِالبَطِّيخِ وَالشَّمَّامِ .
فِي حِرجِ الصُّنُوبَرِ الصَّغِيرِ تَخلَعُ فَتَاةٌ ثِيَابَهَا .
ثِيَابُهَا عَلَى الأَرضِ هَضَبَةٌ صَغِيرَةٌ مِن ضَوء .

لَم تَعُد القَصَائِدُ تَعرِفُ مَاذَا تَفعَلُ فِي الفَمِ الجَاف .

ديمينيو ، أغسطس 1953

أجسَـاد

أجسَادٌ ، مَسفُوعَةٌ بِالشَّمسِ ، شَابَّة - أرضٌ سَودَاءُ مُحمَرَّة -
أحيَانًا فِي شَعرِهِم الكَثِيفِ أو حَتَّى فِي مَسَامِّهِم
تَتَلألأُ مُكَعَّبَاتُ المِلح ، كَثِيرًا حَتَّى أنَّك تَرتَعِد
خَوفًا مِن أن يَظَلَّ الشُّعَرَاءُ بِلا صَوت .

أثينا ، ديمينيو ، ساموس 1953 -1957

عبَّـاد الشَّمس

زُهُورُ عَبَّادِ شَمسٍ كَبِيرَةٌ بَاهِرَةٌ فِي حَدَائِقُ مَهجُورَة .
العُيُونُ الأَلفُ لِلظَّهِيرَةِ صَفرَاء .
وَهَجٌ أَصفَر ، فَرَاغٌ أَصفَرُ لِلصَّيف ،
أَحجَارٌ حَارِقَةٌ ، حُقُولُ ذُرَةٍ ، أَجسَاد .
الشِّعرُ المَبهُورُ بِهَذَا البَرِيق ، يَبحَثُ عَن بَعضِ الظِّل ،
يَخلِقُ ظِلًّا ، يُصبِحُ أَكثَرَ إِضَاءَة .

أثينا ، ديمينيو ، ساموس 1953 -1957

ظَهيرةُ صَيفٍ في كارلوفاسي

حَدِيدٌ مَصهُورٌ ، ظَهِيرَةٌ ، ظِلاَلٌ حَجَرِيَّة .
زِيزُ حَصَادٍ وَزِيز . المِطرَقَةُ تَدُقُّ لَدَى الحَدَّاد .
شَرَايِينُ مَاءٍ تَنسَلُّ تَحتَ الأَحجَار .
قُبَّةُ الكَنِيسَةِ المُغلَقَةِ تَلتَمِع .
اكتِمَالٌ نَاقِص – قَال . وَلاَ أَحَدَ لِيَتَكَلَّم ،
لاَ أَحَدَ لِيَسمَع . مُرُورُ النَّوَارِس :
اندِفَاعٌ مُفَاجِئٌ لِلسَّائِلِ المَنَوِي . وَبَعدَه مُبَاشَرَةً ،
ذَلِكَ النَّدَمُ غَيرُ المَحسُوبِ ، العَصِيُّ عَلى التَّفسِير . وَتَحتَ شَجَرَةِ التُّوت
سُمِعَت ضَربَةٌ بَالِغَةُ القُوَّةِ حِينَمَا صَفَعَ الحِمَار
بِإِحدَى أُذُنَيهِ ذُبَابَة .

أثينا ، ديمينيو ، ساموس 1953 -1957

غِيَـاب

الشَّمسُ الغَارِبَةُ أَسَدٌ أَحمَر .
رَائِحَةُ شَمسٍ وَشَعرِ حِصَانٍ مُحتَرِق .
فَتَاةٌ وَردِيَّةٌ عَلَى البَاب .
فَتَاةٌ صَفرَاءُ تَحتَ الأَشجَار .
فَتَاةٌ زَرقَاءُ عَلَى الجَبَل . لَا شَيء .
غِيَابٌ عَرِيضٌ ، نَقِيٌّ ، بِلَا تَفسِير .
تَرفَعُ السَّمَاءُ الفَتَيَاتِ عَالِيًا ، وَالمَنَازِلَ ، وَالتَّمَاثِيل .

أثينا ، ديمينيو ، ساموس 1953 -1957

لَيليَّـة

فِيمَا كَانَ يَمشِي وَحِيدًا فِي الشَّارِعِ المَهجُور ،
أَحَسَّ وَرَاءَ ظَهرِهِ بِسِكِّينِ نَجمَة
تَختَرِقُ ظُلمَةَ جَسَدِهِ الدَّافِئَة . لَم يَستَدِر .
اختَرَقَ السِّنُّ صَدرَهُ الأَيسَر .
رَآه يَلتَمِعُ فِي صَدرِهِ المَفتُوح ، أَمسَكَه
بِإِصبَعَين ، سَحَبَه ، وَأَشعَلَ سِيجَارَتَه .

أثينا ، ديمينيو ، كارلوفاسي ، بلاتاناكيا ،
سانت -قسطنطين 1953 -1957

حُزنٌ صَيـفِي

وَسِيمٌ هُوَ الفَلاَّحُ المُستَلقِي تَحتَ ظِلِّ الشَّجَرَةِ المُستَوِيَة .
حَولَه أَزَّت حَرَارَةُ الشَّمسِ الذَّهَبِيَّة ، لاَهِثَة .
صَدرُهُ عُريَان . قَدَمَاهُ الحَافِيَتَان نَاتِئَتَان
مِن سَاقَي بَنطَلُونِهِ المُجَعَّد . نِعَالٌ وَاسِع
بِأَصَابِعَ مَنحُوتَةٍ جَيِّدًا ، كَأَصَابِعِ تِمثَال .
وَتِلكَ السِّيمَاءُ دَاكِنَةُ البَشرَةِ لِلرُّجُولَةِ اللاَّمُبَالِيَة .

جَاءَت زَوجَتُه ، نَحِيلَةً ، كَالصَّفصَافِ ، بِطِفلٍ فِي صَدرِهَا ،
وَابنَينِ صَغِيرَين يُمسِكَانِ بِجِلبَابِهَا الذَّاوِي .
نَهَض ، وَحِزمَةُ أَخشَابٍ تَحتَ ذِرَاعِه ،
أَخَذَ أَحَدَ الأَطفَالِ بِيَدِهِ وَسَارَ بَعِيدًا
إِلَى أَعمَاقِ الظَّهِيرَةِ الذَّهَبِيَّة . وَرَاءَه بِبِضعِ خُطوَات
تَبِعَته زَوجَتُه النَّحِيلَة .
حُزنٌ لَا نِهَائِي :

فَلَا أَحَدَ سَيُخبِرُه بِأَنَّه وَسِيم . لَن يَعرِفَ ذَلِكَ أَبَدًا .

أثينا ، ديمينيو ، كارلوفاسي ، بلاتاناكيا ،
سانت -قسطنطين 1953 -1964

المَركَـز

البَحر ، الشَّمس ، الشَّجَرَة . وَمِن جَدِيد :
الشَّجَرَة ، الشَّمس ، البَحر .
فَلتُلَاحِظ
أَنَّ فِي هَذَا التِّكرَارِ المَعكُوس
تُوجَدُ الشَّمسُ مَرَّةً أُخرَى فِي المُنتَصَف
كَلَذَّةٍ حِسِّيَّةٍ فِي مَركَزِ الجَسَد .

أثينا ، ديمينيو ، كارلوفاسي ، بلاتاناكيا ،
سانت -قسطنطين 1953 -1964

فَـلَّاح

تَرَكَ المِعوَلَ بِجِوَارِ الحَائِطِ وَقَال :
"الحَقلُ يَكسِرُ ظَهرَك . كُلَّ يَوم
تُكَافِحُ مَع آلَافِ الأَطنَانِ مِنَ التُّرَاب . وَفِيمَا بَعد ،
فَشِبرَانِ مِنَ الأَرضِ – حَتَّى – سَيَفِيضَانِ عَن حَاجَتِك . وَلَا حَتَّى
نَعجَةٌ وَاحِدَةٌ سَتَنفُو وَرَاءَك" .
الغُرُوب
كَانَ يَذوِي بَعِيدًا بِلَونٍ قُرمُزِيٍّ دَاكِن . وَالشِّعر
اختَبَأَ بِلَا صَوتٍ وَرَاءَ الأَشجَارِ ،
مُحَدِّقًا فِي يَدَيهِ المُضِيئَتَين العَبَثِيَّتَين .

أثينا ، ديمينيو ، كارلوفاسي ، بلاتاناكيا ،
سانت -قسطنطين 1953 -1964

مَنزِل هِيلِيـن

الأَشجَارُ تُخفِي المَنظَرَ مِنَ النَّافِذَة .
أَورَاقٌ عَرِيضَةٌ ، مُرهَفَةٌ ، مُلتَفَّةٌ ، طَوِيلَة .
طَبَقٌ أَبيَضُ بِفَاكِهَةٍ عَلَى المِنضَدَة .
دَرَّاجَةُ الطِّفلِ ، الحِصَانُ الخَشَبِي
مُرتَبِكَانِ تَمَامًا مَعَ صَرَخَاتِ زِيزِ الحَصَاد .
فَأَيُّ سِيَاق
سِرِّيٌّ رَفَعَ هَذَا المَشهَدَ العَادِي
إِلَى مَنطِقَةِ عَدَم قَابِلِيَّةِ الفَسَاد ، مَحمُولًا بِالكَاد
فَوقَ الفَوضَى بِغُصنٍ أَخضَرَ ، مِثلَمَا بِإِصبَع
إِلَهٍ وَسِيمٍ شَاب ؟

أثينا ، ديمينيو ، كارلوفاسي ، بلاتاناكيا ،
سانت -قسطنطين 1953 -1964

احتمـالاَت

القَارِبُ أَبيَضُ تَمَامًا ، وَوَرَاءَه قَوَارِبُ حَمرَاء .
أَحصَاهُم ، أَحصَاهُم مِن جَدِيد: سِتَّة . تَسَاءَل
مَا الَّذِي يَعنِيه الرَّقَم وَالإِحصَاءُ الذَّاوِي فِي الغَسَق ،
مَعَ السُّؤَال . حَسَنًا إِذَن ، مُحتَمَلٌ
أَنَّ مَا نَدعُوه "الجَمَال" قَد يَكُونُ مَوجُودًا ؛ وُرُبَّمَا يَكُونُ أَيضًا
اليَقِينُ الصَّامِتُ ، بِلاَ تَفسِيرٍ ، لِسَعَادَةٍ مُؤَجَّلَة .

أثينا ، ديمينيو ، كارلوفاسي ، بلاتاناكيا ،
سانت -قسطنطين 1953 -1964

عَـارِيًا

بِعَينَيه مُغمَضَتَين ، فِي الشَّمس : تَعَرَّى . طَحَالِبُ وَمِلح
حَولَه وَدَاخِلَه . لَا أَحَد . ضَوءٌ مُعتِمٌ حَتَّى حَافَّةِ العَالَم .
غَاصَ فِي جَسَدِه . هُدُوء . خَارِجَ جَسَدِه
صَاحَ سَائِسُو البِغَال ، وَالسُّفُن ، وَزِيزُ الحَصَادِ ، وَالتَّارِيخ .
فِي عَالَمِ المِيَاهِ ، قَفَزَت سَمَكَةٌ وَحِيدَة .

أثينا ، ديمينيو ، كارلوفاسي ، بلاتاناكيا ،
سانت -قسطنطين 1953 -1964

مُراهَقَـة

وَقَفَ وَرَاءَ الصَّخرَةِ لِيَتَعَرَّى . لَم يَكُن مَرئِيًّا .
شَعرُهُ الأَسوَدُ فَقَط ، مُلتَمِعًا ، فَتِيًّا ،
انتَصَبَ فِي مُوَاجَهَةِ السَّمَاء . فِي بُرهَةٍ قَصِيرَة
وَضَعَ ثِيَابَه عَلَى الصَّخرَةِ ، وَسَبَح .
تَجَمَّعَت الشَّمسُ فِي قَمِيصِهِ الأَبيَض .
تَوَهَّجَ القَمِيصُ كَجَنَاحٍ رُخَامِيٍّ صَغِير
عَلَى كَتِفِ الظَّهِيرَةِ الذَّهَبِيَّة .

أثينا ، ديمينيو ، كارلوفاسي ، بلاتاناكيا ،
سانت -قسطنطين 1953 -1964

ألـوَانٌ مؤكَّـدة

الجَبَلُ أحمَر . البَحرُ أخضَر .
السَّمَاءُ صَفرَاء . الأَرضُ زَرقَاء .

بَينَ طَائِرٍ وَوَرَقَةِ شَجَرٍ يَجلِسُ المَوت .

أثينا ، ديمينيو ، كارلوفاسي ، بلاتاناكيا ،
سانت -قسطنطين 1953 -1964

أغنيةٌ صغِيرةٌ إلَى إرِي[*]

المِرآةُ الصَّغِيرَةُ المُعَلَّقَةُ عَلى مِسمَارِ الحَائِط
تَبُثُّ سَمَاءً صَغِيرَةً فِي الغُرفَة -
تَرتَعِشُ هَذِهِ السَّمَاءُ مَعَ صَوتِ زِيزِ الحَصَاد .
تَمشِي الغُرَفُ ، تَخرُجُ إلَى الرِّيف -
مَقَاعِدُنَا عَلَى الأَشجَارِ المُستَوِيَة ،
مِنضَدَتُنَا عَلَى الغَيمَةِ البَيضَاء ،
أَورَاقِي فِي النَّبع ،
مِعطَفِي عَلَى كَتِفَي بُرجِ الجَرَس ،
وَعَينَاي - انظُر فَحَسب - فِي عُشِّ العُصفُور ،
بَيضَتَانِ زَرقَاوَان ، زَرقَاوَانِ تَمَامًا ، وَدَافِئَتَان ؛
دَاخِلَهُمَا طَائِرَانِ أَصفَرَان
يَنقُرَانِ وَيَنقُرَانِ بِمِنَاقِيرَ وَرِدِيَّة -
إرِي ، أَسرِعِي ؛ أَسرِعِي . إرِي ،
إنَّهُمَا مَلهُوفَانِ عَلَى الغِنَاءِ مَعَك .

[*] هي ابنة الشاعر، التي ولدت عام 1955، وكتب لها ديوان "نجمة الصباح" (1955).

الليلَةُ غَير المُمِلَّـة

وَرَقَةُ شَجَرٍ تَسقُطُ فِي اللَّيل . الصَّمتُ مَسمُوع .
حَشَرَةٌ تَصفُرُ فِي أُذُنِ الدُّبِّ القُطبِي .
القَمَرُ أَيضًا خَرَج - إِنَّه صَغِيرٌ ، صَغِيرٌ جِدًّا ،
أَصغَرُ مِن مِفتَاحِ الخِزَانَة . عَلَى الشُّرفَة
ظَلَّت مِنضَدَتُنَا خَاوِيَة - رَطبَةٌ بِالنَّدَى ؛
تَلتَمِعُ المِنضَدَةُ كَحَوض . شَجَرَةٌ بَيضَاء
تَقفِزُ إِلَى الغُرفَةِ مِنَ النَّافِذَةِ المَفتُوحَة ،
تَتَجَوَّلُ فِي الغُرَفِ فِي دَوَّامَاتٍ رَاقِصَةٍ ، بِلاَ صَوت .
آه ، قُل لِي ، كَيفَ يُمكِنُ أَن نَنَامَ اللَّيلَة ؟
أَو كَيفَ يُمكِنُ أَلَّا نَصحُو فِي الغَد ؟ إِرِي ، إِرِي ،
أَتُرِيدِينَ رَقصَ مَازُورِكَا صَغِيرَةٍ مَعَ الشَّجَرَة ؟

بِلاَ انتِظَـار

يَنفَتِحُ البَاب . تَدخُلُ إِرِي . كَرزَتَان
مُعَلَّقَتَانِ بِأُذُنَيهَا . "أَنَا الرَّبِيع" ، تَقُول .
صَخَبٌ يُسمَعُ بِالخَارِج . القَارِبُ الكَهرُبَائِي
يَخرُجُ مِنَ البَحر ، يَدخُلُ الحَدِيقَة ،
يَقتَحِمُ أَجَمَاتِ الزُّهُورِ ، يَقفِزُ عَبرَ النَّافِذَة
وَيَرتَطِمُ بِمِسنَدِ الكُرسِي . يَرِنُّ الكِرِيستَال .
تَضحَكُ إِرِي . تَنظُرُ إِلَى أَبِيهَا ،
تَقفِزُ إِلَى رُكبَتَيه ، تَقطُفُ ابتِسَامَةً مِن شَفَتَيه
بِاثنَين مِن أَصَابِعِهَا - ابتِسَامَةٌ حَمرَاء
كَزَهرَةٍ بَرِّيَّةٍ مُعَلَّقَة
مُرتَبِكَةٌ بِلاَ إِعدَادٍ خَارِجَ تَعرِيشَةِ القَصَائِد .

عُطلَـةٌ مَدرسـيَّة

بَابَانِ يَنفَتِحَانِ مُبَاشَرَةً عَلى السَّمَاء .
فِي المَمَرِّ سِلَالُ الفَلاَّحِينَ مُمتَلِئَة
بِبَرَاعِم وَأَورَاقِ العِنَب . أَسمَاءُ الطُّفُولَة ،
كُمّثرَى ، خُوخٌ ، بَرقُوقٌ ، عِنَبٌ ، تِين
كُلٌّ مِنهَا بِرَائِحَتِهِ المُمَيَّزَة
مُلَوِّنًا مَجَالًا زُجَاجِيًّا كَبِيرًا ، مُتَحَوِّلًا
كَكُرَةٍ أَرضِيَّةٍ مُلَوَّنَةٍ عَلَى دِكَّةِ المَدرَسَةِ المُوصَدَة ؛
وَفِي الخَارِج ، يَتلُو زِيزُ الحَصَادِ غَيرُ المُهَذَّب
قَصَائِدَه نَفسَهَا مِرَارًا وَتِكرَارًا -
وَلَيسَ مِن أَجلِ الامتِحَانَات .

هُـدُوء

مِينَاءٌ صَغِيرٌ هَادِئ - رُسُومٌ ، سُفُنٌ ، أَلوَان ،
أَخضَرُ ، أَصفَرُ ، وَأَحمَر . طَرقٌ مِن سَاحَاتِ السُّفُن .
فَتَاةٌ بِإِبرِيق . الشَّمسُ تَرحَل .
الشُّرُفَاتُ مُعَلَّقَةٌ إِلَى القَوَارِب . لَا شَيء
مِنَ الأَمسِ أَو الغَد . عُبُورٌ بِلاَ كَلَام .
وَقَمَرٌ وَرَقِيٌّ فِي مُنتَصَفِ النَّهَارِ تَمَامًا .

عِندَمَا تَغرُبُ الشَّمس ، سَأَكتُبُ لَك قَصِيدَة .

قَصِيدَةٌ غِنائيَّـة

يَنسَابُ المَاء ، يُغرِقُ الحُقُولَ ، يَنسَابُ ، يُشرِق .
بَحرٌ أَزرَق ، أَشجَارٌ خَضرَاء ، خَضرَاء .
سُقُوفٌ حَمرَاءُ ، غَيمَةٌ بَيضَاء ، بِلَا ظِل .
وَهَذِهِ القُصَاصَةُ مِن دُخَان ؟ قُل لِي
أَيُّ لَونٍ قَد يَتَّخِذُه الحُلم ، أَيُّ لَون
يَكُونُ لِخُطَى المَرأَةِ عَلَى العُشبِ المَبلُول
فِي الصَّبَاحِ البَاكِر ، مَعَ الطُّيُورِ ، عِندَمَا يَكُونُ ظِلُّ الجَرَس
نِصفُه فِي يَدِكَ وَنِصفُه فِي الصَّدَفَة ؟

فِـرَاق

كَانَ الزَّوجُ يُقَلِّمُ أَظَافِرَه . كَانَت الزَّوجَةُ تُعِدُّ حَقَائِبَه
بِهُدُوءٍ ، فِي صَمت - قُمصَانَه ، وَاحِدًا وَاحِدًا ، مَلاَبِسَه الدَّاخِلِيَّة ، مَنَادِيلَه.
عِندَمَا خَرَجَ لِبُرهَةٍ إِلَى الرُّوَاق ،
لَمَلَمَت عَلَى عَجَلٍ الظُّفرَينِ المَقطُوعَينِ مِنَ الإِصبَعَينِ الكَبِيرَين
وَأَخفَتهُمَا فِي جَيبِهَا . وَعِندَمَا عَادَ الرَّجُل
كَانَت مَشغُولَةً بِمَسحِ الأَرضِيَّة . وَفِي جَيبِهَا
أَحَسَّت بِالظُّفرَين هِلاَلَين رَهِيفَينِ ، شَهوَانِيَّين
مِن أَجلِ لَيَالِيهَا القَادِمَةِ وَحِيدَةً عِندَمَا تَهدِرُ عَلَى جَزِيرَتِهَا الرِّيَاح .

مَجـدٌ خَفِـي

امرَأَةٌ جَمِيلَة (وَلاَ تَعرِفُ ذَلِك) بَلَغَت الآنَ الأَربَعِين ،
نَضُجَت الآنَ عَلَى حُبِّ التَّعَلُّق ، بِأُلفَتِهَا العَذبَة
وَفُصُولِ العَامِ الأَربَعَة ؛ إِذ تَحمِل
فِي يَدَيهَا سَلَّةَ الفَاكِهَةِ الكَبِيرَةَ مُثقَلَةً
بِالكُمِّثرَى ، وَالخُوخ وَالعِنَب (قَطَرَاتُ المَاءِ الصَّغِيرَةُ عَلَى بَشرَةِ الفَاكِهَة
تَلتَمِعُ فِي الضَّوءِ القَادِمِ مِنَ النَّافِذَة) ، إِذ تَنحَنِي
لِتَضَعَهَا عَلَى المِنضَدَةِ البَيضَاء - كُلُّ الضَّوءِ المُتَلألِئ يَتَجَمَّع
حَولَ رَأسِهَا . آه فَنَحنُ الآنَ فَقَط نَتَعَرَّفُ عَلَيهَا - إِنَّهَا الكَاهِنَة
الَّتِي تَضَعُ الشَّرَابَ المُتَوَاضِعَ عِندَ قَدَمَي تِمثَال .

ساموس ، أثينا ، ديمينيو 1960 -1965

الرجُل ذُو الذِّراع الوَحِيدة

مَصَابِيحُ طِينِيَّةٌ قَدِيمَةٌ مَرمِيَّةٌ بِجِوَارِ المَقبَرَة ؛
فِيمَا وَرَاءَ بَعضِ الأَبَارِيقِ وَالتَّمَاثِيلِ الحَجَرِيَّة ؛ أَبعَد
يَدٌ مِن طِين . تَوَقَّفَ فَلاَحٌ عَابِرٌ عَلَى حِصَانِه فَجأَة .
"هَذِهِ اليَدُ يَدِي - قَال -
فَقَدتُهَا عَلَى الجَبَل" ، مُومِئًا إِلَى ذَلِكَ الاتِّجَاهِ بِرَأسِه .
أَخَذَ اليَدَ وَوَضَعَهَا فِي مَكَانِهَا . بِهَذِهِ اليَدِ بِالتَّحدِيد
ضَرَبَ كَفَلَ حِصَانِه وَاختَفَى الاثنَان
فِي سَهلٍ مُقَسَّمِ الحُقُولِ يَصَّاعَد الدُّخَانِ فِيه مِن مَنَازِلَ كَثِيرَة .

بهلَوَانيـّات

وَضَعَ يَدَيهِ عَلَى الأَرضِيَّة ؛ وَقَفَ رَأسًا عَلَى عَقِب ؛ لَا بِسُهُولَةٍ فَحَسب ،
عَمُودِيًّا تَمَامًا ، بَل إِنَّه حَتَّى سَار ، بِطَرِيقَةٍ
جَعَلَت المَاضِي حَاضِرًا وَالعَكس بِالعَكس . إِلَى أَن انفَتَحَت فَجوَة
وَابتَلَعَته كُلَّه . ارتَبَكنَا . آنَئِذٍ رَنَّ جَرَسُ البَاب .
اندَفَعنَا قَلِقِين . يُمكِنُ اتِّهَامُنَا بِالقَتل . فَتَحنَاه .
كَانَ هُوَ ، بِسَلَّةِ بُرتُقَالٍ تَحتَ ذِرَاعِهِ اليُمنَى .

تَقدِيـر

أَكيَاسُ خِيش وَمَكَابِيلُ فِي صُفُوفٍ وَاقِفَةً فِي الفِنَاء .
كَانَ المِيزَانُ فِي مَحَلِّ البضَاعَة . مَحَلُّ البضَاعَةِ مُغلَق .
نَسِيَ البَائِعُ المَفَاتِيح
تَحتَ وِسَادَةِ زَوجَتِه . زَوجَتُه ،
وَهِيَ تُرَتِّبُ السَّرِير (10 صَبَاحًا) وَجَدَتهَا -
مَفَاتِيحُ قَبِيحَةٌ ، ضَخمَة . وَقَفَت فِي النَّافِذَة ؛
رَمَتهَا إِلَى النَّهر . لَم يَبقَ سِوَى بُقعَةِ صَدَإٍ عَلَى الملاَءَة .

مَوضُوع رَسمٍ زيتي

فِي اليَومِ الثَّالِث ، عِندَمَا فَتَحنَا الغُرفَةَ ، لَم نَجِد شَيئًا .
كُلُّ شَيءٍ مُرَتَّبٌ حَتَّى الكَمَالِ ، سَاكِنٌ ، لَم يُمَس .
لَيسَ سِوَى قَطَرَاتٍ مِن العَنبَرِيَّةِ عَلَى القَطِيفَةِ القُرمُزِيَّة
لِمقعَدِهَا القَدِيم . وَالشَّمعَدَانُ الفِضِّي ،
شَامِخًا فِي عُزلَتِه - رُمحٌ ثُلاثِيٌّ مُهمَل
بِجِوَارِ كِتَابِ المُوسِيقَى وَإِنَاءِ التُّفَّاح .

المنزلُ القَدِيـم

كَانَ المَنزِلُ خَالِيًا لِسَنَوَات . عِندَمَا استَأجَرَه المُتَزَوِّجَان حَدِيثًا ،
قَبلَ نَقلِ أَثَاثِهِمَا ، قَامَا بِتَهوِيَةِ الغُرَف . سَلَالِمُ خَشَبِيَّة ،
تَعرِيشَاتٌ مَنحُوتَةٌ ، خِزَانَاتُ ثِيَابٍ ، أَروِقَةٌ ، أَصدَاءٌ فِي الفَرَاغ .
عَلَى الجُدرَانِ مَنَاطِقُ مُرَبَّعَةٌ كَبِيرَةٌ مِن لَونٍ دَاكِن ، فُستُقِي ، كَئِيب ،
مِن رُسُومٍ زَيتِيَّةٍ قَدِيمَةٍ مَطرُوحَة . فِي سُلَّمِ الصَّالَةِ الطَّوِيلِ الضَّيِّق ،
السَّتَائِرُ القُرُنفُلِيَّةُ الثَّقِيلَةُ مَلِيئَةٌ بِالغُبَار . خَلَعَاهَا . فِي الوَرَاء:
تِمثَالٌ مِنَ الجِبس ، وَالهَيكَلُ العَظمِيُّ لِطَائِرٍ كَبِير .
صَرَخَت المَرأَةُ وَتَجَمَّدَت . اقتَرَبَ الرَّجُل
وَدَسَّ مِفتَاحًا فِي فَمِ التِّمثَال .

كارلوفاسي ، ساموس ، يناير 1967

الأُوبُول الأخِيـر

سَاعَاتٌ عَصِيبَةٌ ، عَصِيبَةٌ فِي أَرضِنَا . وَهَذَا الرَّجُل
الأَبِيُّ ، العَارِي ، الأَعزَلُ ، الوَاهِنُ ، يَسمَحُ لَهُم بِمُسَاعَدَتِه ؛
يَرتَهِنُونَه ، يَنتَحِلُونَ حُقُوقًا مُعَيَّنَةً ، يُقِيمُونَ مَزَاعِم ؛
يَتَكَلَّمُونَ بِاسمِه ، يَضبِطُونَ تَنَفُّسَه وَخُطُوَاتِه ؛
يُقَدِّمُونَ لَه صَدَقَاتٍ ، يُلبِسُونَه ثِيَابًا أُخرَى ، مُهمَلَةً ، تَتَدَلَّى مُتَرَهِّلَة ،
وَيَشُدُّونَ خَصرَه بِحَبلِ سَفِينَة .
وَهوَ ، فِي ارتِدَائِه مَا لَيسَ لَه ، لَا يَنطِقُ أَو حَتَّى يَبتَسِم
خَوفًا مِن الكَشفِ (حَتَّى وَهوَ نَائِمٌ) عَنِ الأُبُول الأَخِير[*]
الَّذِي يَقبِضُ عَلَيهِ بِقُوَّةٍ بَينَ أَسنَانِه (ثَروَتُه الوَحِيدَةُ الآن) ،
مَوتُه العَارِي ، الوَامِضُ ، العَنِيد .

7 نوفمبر 1968

[*] الأوبُول: قطعة نقد إغريقية قديمة، من أصغر العُملات.

خدعَـة

هُوَ وَأَنَا - يَقُول - نَقُومُ بِعَمَلَينِ مُتَشَابِهَينِ تَمَامًا فِي اختِلَافِهِمَا -
يَأخُذُ وَجهًا ، يُجَرِّدُه مِنَ اللَّحمِ ، مِنَ العَينَين ،
يَصنَعُ جَمَاجِمَ عَارِيَةً ، يَصُفُّهَا عَلَى أَرفُفٍ عَالِيَة ؛ تُومِضُ فِي اللَّيل
تَحتَ المَصَابِيح خَضرَاءَ الضَّوء ، فِيمَا وَرَاءَ الأَلَمِ تَقرِيبًا . حَتَّى فِي النَّهَار ،
فِي ضَوءِ الشَّمسِ ، فَهِيَ بَيضَاء ، مُهَذَّبَةٌ ، مُحَرَّمَة . وَالغُبَار
يَتَلَاعَبُ فِي ذَرَّاتٍ ذَهَبِيَّةٍ فِي فَجَوَاتِ عُيُونِهَا . مِنَ النَّاحِيَةِ الأُخرَى ،
أَستَعِيدُ الجَمَاجِمَ ، أُلصِقُ فِيهَا شَعرًا ، آذَانًا وأَنفًا بِغِرَاءِ السَّمَك ،
أَضَعُ زُجَاجًا مُلَوَّنًا مَكَانَ العُيُونِ ، أُلَوِّنُ خُدُودَهَا وَفَمَهَا
بِعِنَايَةٍ ، بِذَوق ؛ أَضَعُهَا فِي النَّافِذَة ؛ تُحَدِّقُ فِي الخَارِج -
"ذَلِكَ هُوَ بِيتَر" . "تِلكَ هِيَ مَارِي" ، يَقُولُ المَارَّة ، "تِلكَ هِيَ هِيلِين" .
يَبتَسِمُون ، يُلَوِّحُونَ لَهُم . ثُم يَمضُون ، يَهبِطُون إِلَى الشَّاطِئ .
"آه" - يَقُول - "مَا الَّذِي أَحتَاجُه أَنَا ، أُرِيدُ أَن أُعطِي الآخَرِينَ أَيضًا .
أَنَا لَا أَخدَعُ أَحَدًا - فَهَا هُوَ مِندِيلِي ، وَهَا هِيَ أَزرَارِي" .

2 فبراير 1969

تقريـر إخبَـاري

غُيُومُ المَسَاء ؛ السَّاعَةُ المُضَاءَةُ فِي كَنِيسَةِ المَيدَان ؛
أَشجَارٌ جَردَاء ؛ نِفَايَة . مِن قِمَمِ التِّلَال
مَا يَزَالُ مُمكِنًا سَمَاعُ إطلاَقِ نَار . بَعدَ بُرهَة
يَصِلُ "إيُورجُوس" عَلَى دَرَّاجَة . يُنزِلُ
جَيتَارًا بِأَوتَارٍ مَقطُوعَة . "نَقَلنَا المَوتَى - يَقُول -
إِلَى المَخزَن . لَا وَقتَ لِلصَّلَوَاتِ أَو الأَعلَام .
لَكِن فَلتُخَبِّئ عَلَى الأَقَلِّ القَائِمَة ، لأَنَّنَا سَنَتَذَكَّرُ فِي المُستَقبَل
أَسمَاءَهُم ، وَأَعمَارَهُم - بَل إِنَّنِي أَخَذتُ مَقَاسَاتِ أَقدَامِهِم .
عُمَّالُ الرُّخَامِ الثَّلاَثَةُ أَيضًا قُتِلُوا . وَكُلُّ مَا بَقِي
ذَلِكَ المَلاَكُ الحَجَرِيُّ ، بِلاَ رَأس - يُمكِنُكَ وَضعُ أَيِّ رَأس تُحِبُّه عَلَيه" .
بِذَلِكَ رَحَل . وَلَم يَأخُذ الجِيتَار .

4 فبراير 1969

مُربَّـع تقريبًـا

لَم تَكُن لَديهِ مُبَرِّرَات ، لَكِنَّه كَانَ يُصِرُّ دَائِمًا عَلَى المَوقِف نَفسِه .
رَسَمَ مُرَبَّعًا عَلَى الأَرضِيَّةِ بِالطَّبَاشِير ؛ خَطًا دَاخِلَه -
ذَلِكَ هُوَ البَاب - رَسَم - وَالنَّافِذَةُ هُنَا ؛ المَرأَةُ فِي الرُّكن ؛
نَافِذَةٌ أُخرَى ؛ يَدخُلُ الضَّوء ؛ يُومِضُ كِرِيستَال الشَّمعِدَان .
رَاقَبنَا ؛ لَم تَكُن هُنَاكَ امرَأَة (وَكُنَّا نَعرِفُ ذَلِك ؛ وَسَتَكُونُ عَارِيَة)
وَلاَ أَيُّ شَمعِدَان . تَرَكَ الطَّبَاشِيرَ عَلَى المِنضَدَة ،
نَظَرَ إِلَى الأَرضِ وَوَضَعَ يَدَيهِ فِي جَيبَيه ، مُنزَعِجًا بِوُضُوح
مِن أَنَّه لَم يُقنِعنَا ، وَقَبلَ كُلِّ شَيءٍ مِن هَذَا الغُبَارِ الطَّبَاشِيرِي الجَاف .
أَدرَكنَا أَنَّه كَانَ يَمسَحُ فِي السِّرِّ أَصَابِعَه
فِي جَيبَيه ، مُتَظَاهِرًا رَغمَ ذَلِك بِسُكُونِيَّةِ التَّمَاثِيل .

18 فبراير 1969

الوصيَّة الأخيرةُ والشَّهَادة

قَال: أُؤمِنُ بِالشِّعرِ، بِالحُبِّ، بِالمَوت،
وَهوَ بِالتَّحدِيدِ سَبَبُ إِيمَانِي بِالخُلُود. أَكتُبُ قَصِيدَة،
أَكتُبُ العَالَم؛ أَنَا مَوجُود؛ فَالعَالَمُ مَوجُود.
نَهرٌ يَنسَابُ مِن طَرَفِ إِصبَعِي الصَّغِير.
وَالسَّمَاءُ زَرقَاءُ سَبعَةَ أَضعَاف. هَذَا النَّقَاء
هُو - مَرَّةً أُخرَى - الحَقِيقَةُ الأُولَى، وَصِيَّتِي الأَخِيرَة.

31 مارس 1969

الرجُـل المتأهِّـب

آهِ ، كَانَ مَوتُه بِالتَّأكِيدِ خِدعَةً بَارِعَة ؛ مَثَّلَ دَورَ المَيِّت
لِيُنقِذَ نَفسَه مِن مُشَاحَنَاتِنَا . وَهوَ مُمَدَّدٌ هُنَاكَ عَلَى السَّرِير
فِي أَفضَلِ ثِيَابِهِ ، وَذِرَاعَاه مَطوِيَّتَان ، مُغمَضَ العَينَين ،
مُنسَحِبًا هَكَذَا وَغَافِلًا ، كَانَ يَرقُدُ فِي الانتِظَار . وَإِذَا مَا رَنَّ أَيُّ شَخص
جَرَسَ البَابِ أَو نَقَرَ طَائِرٌ عَلى زُجَاجِ النَّافِذَة ،
فَسَيَكُونُ أَوَّلَ مَن يَندَفِعُ وَيَفتَحُ البَاب - أَصَابِعُ قَدَمَيه
انتَفَضَت فِي حِذَائِه ، عَلَى الإِنذَار (أَوضَحُوا ذَلِك) ،
وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ ارتِدَائِهِ لأَفضَلَ ثِيَابِه .
كَانَ يَحتَفِظُ بِفُرشَاةِ أَسنَانِهِ فِي جَيبِ سُترَتِه .

15 مايو 1969

دَم

فِيمَا بَعد ، ظَهَرَت بُقعَةُ دَمٍ فِي الأَسفَلت ؛
كَبُرَت البُقعَةُ ، انتَشَرَت ، ابتَلَعَت
الفِنَاءَ ، وَالكَرَاسِي ، وَالبِئرَ ، وَالدَّلو ؛
لَم يَبقَ سِوَى مِترٍ مِنَ الحَبل - ذَلِكَ فَحَسب .
سَاعَةُ الكَنِيسَةِ فِي المَيدَانِ استَحَالَت حَمرَاء ؛
وَمَكتَبُ البَرِيدِ أَيضًا . انتَشَرَت البُقعَة ،
ابتَلَعَت المَنَازِلَ ، وَسَوَارِي التِّلِغرَاف ، وَالشَّمس ،
وَنَحن - أَخفَتنَا فِي حُمرَتِهَا .
وَفَقَط حِينَمَا أَدرَكنَا حَجمَهَا استَطَعنَا الإِحسَاسَ مِن جَدِيد
بِأَنَّنَا جَمِيلُون ، بُسَطَاءُ ، عَائِدِينَ إِلَى المَكَانِ ، مَغفُورٌ لَنَا .

17 مايو 1969

السَّـائر على الحَبـل

لا ، لم يَشَأْ أن يَدَعَه يَمضِي ؛ الحَبلُ يَرتَعِش ؛ يُغمِضُ عَينَيه .
الأعمَاقُ ، فِي الأسفَل ، مُظلِمَةٌ بِالصَّمت . لَا نِهَايَةَ لِلحَبل .
عَينَاهُ مَفتُوحَتَان ، مُتَّسِعَتَان ، طَافِيَتَان ، مُنسَاقَتَان إِلَى الأعلَى ،
تُمسِكَانِ فِي غَيمَة ، فِي وَرَقَةِ شَجَر ؛ تَتَغَيَّرَان ، تُصبِحَان مُستَدِيرَتَين ،
تُصبِحَان مِشعَلَينِ كَبِيرَين ؛ يَتَعَلَّقُ مِن عَينَيه - انظُر إِلَيه ،
يُفلِتُ الحَبلَ ، يَتَشَقلَبُ فِي الهَوَاء ، يَسكُن ،
تَسقُطُ عَنه قُبَّعَتُه ، وَأَيضًا الوَردَةُ عَن سُترَتِه - انظُر إِلَيه مَرَّةً أُخرَى
وَهوَ يَتَلَمَّسُ الحَبلَ بِأَطرَافِ أَصَابِعِه ؛ يَصعَدُ السَّلاَلِم ،
يَتَأَرجَحُ ، يَبتَسِم ؛ انحِنَاءَةٌ أَخِيرَة . مَا مِن أَحَد
لِيُصَفِّقَ لَه . صَوتٌ وَاحِدٌ فَحَسب : تَعَلَّق ، تَعَلَّق ،
تَعَلَّق مِن عَينَيك . مَن يُنَادِي عَلَيه ؟ مِن أَينَ يُنَادُونَ عَلَيه ؟

19 مايو 1969

الفنَّـان

يَأخُذُ الطِّين ، يَصُوغُ الوَجهَ ، وَالجَسَد
جَمِيلاً ، عَارِيًا ، هَادِئًا - مَا هِيَ النَّمَاذِجُ الأَصلِيَّة ؟ -
أَهَؤُلَاء المَوجُودُون بِالمَقهَى ، بالمَعبَد ، أَم بِالمظَاهَرَة ؟
وَذَلِكَ المُجَدِّفُ الطَّوِيل ؟
تَدخُلُ الشَّمس
مُشرِقَةً مِنَ البَابِ وَتُؤَكِّد
الفَجَوَاتِ وَالنُّتُوءَات ، تَضَعُ ظِلَال
الجَسَدِ عَلَى الجَسَد .
وَالفَنَّان يَنفُخُ نَفَسَه فِي فَمِ الطِّين -
طَعمُ الطِّينِ يَظَلُّ فِي شَفَتَيه ؛
فِيمَا بَعد يَأخُذُ قُبَّعَتَه ، يَمضِي إِلَى الشَّارِع
بِابتِسَامَةٍ مُذنِبَةٍ لِسَعَادَةٍ سِرِّيَّة
كَأَنَّه كَانَ يُؤَدِّي دَورَ شَخصٍ أَصَمَّ أَبكَمَ ، كَانَ فِي الحَقِيقَةِ هُوَ .

30 مايو 1969

كَلمَـةٌ وَاحدَة

حِينَمَا كَانَ يَستَنزِفُ كُلَّ شَيءٍ حَولَه وَدَاخِلَه
وَيَحِسُّ كَأَنَّه فِي انهِيَار - آنَئِذٍ كَانَ يَتَذَكَّرُ أَن يَنطِق
كَلِمَةً وَاحِدَةً : تِمثَال (وَبِالطَّبع ، كَانَ يَعنِي
تِمثَالًا يُونَانِيًّا ، عَارِيًا) . وَفِي الحَالِ ، كَانَت تَتَجَلَّى
كُلُّ أَسمَاءِ الجُزُرِ المُحِيطَةِ بِه ؛ تَلتَمِعُ رُكبَةٌ فِي مُوَاجَهَتِه
عَلَى البَحر ؛ يُمكِنُ تَمييزُ رِعشَةِ
رَامِي السِّهَامِ الشَّابِّ مَدفُونَةً تَحتَ هَضَبَةٍ صَغِيرَةٍ مِن رَملٍ نَاعِم .
يَرتَدِي ثِيَابَه وَيَذهَبُ إِلَى السُّوق . "صَبَاح الخَير" ، يَقُول ،
مَحَلاَّتُ الجِزَارَةِ ، مَحلاَّتُ الآنِيَةِ الفخَّارِيَّةِ ، مَحَلاَّتُ الفَاكِهَة . يَشتَرِي عِنَبًا ،
مُحَرِّرًا تِلكَ الإِيمَاءَةَ العَمِيقَةَ ، الهَادِئَةَ ، الَّتِي لَا تَنفَد
لِسَاعِدٍ رُخَامِيٍّ ، صَارِم .

24 مايو 1969

بَعث

لاَ أَحَدَ اعتَنَى بِالحَدِيقَةِ لِسَنَوَات . وَمَعَ ذَلِك
فَفِي هَذَا العَام – فِي مَايُو ، يُونيُو – انفَجَرَت بِالازدِهَارِ مِن تِلقَاءِ نَفسِهَا مِن جَدِيد ،
وَتَألَّقَت جَمِيعًا عَلَى السِّيَاج – أَلفُ وَردَة ،
أَلفُ قرُنفُلَة ، أَلفُ جِيرَانيُوم ، أَلفُ بَازِلَّاء حُلوَة –
أَلوَانٌ ، أَجنِحَةٌ مُلَوَّنَة – وَلِهَذَا ظَهَرَت المَرأَةُ مِن جَدِيد
مَعَ وِعَاءِ الرَّيِّ لِتَعتَنِي بِهَا – جَمِيلَةٌ مِن جَدِيد ،
هَادِئَةٌ ، بِإِخلاَصٍ طَيِّبٍ غَامِض . وَالحَدِيقَة
أَخفَتهَا حَتَّى كَتِفَيهَا ، احتَضَنَتهَا ، فَازَت بِهَا كُلَّهَا ،
وَرَفَعَتهَا بَينَ ذِرَاعَيهَا . وَآنَئِذٍ رَأَينَا ، مَعَ حُلُولِ الظَّهِيرَة ،
أَنَّ الحَدِيقَةَ وَالمَرأَةَ بِوِعَاءِ الرَّيِّ قَد رُفِعَا إِلَى السَّمَاء –
وَحِينَ رَفَعنَا رُؤُوسَنَا عَالِيًا ، تَسَاقَطَت قَطَرَاتٌ قَلِيلَةٌ مِن وِعَاءِ الرَّي
بِرِقَّةٍ عَلَى خُدُودِنَا ، وَذُقُونِنَا ، وَشِفَاهِنَا .

كارلوفاسي ، ساموس ، 3 يونيو 1969

ذرائع جديدة

تَذَكَّرَ بَاعَةَ الصُّحُفِ الصِّغَارِ ، فِي الشِّتَاءِ ، فِي مِحَطَّةِ قِطَارِ الأَنفَاق ؛
السُّنُونُو فِي الأَفنِيَةِ المَدرَسِيَّةِ أَمَامَ زُجَاجِ النَّوَافِذِ المُغَبَّش ؛
تِلكَ الأَسِرَّةَ الصَّغِيرَةَ فِي مُستَشفَى الأَطفَال - فَلاَ مَلَام إِذَن ؛
كَانَ ذَلِكَ فِي اليَومِ السَّابِقِ عَلَى رَأسِ السَّنَة ، المُمطِر ، حَيثُ كَانُوا يُغَنُّونَ
أُغنِيَاتٍ مَرِحَةً خَارِجَ المَدِينَة .
"مَا المُشكِلَةُ مَعِي ؟" ، سَأَل . مَا مِن أَحَدٍ لِيُجِيب .
وَالسُّؤَالُ كَانَ يَنتَصِبُ فِي كُلِّ مَكَان . هَكَذَا يَكُونُ الشِّعر - فِي كُلِّ مَكَانٍ -
مَعَ مَرِيَلَةِ المَطبَخ ،
وَهِيَ تُسَخِّنُ وَجبَةَ الأَمسِ لَنَا . "نَعَم ، الشِّعرُ ، أَيضًا" ، قَال ،
"أَو عَلَى الأَصَحِّ الكَلِمَاتُ القَلِيلَةُ مَعَ التَّوَقُّفَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ الطَّوِيلَة" .

اعتـلاَلٌ طَفيف

هَذَا الصَّبَاحَ كَانَ مَرِيضًا تَقرِيبًا .
فِي اللَّيلَةِ المَاضِيَةِ حَمَّلُوه بِكَلِمَاتٍ ثَقِيلَة .
لَا يَستَطِيعُ احتِمَالَهُم ؛ ولاَ يَستَطِيعُ طَردَهُم .
البَيتُ المُقَابِلُ فِي الشَّارِعِ تَمَّ طِلاَؤُه بِصُورَةٍ كَثِيفَةٍ بِالأَبيَض ،
بِالأَبيَضِ غَيرِ المُنَاسِب . يُمكِنُ سَمَاعُ أَصوَاتِ الحِبس
عَالِيَةً فِي شَمسِ الشِّتَاء . أَحَدُهُم
عَلَى السَّطحِ احتَضَنَ المِدخَنَةَ ، مُنتَصِبًا
كَأَنَّه يَنكَحُهَا . قَطَرَاتٌ مِنَ الطِّلاَء
انفَجَرَت بِكَثَافَةٍ عَلَى الطِّينِ الأَسوَدَ بِأَورَاقِ الشَّجَرِ العَطِنَة .

بِلَا قَـوَام

وُضِعَت الأَعلَامُ فِي التَّفتَالِين . كَانَ ذَلِكَ عَجرَفَةً - قَال -
عَجرَفَةً فِي مَعرِفَةِ التَّفَاهَة . - أَحَتَّى هُنَا ؟ - لِمَاذَا تَسأَلُ الآن ؟
لِتُؤَخِّرَ ، رُبَّمَا (إِلَى مَتَى ؟) اليَقِينَ الوَحِيد ،
الأَخِير ؟ أَلوَانٌ ، كَلِمَاتٌ بِلاَ قَوَام ،
إِيمَاءَاتٌ بِلاَ قَوَام .
خَلَعُوا ثِيَابَهُم . لَم يُطفِئُوا النُّور .
تَرَكُوا سَاعَاتِهِم عَلَى المِنضَدَة ، استَلقُوا ،
وَتَحتَهُم أَحسَستَ ، بَل تَذَكَّرتَ ، أَنَّ السِّيقَان
عَلَى السَّرِيرِ كَانَت أَربَعَةً ، قَوِيَّةً ، مِن حَدِيد .

تَعمِيـم الشَّك

رِيحٌ لَيلِيَّةٌ كَانَت تَهُب . تَرَنَّحَ السَّروُ القَاتِم ، الخَفِي
أَمَامًا وَوَرَاءً . وَمَعَ ذَلِك فَلَم تَتَرَنَّح التَّمَاثِيل .
يَبتَسِمُ الحَجَرُ بِلَا حَرَكَة . "هَذِهِ السُّكُونِيَّة
هِيَ سِرُّ الفَن" ، قَال . كَانَ يُضَلِّلُنَا
بِحَشدٍ مِنَ العَنَاصِرِ الزُّخرُفِيَّة - التِّمثَالُ ، السَّرو ،
وَتِلكَ الابتِسَامَة الزَّائِفَة .
وَهَكَذَا ، ارتَدَى قُفَّازَه ،
جِلدٌ بَالٍ ، بُنِّي ، مَعَ النِّيَّةِ بَالِغَةِ الوُضُوح
أَلَّا يَلمَسَ الكَلِمَاتِ جَسَدِيًّا ، وَأَلَّا يَسمَحَ لَهَا بِلَمسِه .

ارتحالات I

يَرحَلُونَ وَاحِدًا وَاحِدًا . تَخلُو الغُرَفُ ، تَكبُر .
يَقِفُ الأَثَاثُ فِي الفَرَاغِ كَجُزُرٍ مُبَعثَرَة .
سرعَانَ مَا تَتَجَمَّعُ مَجمُوعَاتٌ سِرِّيَّةٌ فِي الرُّكن ؛ يُثَرثِرُونَ أَخبَارَهُم .
الكَرَاسِي تُدِيرُ ظُهُورَهَا إِلَى البَاب . وَالظِّلَال
تَتَّخِذُ مَسَارَاتٍ جَانِبِيَّةً لِتَفَادِي لَكمَةٍ مَا . فِي اللَّيل ،
عِندِمَا تُطفِئُ النُّورَ ، تَسمَعُ - مِنَ البَهوِ الخَارِجِي -
العُمَلَاءَ السِّرِّيِّين لِقُوَّةٍ أَجنَبِيَّةٍ يُجَرجِرُونَ أَقدَامَهُم وَيَتَقَدَّمُون
فِي أَحذِيَةٍ مَطَّاطِيَّةٍ زَائِفَة ؛ بَعدَهَا القَرقَعَة
فِي مَفَاصِلِ الحَائِط ، لأَنَّ المَنزِلَ يَضِيق ،
فِيمَا تَكبُرُ الغُرَف ، وَوَرَاءَ المِرآةِ فِي الرَّدهَة ،
يَطرَحُ الزِّئبَقُ نَفسَه فِي أَورَاقِ شَجَرٍ فِضِّيَّةٍ صَغِيرَة ، تَارِكًا وَرَاءَه
بُقَعًا أَو فَجَوَاتٍ سَوداءَ عَلَى وُجُوهِ مَن لَن يَعُودُوا أَبَدًا .

ارتحالات II

هَؤُلاَء الَّذِينَ يَرحَلُونَ عَنَّا ، رُبَّمَا يَتَرَيَّثُونَ بُرهَة ،
هُنَاكَ ، فِي الأَسفَل ، عِندَ انعِطَافَةِ الطَّرِيقِ ، قُربَ البُرجِ الكَهرَبَائِي الطَّوِيل
(رُبَّمَا لَيَبدُوا صِغَارًا بِالقِيَاسِ إِلَى ارتِفَاعِه -
وَرُبَّمَا حَتَّى لَا يَبدُو اختِفَاؤُهُم مُهِمًّا) -
يَتَوَقَّفُون ، يُحَدِّقُون فِي المَنزِلِ لِيَحتَفِظُوا مُدَّةً أَطوَلَ بِصُورَةٍ لَه ،
ذَلِكَ أَنَّ حَتَّى الذَّاكِرَةَ تَنهَارُ شَيئًا فَشَيئًا - وَأَينَ سَيُوجَدُ الوَقتُ وَالأَدَوَات
لِلتَّرمِيمَاتِ وَالطِّلَاء ؟ - الصَّمتُ يُنَصِّبُ نَفسَه
خَارِجَ الحَوَائِطِ وَدَاخِلَهَا ؛ وَإِذَا مَا كَانَ أَحَدٌ عَلَى وَشكِ الكَلَام ،
فَسَرعَانَ مَا يَضَعُ يَدَه عَلَى فَمِه ، مُتَوَقِّعًا أَن يَسمَع
صَخَبَ فَتحِ قِنِّينَةٍ هَائِلَةٍ مِن زُجَاج -
هَكَذَا ، يَدُهُ أَمَامَ فَمِه ، كَأَنَّه يُخفِي تَثَاؤُبَه .

مصير المراقب

تَضَاعَفَت الاحتِجَاجَات - احتِجَاجَاتُ المُمَثِّلِين ،
وَالمُلَقِّنِين ، وَالمُسَاعِدِين ، وَالمُشَاهِدِين ، وَالكَهرَبَائِيِّين -
فِي الحَقِيقَة ، كَانَت هُنَاكَ دَعوَةٌ إِلَى إِضرَابٍ صَامِت ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِه
هُوَ الَّذِي كَانَ بِلَا أَيِّ دَور . كَانَ بِبَسَاطَةٍ وَحِيدًا تَمَامًا ،
مُنحَنِيًا عَلَى الحَائِطِ الكَرتُونِيِّ لِلخَشَبَة ، مُنتَصِبًا ،
سَاكِنًا ، كَبَندُولٍ قَدِيمٍ ، مُتَوَقِّف ، مُرَاقِبًا
المُمَثِّلِينَ ، وَالكَهرُبَائِيِّينَ ، وَالمُشَاهِدِين . "أَخرِجُوه مِن هُنَا" ، صَاحُوا ،
"أَخرِجُوه مِن هُنَا" .
لَكِنَّه لَم يَتَزَحزَح . إِلَى أَن عَلَّقُوه ذَاتَ يَومٍ فِي الثُّرَيَّا
وَوَاصَلُوا أَدَاءَهُم . مَعَ ذَلِك ، فَمِنَ الأَعلَى هُنَاك ،
مِن وَسَطِ الكِرِيستَالِ الكَثِيرِ ، بَدَا كَأَنَّه يُرَاقِبُهُم
عَن كَثَبٍ أَكبَرَ مِن ذِي قَبل ؛ وَذَلِكَ رُبَّمَا كَانَ السَّبَبَ فِي أَنَّ الكَهرُبَائِي ،
ظَلَّ ، فِي غَضَبِه ، يُعتِمُ الأَضوَاءَ أَو يُطفِئُهَا ، وَامتَلَأَت الأَدوَارُ المَسرَحِيَّة
بِتَوَقُّفَاتٍ طَوِيلَةٍ ، مُفتَتِحَةً مَبدَأً جَدِيدًا .

حُضُور

جِبَالٌ عَالِيَةٌ ، غُيُومٌ أَعلَى ، لِقَاء
وَسطَ الأَشجَارِ وَالأَسَاطِير ، عَلَى مُنحَدَرَاتٍ مُتَهَوِّرَة ،
هُنَاكَ حَيثُ العَقلُ المُطلَقُ العَفِي
تَرَدَّدَت أَصدَاؤُه بِلاَ خَوفٍ مِنَ التَّأكِيد ، فِيمَا أَبعَدَ فِي الأَسفَل ،
فِي الغُيُومِ الصَّفرَاءَ لِلمَحَاصِيلِ المُزدَهِرَة ،
فِي صَفَّينِ مُتَقَابِلَين ، أَخلَدَت التَّمَاثِيلُ لِلصَّمت ،
عَارِيَةً فَوقَ المَوتِ ، بِحَلَمَاتٍ مُنتَصِبَة .

مارس -أكتوبر 1971

نَتائِـج مَعرُوفَـة

تَآكَلَ لِسَنَوَاتٍ وَسَنَوَات ؛ تَعَرَّى
أَمَامَ مَرَايَا صَغِيرَةٍ أَو كَبِيرَة ،
أَمَامَ أَيِّ زُجَاجٍ نَافِذَة ؛ جَرَّبَ بِعِنَايَة
أَوَّلًا أَحَدَ الأَوضَاعِ ثُمَّ آخَرَ لِيَختَارَ ، لِيَكتَشِف
الأَكثَرَ مَلاءَمَةً لَه ، الأَكثَرَ طَبِيعِيَّة ، لَعَلَّه يُصبِحُ هُوَ نَفسُه
تِمثَالَه المُكتَمِل - رَغمَ أَنَّه كَانَ يَعرِف
أَنَّ التَّمَاثِيلَ غَالِبًا مَا تُقَام
لِلمَوتَى ، وَالأَغلَب
لِبَعضِ الآلِهَةِ المَجهُولَةِ ، غَيرِ المَوجُودَة .

17 مارس 1971

حَـدَثٌ لَيلِـي

دَقَّ مِسمَارًا فِي الحَائِط . لَم يَكُن لَدَيه
مَا يُعَلِّقُه . جَلَسَ عَلَى كُرسِيٍّ قَدِيم
وَحَدَّقَ ، فِي مُوَاجَهَتِه . لَم يَكُن هُنَاك
مَا يُمكِنُ أن يُفَكِّرَ فِيه أو يَتَذَكَّرَه . نَهَض
وَغَطَّى المِسمَارَ بِمِندِيلِه . فَجأَةً
رَأَى يَدَيه تُصبِحَان زَرقَاوَين ، مَصبُوغَتَين
بِفِعلِ القَمَرِ الوَاقِفِ عِندَ النَّافِذَة . القَاتِل
استَلقَى فِي سَرِيرِه .
وَقَدَمُه ،
الحَافِيَةُ ، القَوِيَّةُ ، بِأَظَافِرَ لَا شَائِبَةَ فِيهَا ، بِنُتُوءٍ
فِي الإِصبَعِ الصَّغِير ، خَارِجَةٌ عَنِ المَلَاءَة ،
والشَّعرُ مُلتَفٌّ بِصُورَةٍ شَهوَانِيَّة . هَكَذَا
تَنَامُ عَادَةً التَّمَاثِيلُ ، بِعُيُونِهَا مَفتُوحَة ،
دُونَ حَاجَةٍ لأَن تَخَافَ أَيَّ حُلمٍ ، أَيَّةَ كَلِمَة ؛

فَالآنَ لَدَيكَ الشَّاهِدُ المَوثُوقُ الَّذِي تَحتَاجُ إِلَيه ،
الأَكثَر دِقَّةً وَحَمِيمِيَّة ؛ لأَنَّكَ تَعرِف
أَنَّ التَّمَاثِيلَ لَا تَخُونُ أَبَدًا ، بَل تَبُوحُ فَحَسب .

أثينا ، 30 مارس 1971

الآبـار والنّـاس

لَدينَا آبَارٌ فِي مَنَازِلِنَا .
شَرِبنَا مَاءَ آبَارٍ ، اغتَسَلنَا ،
حَافَظنَا عَلَى نِظَامٍ ، وَنَظَافَةٍ مُعَيَّنَة .
ذَاتَ لَيلَة
نَهَضَ شَخصٌ مَا وَأَفرَغَ كُوبًا مِنَ السُّم
فِي البِئر . بَعدَ ذَلِك ، نَهَضَ الجَمِيع
بِالدُّورِ ، وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَأَفرغُوا
أَكوَابَهُم مِنَ السُّم . عِندَمَا حَلَّ النَّهَار ،
لَم يَشرَب أَحَدٌ المَاء . فِي النِّهَايَة ،
غَاصَت دَرَجَاتُ السُّلَّمِ فِي البِئر . صَعَدَ السُّكَّان
إِلَى السُّطُوحِ وَظَلُّوا هُنَاكَ بِلاَ حِرَاك
لِسَاعَاتٍ بِأَفوَاهٍ مَفتُوحَةٍ عَلَى أَمَل
أَن تَسقُطَ قَطرَةُ مَطَر . مَرَّ المُصَوِّرُ المُتَجَوِّل
بِالشَّارِع . لَم يَرَهُم . كَانَ يَنظُرُ إِلَى إِعلَانَاتَ الوَفِيَّاتِ المُلصَقَةِ بِالأَعمِدَة
وَبِالأَبوَابِ الضَّخمَةِ لِلمَحَلاَّتِ المُوصَدَة .

جَوَاز مُرور مُزوَّر

المَرأَةُ تَهُزُّ ملَاءَةً مِنَ النَّافِذَة .
تَنزِلِقُ الملَاءَةُ مِن يَدَيهَا ، تَنتَشِرُ فِي الهَوَاء
بِهُدُوءٍ ، بِاضطِرَادٍ ، أُفُقِيًّا . تَنظُرُ المَرأَةُ إِلَيهَا ، تَبتَسِم ،
ثُم تَقفِزُ إِلَى الملَاءَةِ مِنَ النَّافِذَة . تَرتَخِي الملَاءَة ،
تَنغَلِقُ كَكِيس ، تُرَفرِفُ ، وَتَتَوَقَّف . نَفسُ هَذَا الكِيس
يَحمِلُه فِي سَكِينَةٍ رَجُلٌ يَصعَد
السَّمَاءَ بِخُطًى بَطِيئَة . يَعرِفُ ، مَعَ ذَلِك ،
أَنَّه كَانَ يَكذِب . وَهوَ السَّبَبُ فِي أَنَّه أَدَارَ ظَهرَه
إِلَى البَابِ الضَّخمِ لِمحَلِّ الطِّبَاعَة
الَّذِي يَخرُجُ مِنه ثَلاَثَةُ صِبيَانٍ مِن بَائِعِي الصُّحُف ، بَاكِينَ ، بِلاَ صُحُف .

أثينا ، 14 أبريل 1971

أوقـاتٌ غريبَـة

وَصَلَ المَندُوبُونَ الثَّلاثَة . صَعَدُوا السَّلاَلِم .
خَرَجَ المَندُوبُون مِنَ البَابِ الخَلفِي .
مَرَّ كَلبٌ ، وَهوَ يَحتَضِنُ الجِدَار . أَرِيجُ اللَّيلَك
دَخَلَ غُرفَةَ الرَّجُلِ الذَّبِيح . كَانَ الجُنُودُ بِالخَارِج
يَخلَعُونَ سُيُوفَهُم وَخَوذَاتِهِم وَيَضَعُونَهَا
عَلَى الأَحجَارِ الَّتِي سَخَّنَتهَا الشَّمس .
أَرُبَّمَا مَرَّ القَاتِل
بِالنَّهر ؟ هَل عَبَرَه ؟ أَرُبَّمَا كَانَ هُوَ ؟
لِمَاذَا تَكَاثَرَت التَّوَائِمُ الإِنسَانِيَّةُ مُؤَخَّرًا ؟
أَبِحُكمِ العَادَة ، وَالوَصَايَا المُتَشَابِهَة ، الشَّائِعَة –
حِينَ يَنظُرُ المَرءُ إِلَى الآخَرِين ، يَتَوَفَّر لَدَيهِ الانطِبَاع
بِأَنَّه يَنظُرُ فِي مَرَايَا كَثِيرَة . هَذِهِ الأُمُورُ المُخَفَّفَة
إِلَى حَدٍّ مَا – إِحسَاسٌ عَامٌّ بِالذَّنبِ أَو الغُفرَان ،
وَفِي بَعضِ الأَحيَانِ لَا مُبَالاَةٌ عَامَّة .

لَكِن الآن
لَم يَشأ أَحَدٌ أَن يَحمِلَ عَلَى عَاتِقِهِ هَذِه المَسئُولِيَّة ،
وَوَاحِدًا وَاحِدًا كَفُّوا عَن أَن يُشبِهُوا بَعضَهُم بَعضًا . آنَئِذٍ ، عَبرَ الشَّارِع ،
أَمَامَ البَوَّابَةِ ، بَينَ العَمُودَينِ الطَّوِيلَين ،
وَقَفَ القَاتِلُ مُنتَصِبًا ، حَامِلًا بِمَهَابَة
أَكبَرَ إِكلِيلٍ مِن زَنَابِقَ بَيضَاءَ وَحَمرَاء .

أثينا 16 أبريل 1971

تَدَهــوُر

عَمِيقًا فِي الفَضَاءِ الدَّاخِلِيِّ العَارِي مِنَ الأَشجَار ،
الَّذِي يُوحِي مَعَ ذَلِكَ بِالأَشجَارِ الَّتِي استَحَالَت الآن
مَقَاعِدَ ، وَمَنَاضِدَ ، وَخَزَائِن . عَلَى الجِذع
تَجلِسُ المَرأَةُ الصَّامِتَةُ تُغَطِّي قَدَمَيهَا
وَتَنظُرُ إِلَى اليَرَقَةِ تَزحَفُ عَلَى الأَرضِيَّة -
يَرَقَةٌ خَضرَاءُ ، لَزِجَةٌ ، انحَرَفَت عَن طَرِيقِهَا ،
اليَرَقَةُ الَّتِي التَهَمَت الغَابَةَ وَتَأتِي الآنَ لِتَأكُلَ المَنزِل ،
وَإِطَارَاتِ الصُّوَرِ عَلَى الحَائِطِ وَالحَبلَ المُعَلَّقَ فِي السَّقف .

أثينا ، 24 أبريل 1971

بِلاَ مُسـاوَمَة

شَوَارِعُ ، طُرُقٌ ، إِشَارَاتٌ ، أَسمَاءٌ ، أَبوَاب ،
غُبَارٌ ، دُخَانٌ ، شَجَرَةٌ ، مَصَالِحُ شَخصِيَّة . كُنتُ أَنَا
مَن رَمَى بِالخَاتِمِ إِلَى الطَّبَق . كُلَّ لَيلَة تَنفَتِح
حَانَاتُ البِيرَةِ وَتَنغَلِقُ بِصَخَبٍ مَحسُوب . النَّوَافِذ
كَامِدَةٌ بِحُرُوفٍ ذَهَبِيَّة . العُمَّالُ ذَهَبُوا
إِلَى المَرَاحِيضِ لِيُدَخِّنُوا . الرَّجُلُ الآخَرُ مُرهَق ،
يُحَملِقُ فِي الأَرضِيَّةِ أَو الحَائِط ، يَتَحَاشَى الرُّؤيَة ،
يَتَحَاشَى الظُّهُورَ ، يَتَحَاشَى التَّسمِيَة . كُلُّ كَلِمَة
هِي خِيَانَة . عَلَى مِنضَدَةِ الإِعلاَنَات
تَستَلقِي المَرأَةُ المُتَرَهِّلَةُ عَارِيَةً ، تُخفِي
وَجهَهَا المُتَآكِلَ فِي شَعرِهَا القَلِيل
فِيمَا تَتَمَشَّي ذُبَابَاتٌ كَبِيرَةٌ بِأَجنِحَةٍ مَقصُوصَةٍ عَلَى ثَدَيَيهَا .

أثينا ، 27 أبريل 1971

أمـانة

فِي شَهرِ مَايُو ، عِندَمَا تَدُورُ الشَّمس ، تَضرِبُ المَنزِل
عَلَى جَانِبِه الغَربِي . يُصبِحُ الغُرُوبُ أَطوَل . شَرِيط ،
ذَهَبِيٌّ تَقرِيبًا ، يَنطَبِعُ رَأسِيًّا عَلَى الحَائِطِ الأَوسَط .
يَجِدُ الرِّجَالُ أَنفُسَهُم عَلَى حَافَّةِ إِلهَامٍ عَمِيق .
المَنَاضِدُ الصَّغِيرَةُ لِمَحَلِّ حَلوَى أُخرِجَت إِلَى الرَّصِيف .
وَالزَّنَابِقُ الحَمرَاءُ يُمكِنُ تَمييزُهَا وَرَاءَ زُجَاجِ النَّافِذَة .
عَلَى المَنزِلِ الطَّوِيل عَبرَ الشَّارِعِ فُتِحَت النَّوَافِذ .
يُمكِنُ رُؤيَةُ خَوَاءِ غُرفَةٍ أُخلِيَت مُؤَخَّرًا .
وَرُبَّمَا - مَن يَدرِي -
رُبَّمَا كُنتَ أَنتَ مَن يُصدِرُ الأَمرَ ، حَتَّى قَبلَ أَن يَحِلَّ اللَّيل ،
بِإِضَاءَةِ الأَنوَارِ الخَضرَاءَ فِي فِنَاءِ الكَنِيسَة ،
فَهوَ وَقتُ التَّنَاقُضَاتِ الصَّعبَة .
نَعَم ، أَنتَ ،
المُخَوَّلُ (مِن قِبَلِ مَن ؟) لأَن تَضَعَ فِي القَصَائِدِ صَرَاحَةً

الأَحصِنَةَ الخَشَبِيَّةَ ، وَمَفَاتِيحَ الحَقَائِبِ القَدِيمَةَ الضَّائِعَة ،
وَتِلكَ الدُّمَى المَطَّاطِيَّةَ لِثَلاَثَةِ ضَفَادِعَ أَو أَكثَر
لِيُمكِنَ لَهَا القَفزَ بِرَشَاقَةٍ إِلَى الحَدَائِقِ المَروِيَّةِ غَيرِ المَوجُودَة .

علاَقَــة

لِمَاذَا يَنبَغِي أَن نَتَكَلَّم ؟ - قَال - مَا فَائِدَةُ التَّفسِيرَاتِ الكَثِيرَة
حِينَمَا ، فِيمَا تُسرِعُ لِلِّحَاقِ فِي المَوعِد
بِصَدِيقٍ يَنتَظِرُك لِتُنَاقِشَ مَعَه أَمرًا مَا
بَالِغَ الأَهَمِّيَّة ، يَتَعَلَّقُ بِكَ وَبِآخَرِينَ كَثِيرِين ،
تَتَوَقَّفُ فَجأَةً وَسطَ الشَّارِع
لِتَنظُرَ إِلَى ذَلِكَ الطَّائِرِ الَّذِي يَتَمَشَّى بِسَكِينَةٍ عَلَى الأَسفَلت ،
وَرَأسُه مَرفُوعَةٌ فِي ابتِهَاجٍ ، أَعلَى مِنكَ ،
وَتَذكَرَةُ أُوتُوبِيس فِي مِنقَارِهِ الطَّوِيل ؟

أثينا ، 12 مايو 1971

الضَّحِكَـة

رَأَى الغُيُومَ مِن دِكَّةِ الحَدِيقَة .
مَزَّقَ بِطَانَةَ المِعطَف ،
نَزَعَ شَرِيطَ قُبَّعَتِه ،
لَفَّ الطِّفلَ المَخطُوف
وَوَضَعَه فِي البِئر . تَبَوَّلَ ، وَاقِفًا مُنفَرِجَ القَدَمَين ،
مُبتَسِمًا قَبلَ أَن تَبتَسِم .
إِنَّنِي أَقصِدُ هَذِهِ الابتِسَامَةَ ، مَشَاهِدَ اللَّيل ،
مَشَاهِدَ القَمَر . الطِّفل ،
لَا ، لَم يَكُن مَخطُوفًا . وَلَا لَم يَكُن هُنَاكَ
بِئرٌ أَو طِفل . لَيسَ سِوَى الغُيُوم .

ساموس ، 19 ديسمبر 1971

في المطر

يَمشِي في المطر . لَيسَ مُتَعَجِّلًا أَبَدًا .
السِّيَاجُ المَبلُولُ يَلتَمِع . وَالأَشجَار
سَوداءُ مَعَ أَحمَرَ خَفِي . إِطَارُ أُتُوبِيس
قَدِيم مَربِيٌّ فِي حَظِيرَةِ الغَنَم .
البَيتُ الأَزرَقُ أَكثَرُ زُرقَةٍ بِصُورَةٍ دَالَّة .
هَكَذَا كَيفَ صَغُرَ العَدَم . الصُّخُورُ تَتَسَاقَط .
الأَيدِي مُطبَقَة . مَظرُوفُ خِطَابٍ غَيرُ مُستَخدَم
يَطفُو فِي النَّهر . رُبَّمَا
كَانَ اسمُكَ مَكتُوبًا فِي الوَجهِ الآخَر .

ساموس ، 21 ديسمبر 1971

مُتعدِّد الأَبعَـاد

أَكَلَ خُبزَه . شَرِبَ المَاء . لَم يَأكُل
الحَدِيد ؛ وضَعَه فِي النَّار ، أَذَابَه ،
وَصَنَعَ طَائِرَين ؛ لِلعُيُون استَخدَم
أَزرَارَ مِعطَفِه الأَربَعَة . وَضَع الطَّائِرَين
عِندَ قَدَمَي سَائِقِ المَركَبَة . آنَئِذٍ
لاَحَظَ فَجأَةً أَنَّهُ بِلاَ يَدَين ... يَدَاه
عَلِقَتَا بِالحَدِيد .

ساموس ، 21 ديسمبر 1971

بَـراءَةٌ مُطلَقَـة

ارتَدَى حِذَاءَه ، وَقُفَّازَيه ، وَقُبَّعَتَه .
الثِّيَابُ الدَّاخِلِيَّةُ وَالخَارِجِيَّة - لَا شَيء . وَخَرَجَ إِلَى الشَّارِع .
عَامِلُ الطُّلُمبَات ، وَبَائِعُ الفَحمِ ، وَالجَزَّارُ ، وَالشُّرطِي ،
الكَلبُ العَجُوزُ بِذَيلِه المَقطُوعِ ، وَالعَلَمَان ،
المَرأَةُ الحَمرَاءُ الضَّخمَةُ عَلَى الحَائِط . لَدَى اقتِرَابِهِ مِنهَا ،
خَلَعَ القُفَّازَ الأَيمَنَ بِاليَدِ الأُخرَى ،
اكتَشَفَ أَنَّ خَاتَمَ الأَسلَافِ قَد ضَاعَ مُنذُ أَعوَام ،
وَفِي الوَقتِ نَفسِه رَأَى نَفسَه عَارِيًا
تَحتَ نَظرَةِ المَرأَةِ الحَمرَاء . لَم يُترَك لَه أَيُّ شَيء .
آنَئِذٍ خَلَعَ حِذَاءَه أَيضًا ، وَوَضَعَ قُفَّازَيه
فِي إِحدَى الفَردَتَين ، وَقُبَّعَتَه فِي الأُخرَى . وَهَكَذَا ، وَحِيدًا ،
مُبتَسِمًا فِي بَرَاءَةٍ مُطلَقَةٍ ، كَانَ يُفَضِّل
يَدَيهِ العَارِيَتَين عَلَى الأَغلَال .

أثينا ، 28 سبتمبر 1972

بِلاَ مِـرآةٍ الآن

سَقَطَ شَعرُهَا عَلَى عَينَيهَا ، وَفَمِهَا ،
مَضَغَت شَعرَهَا ؛ ابيَضَّ رِيقُهَا .
ظِلٌّ كَبِيرٌ عَلَى السَّتَارَة . أَكوَابُ المَاءِ عَلَى الأَرضِيَّة .
فَلتَصرُخِي بِهَا حَتَّى النِّهَايَة ؛ أَدِيرِيهَا ، وَلتُخفِيهَا .
مَاذَا تُخفِي ؟ فَأَينَ تُخفِي نَفسَك ؟ "المَوت ؟" ، صَاحَت .
"الشَّيخُوخَة ، المَوت !" ، صَاحَت . سَأَهرُب . فَلتُعِدنِي .
تَلٌّ مَبذُورٌ بِشَظَايَا قَوَاقِع . وَهُنَاك ،
وَسطَ العِظَام ، مِشطٌ ، قِطعَةُ حَبلٍ حَمرَاء ،
لِتُمَشِّطِي شَعرَكِ بِلَا مِرآةٍ الآن ، لِتَربُطِي شَعرَك
حَتَّى لَا يَسقُطَ عَلَى عَينَيكِ ، حَتَّى لَا يُخفِي عَنكِ الدُّودَةَ البَيضَاء
الَّتِي تَزحَفُ ، هَزِيلَةً ، وَدِيعَةً ، بَطِيئَةً ، عَلَى المِنضَدَة .

أثينا ، 29 سبتمبر 1972

وجهٌ عُريَـان

فَلتَقطَع اللَّيمُونَةَ وَلتُسقِط قَطرَتَين فِي الكُوب ؛
انظُر هُنَاك ، السَّكَاكِينُ بِجِوَارِ السَّمَكَةِ عَلَى المِنضَدَة -
السَّمَكَةُ حَمرَاء ، السَّكَاكِينُ سَودَاء .
الجَمِيعُ بِسِكِّينٍ بَينَ أَسنَانِهِم أَو أَعلَى أَكمَامِهِم ،
مَغرُوسِينَ فِي أَحذِيَتِهِم الطَّوِيلَةِ أَو بَنطَلُونَاتِهِم القَصِيرَة .
أُصِيبَت المَرأَتَانِ بِالجُنُون ، ذَهَبَتَا لِتَأكُلَا الرِّجَال ،
لَدَيهِمَا أَظَافِرُ كَبِيرَةٌ سَودَاءُ ، صَفَّفَتَا شَعرَهُمَا غَيرَ المَغسُولِ عَالِيًا ،
عَالِيًا كَبُرج ، مِنه قَفَزَ الصِّبيَانُ الخَمسَة
وَاحِدًا وَاحِدًا . فِيمَا بَعد يَهبِطُونَ السَّلاَلِم ،
وَيَسحَبُونَ المَاءَ مِنَ البِئر ، يَغتَسِلُون ، يُفرِجُونَ أَفخَاذَهُم ،
وَيَطعَنُون أَقمَاعَ الصُّنُوبَرِ ، يَطعُنُون الأَحجَار . وَنَحن
نُومِئُ بِرُؤُوسِنَا بـ"نَعَم" وَ"نَعَم" - نَنظُرُ لأَسفَل
إِلَى نَملَةٍ ، جَرَادَةٍ ، أَو إِلَى تِمثَالِ النَّصر -
يَرقَاتُ شَجَرَةِ الصُّنُوبَرِ تَمشِي الهُوَينَى عَلَى أَجنِحَتِهَا .

انعِدَامُ القَدَاسَةِ- قَالَ شَخصٌ مَا- هُوَ النَّمَطُ النِّهَائِيُّ ، الأَسوَأُ مِن المَعرِفَة ؛ إِنَّه بِالتَّحدِيدِ تِلكَ المَعرِفَةُ الَّتِي تَظَلُّ تُدعَى مُقَدَّسَة .

حِكمَـة

مَا كَانَ جَبَلًا ثُم هَوَاءً وَأَخِيرًا نَجمَة ؛
وَهوَ الَّذِي قَال "شُكرًا" - قِيلَت بِرِقَّة
حَتَّى لَا يَسمَعُهَا الاثنَان وَلَا الثَّالِث ، لأَنَّهُم كَانُوا فِي غَايَةِ الغَضَب ؛
كَانُوا يُطِيحُون بِأَحذِيَتِهِم مِنَ النَّافِذَة ، بِأَصصِ الزُّهُور ،
وَاسطُوَانَاتِ الجِرَامَافُون ، وَأَكوَابِ المَاءِ وَمَنَادِيلِ المَائِدَة
إِلَى حَدٍّ أَن نَغضَبَ نَحنُ أَيضًا ، وَنَصرُخُ فِيهِم "لاَ !"
فَنُعطِيهِم بِذَلِكَ مُبَرِّرًا لِمَا فَعَلُوه .
فِي الغُرفَةِ التَّالِيَةِ لِلبَابِ ، بِسَرِيرِهَا الحَدِيدِيِّ الكَبِير ،
يُمكِنُنَا سَمَاعُ الرَّجُلِ العَجُوزِ يَكُح ؛ عَلَى المَلَاءَة
وَضَعَ ضُفدَعًا صَغِيرًا ، وَطوَالَ أَيَامٍ وَلَيَالٍ ،
هَادِئًا ، ثَابِتًا ، مُنتَشِيًا ، يَحَدِّقُ فِيهَا وَيَفحَص
الآلِيَّاتِ الرَّهِيفَةَ لِقَفزَةِ الضُّفدَع .
بَعدَهَا يَكُفُّ عَن الكَح .
نَسمَعُه يَقفِزُ عَلَى السَّرِير .

فِي اليَومِ الثَّالِثِ كَسَونَاهُ كُلَّه بِالجِبس ،
دُونَ أن يَبِينَ مِنه سِوَى فَكِّهِ الخَاوِي مِنَ الأَسنَان .

أثينا ، 2 أكتوبر 1972

التزامَـاتٌ غير مُؤكَّـدة

نَافِرٌ هَذَا الصَّبَاح - تُحَملِقُ فِي الشَّارِعِ فِي الأَسفَل ؛
النَّاسُ عَلَى عَجَلٍ ، لَا يَستَطِيعُونَ رُؤْيَةَ خَمسَة أَقدَامٍ أَمَامَهُم -
نِصفٌ فِي الهَوَاءِ ، نِصفٌ دَاخِلَ أَنفُسِهِم أَو دَاخِلَ الجِدَار ؛
الجِدَارُ يَرتَطِمُ بِالجِدَار - لَا يَصدُرُ صَوت .
خِرقَةُ غُبَارٍ تَعلَقُ فِي شَجَرَة . فَقَدتُ - يَقُول -
كُلَّ مَفَاتِيحِي الخَمسَة . الرَّجُلُ الآخَرُ يَنظُرُ إِلَى رَاكِبِ الدَّرَّاجَة .
الثَّالِثُ يَدخُلُ مَحَلَّ تَلمِيعِ الأَحذِيَة . الرَّابِعُ سَيَسقُطُ
أَمَامَ دُكَّانِ الأَثَاثِ الرَّخِيص . وَالخَامِس
لَفَّ نَفسَه فِي ثَلَاثِ جَرَائِد . لَابُدَّ أَن تُلَملِمَهَا ؛
لَابُدَّ أَن تَنتَبِهَ إِلَى الكَفَن ؛ لَابُدَّ أَن تَجِد
أَسمَاءَهُم الحَقِيقِيَّة - اسمًا وَاحِدًا - وَإِلَّا فَمَا الَّذِي سَيَبقَى
مِن لَافِتَتِكَ الكَبِيرَة ، أَيُّهَا المُهَندِسُ المِعمَارِي الطَّمُوح -
بَيضَاءُ ، بِحُرُوفٍ حَمرَاءَ ، مُعَلَّقَةٌ عَالِيًا
فِي الطَّابِقِ السَّابِعِ فِي المَبنَى ذِي الشَّقَّةِ الزُّجَاجِيَّةِ الجَدِيدَة ؟

وَمَا الَّذِي سَيَبقَى مِنكَ ،
أَنتَ الَّذِي بِزَوجٍ قَدِيمٍ مِنَ المِقَصَّات ، تَقطَع
أَصَابِعَكَ الخَمسَةَ لَعَلَّ الجَمِيعَ يُؤمِنُونَ بِاللَّامَرئِي ، وَلَعَلَّكَ تُؤمِن ؟

كالاموس ، 8 أكتوبر 1972

تَعرِيـةُ المشـنُوق

رَأَيتُه - قَال - بِعَينَي ؛ كَانَ مَشنُوقًا بِارتِفَاعِ مِتر
مِنَ ابتِسَامَتِهِ تَمَامًا ، كَمَا مِن خُطَّاف
مَشبُوكٍ فِي أَسنَانِه . لَم تَكُن تُومِضُ عَينَاه . اقتَرَبت ،
حَلَلتُ حِزَامَه ، خَلَعتُ بَنطَلُونَه ، وَسِروَالَه الدَّاخِلِيَّ ، وَنَظَرتُ إِلَيه .
أَغمَضَ نِصفَ إِغمَاضَةٍ إِحدَى عَينَيه ، مُومِئًا (آهِ ، ذَلِكَ مَا كَانَ يَنتَظِرُه ،
بِكَثِيرٍ مِن الكَيَاسَةِ الَّتِي تَدفَعُ إِلَى اليَأس ، بِكَثِيرٍ مِنَ الخُبث . لَم يَجرُؤ أَبَدًا
أَن يَتَظَاهَرَ بِالمَسئُولِيَّة) . فِي جُيُوب
مِعطَفِهِ وَبَنطَلُونِه لَم أَجِد شَيئًا ، سِوَى
خَمسِ خِلاَلٍ لِلأَسنَانِ مَكسُورَة . تَرَكتُه ، وَابتَعَدت . فِي المَسَاء ،
عِندَمَا مَرَرتُ مِن جَدِيدٍ بِفِعلِ الفُضُولِ ، لَم يَكُن هُنَاك .

أثينا ، 19 أكتوبر 1972

الرَّجُـل الآخَـر

كَانَ لَدينَا قِيثَار ، وَسِكِّينٌ ، وَثَلَاثَةُ مَقَاعِدَ غَيرُ مُتَمَاثِلَة ،
وَكُنَّا نُقَشِّرُ بَطَاطِسَ مَسلُوقَةً عَلَى صَحِيفَة .
المَرأَةُ بِشَمعَةٍ كَانَت تَهبِطُ السَّلاَلِم . مِن أَعلَى
كَانَ الرَّجُلُ الأَعرَجُ يَضرِبُ الأَرضِيَّةَ بِعُكَّازَيه . وَالرَّجُلُ الآخَرُ ، وَحِيدًا ،
كَانَ يَجلِسُ فِي رُكنٍ مُنفَرِد . يَأكُل . يَنظُرُ إِلَى أَظَافِرِه ،
مُحَاوِلًا تَحقِيقَ إِضَافَةٍ مَا ، أَو تَشوِيهٍ إِيجَابِي ،
أَو تَشَابُهٍ عَلَى الأَقَل ، لِيَنطَلِقَ خَارِجَ كَلِمَاتِنَا ، لِيَدخُل
إِلَى الإِيقَاعِ أَو سَطحِ الإِيقَاع ، مُتَمَاوِجًا
كَاللَّيمُونَةِ المَقطُوعَةِ المَعصُورَةِ الطَّافِيَةِ عَلَى النَّهر
مَعَ الهِلَالِ ، بِجِوَارِ التَّشَابُهِ الخَشَبِيِّ لِلرَّجُلِ الغَرِيق ،
فِيمَا كَانَ الرِّجَالُ عَلَى شَاطِئَي النَّهرِ يُومِئُون ، يَصِيحُونَ ، يَركُضُون -
الرِّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا يُكَدِّسُون دُيُونًا كَثِيرَةً لِيُسَدِّدُوا دُيُونًا أَصغَر
وَيُنفِقُونَ الاثنَين بِدُونِ تَسدِيدِ أَيٍّ مِنهُمَا .

أثينا ، 23 أكتوبر 1972

مُعجِـزاتٌ مُشتركَـة

أَخرَجُوا الشَّمعدَانَاتِ إِلَى الهَوَاءِ الطَّلقِ تَحتَ الأَشجَار
وَنَظَّفُوا الكَنِيسَة . مِنَ البَابِ الكَبِير
انتَشَرَت رُطُوبَةٌ دَاكِنَةٌ عَلَى الدَّرَجَات
وَعَلَى القِرمِيدِ الأَبيَض المَغسُولِ بِالشَّمس .
رَكَلَ الشَّمَّاسُ كَلبًا أَعرَجَ اقتَرَب
لِيَشرَبَ مِنَ الدَّلو . آنَئِذٍ ، مِن بَابِ المَذبَحِ الجَمِيل ،
خَرَجَ المَلَاكُ بِأَجنِحَتِهِ الحَمرَاءِ الكَبِيرَة ،
خَطَا إِلَى الكَلبِ ، وَأَعطَاهُ لِيَشرَبَ مِن كَفَّيه .
وَهَكَذَا فِي اليَومِ التَّالِي مَشَى المَشلُولُون الخَمسَة .

أثينا ، 23 أكتوبر 1972

كصَلَاة

فَلتَمنَحهُم يَومًا آخَرَ بِكَلِمَاتِهِم الصَّغِيرَة ،
بِمِيتَاتِهِم المُتَجَوِّلَةِ الصَّغِيرَةِ ، فِي شَهرِ نُوفَمبِر
تَحتَ الأَشجَارِ القَلِيلَةِ ذَاتِ الوَمِيضِ الذَّهَبِي .
السَّفِينَةُ القَدِيمَةُ تَرسُو وَرَاءَ الصُّخُورِ فِي الخَلِيجِ السِّرِّي ،
مُفرِغَةً مَرضَاهَا الصَّامِتِين ، دَرَكِيِّيهَا الكَئِيبِين ،
لِيُوصَدَ عَلَيهِم فِي مَنزِلِ المَجذُومِين . إِلهَنَا العَزِيز ، كَم هُم وَحِيدُون ،
غُرَبَاءُ عَن بَعضِهِم البَعض - مُتَشَابِهِين ، يَتَشَبَّثُونَ بِبَعضِهِم البَعض مِنَ الأَكتَاف
وَيَتَرَاقَصُون عَلَى تِلكَ الأُغنِيَةِ البَلِيدَةِ المَنسِيَّة :
شَجَرَتِي السَّروِ السَّوداء ، يَا عُيُونِيَ السَّوداء ، يَا خُبزِيَ وَمِلحِيَ الأَسوَد .

أثينا، 25 أكتوبر 1972

انقِـراض

بَحرٌ هَادِئٌ وَرَاءَ زُجَاجِ النَّافِذَة . فِي انتِظَارِ قَصِيدَة .
غُصُونٌ عَارِيَةٌ لِشَجَرَةِ تِينٍ بِأَلِيَافٍ طَوِيلَة
لِسُتْرَةٍ بَحرِيَّةٍ مَحلُولَةٍ غَيرَ مَنسُولَة . مَرَّ اثنَان .
وَاحِدٌ بِعَينِه مُضَمَّدَة . وَالثَّانِي مُتَرَدِّد
بِالخَوفِ مِنَ التَّكرَار . أَعَلَيهِ أَن يُغَادِر ؟ أَيَبقَى ؟
رَائِحَةٌ مَنسِيَّةٌ مَعَ غُبَارٍ أَصفَر
تَجتَاحُ بَابَ وَرشَةِ النَّجَارَة . وَالكَلِمَات - قَال -
أَوهَى كَلِمَاتِنَا ، بِلاَ أَيِّ وَزنٍ الآن ،
تُشبِهُ السُّقُوطَ عَلَى نَهرٍ أَخرَسَ بَعدَ طَلقَةِ الصَّيَّاد .

كالاموس ، 28 أكتوبر 1972

عَارِيَـةٌ بِالتَّدرِيـج

مِحرَاثٌ يَنغَرِسُ فِي الأَرض . قِدرٌ كَبِيرَةٌ سَوداءَ بِالدُّخَان
مَرمِيَّةٌ مَقلُوبَةً عَلَى العُشبِ الجَاف . كَلبٌ يَنبَح . دَجَاجٌ
مُبعثَرٌ وَرَاءَ شَبَكَةِ الأَسلاَك . فِي المِيَاهِ الدَّاكِنَةِ لِلحَوض ،
سَيَّارَةُ الطِّفلِ الحَمرَاءُ البلاَستِيكِيَّةُ تَطفُو . وَالبَجَعَة ؟ - سَأَل .
أَيَّةُ بَجَعَة ؟ - سَأَلَ الآخَر . لَم أَرَ أَيَّةَ بَجَعَة . البَجَعَة - قَال - البَجَعَة .
آهِ إِلَهِي ، لَا يُمكِنُكَ أَن تَخدَعَنِي - لَيسَ أَنَا ، عَلَى الأَقَل .
لَقَد خَدَعتُ الكَثِيرَ مِنَ المَوتَى - أَرجَعتُهُم . تَحتَ الأَحجَار
وَجَدتُ مِنضَدَةً مَفرُودَة ، وَفِي وَسَطِهَا ، عَلَى طَبَقٍ كَبِير ،
البَجَعَةُ عَارِيَة ، يَا إِلَهِي . بِمُنحَدَرِهَا الرَّهِيفِ
حَشَوتُ وِسَادَتَيَّ الاثنَتَين . وَهَا هِي رِيشَاتُهَا السِّتُّ الكَبِيرَة ،
مُتَشَابِكَةً فِي الرِّيحِ ، شَقَّت طَرِيقَهَا فِي قُبَّعَةِ المَرأَةِ المَيِّتَة .

كالامُوس ، 29 أكتوبر 1972

شُهُودٌ فِي كلِّ مَكان

لَم يَكُن لِلتِّمثَالِ أَيَّةُ مُيُولٍ ، وَلاَ حَتَّى أَيَّةُ اعتِرَاضَات .
لَا يَحكُمُ عَلَى إِيمَاءَتِك . عَارِيًا تَمَامًا ، بِلاَ مُبَالاَةٍ
فِي خُضُوعِهِ الشَّامِخ . وَلَا تَستَطِيع
أَن تَلِجَ إِلَى الحَجَر . فَتَظَل
خَارِجَ التِّمثَال . تُنَحِّي الحَبلَ مِن رَقَبَتِك
وَتُمَرِّرُه بِعِنَايَةٍ حَولَ رَقَبَتِه . أَبعَدَ قَلِيلًا ،
بَينَ التَّمَاثِيلِ أَو وَسطَ التَّمَاثِيل ، هُنَاكَ شَخصٌ مَا
يُرَاقِبُك ، حَارِسُ المَتحَف ، رُبَّمَا
ابنُ التَّجَّار ، أَو مَوتُك . لَستَ فِي المَوعِد .
وَسَائِلُكَ المَنَوِيُّ يَنطَلِقُ عَلى القِرمِيدِ الأَبيَض ، المُلتَمِع .

أثينا ، 11 نوفمبر 1972

جَاذبيَّـة الأَرض

التَصَقَ القَمَرُ بِزُجَاجِ النَّافِذَةِ كَطَابِعِ بَرِيدٍ مُلغًى
عَلَى خِطَابٍ لَم يُسَلَّم . مَحَلُّ الأَثَاثِ المُغلَقُ مَلِيء
بِالمَنَاضِدِ ، وَالمَقَاعِدِ ، وَالمَرَايَا . كَلبٌ طَوِيلٌ مَرعُوبٌ مِن ظِلِّه
يَنبَحُ وَسطَ أَضوَاءِ الطَّرِيق . لَيسَ مُهِمًّا
إِلَى أَيِّ ارتِفَاعٍ تَرمِي الأَشيَاء ، فَلَن تظَلَّ فِي الهَوَاء ،
لَن تُنبِتَ أَجنِحَة ؛ سَتَسقُطُ بِصَدمَةٍ فِي الأَرض
فِي المَكَانِ نَفسِه تَقرِيبًا ، كَنُقُودِ الحَظ ،
وَهِيَ تَكشِفُ بِالتَّحدِيدِ الوَجهَ الَّذِي لَم تَكُن تَرِيدُ لَه الظُّهُور .

أثينا ، 13 نوفمبر 1972

هُنَـاك

صِيَاحٌ ، بَاعَةُ اليَانَصِيبِ ، بَاعَةُ الزُّهُورِ ، لَاعِبُو الوَرَق ، المَوت .
آخَرُونَ يَصِيحُونَ مِنَ المَنزِل ، مِنَ السَّتَائِرِ ، مِنَ الأَثَاث ،
مِن صُوَرِ الجَدِّ المَنسِيَّة . انحَنَت المَرأَة
وَبِيَدِهَا اليُمنَى شَدَّت ثَوبَهَا إِلَى رُكبَتَيهَا
كَأَنَّهَا خَائِفَةٌ مِن أَن تَجرِفَه الضَّوضَاءُ بَعِيدًا . شَعرُهَا
يَمِيلُ إِلَى أَحَدِ الجَانِبَين ، وَقَد لَطَمَته الذِّكرَى . وَفَجأَةً ،
حَولَ رَقَبَتِهَا ، تُحِسُّ بِقِلاَدَتِهَا ، بِلاَ ثِقَلٍ تَقرِيبًا ؛
فِي وَضعٍ غَيرِ مَلمُوسٍ لِصَمتٍ مَدرُوس - هُنَاك
حَيثُ يَنتَظِرُ الشِّعرُ دَائِمًا أَن يُكتَشَف .

أثينا ، 17 نوفمبر 1972

التِّمثَـالُ فِي المقهَى

لاَ أَحَدَ يَدرِي كَيفَ حَدَثَ أَن وُجِدَ هَذَا التِّمثَالُ العَارِي فِي الطَّابِقِ الخَفِي مِنَ المَقهَى الشَّعبِي - رُبَّمَا مِن البَقَايَا اللَّعِينَةِ لِمَزَاد أَحَدِ النَّحَّاتِينِ المَجهُولِين ؛ عَارِيًا هَكَذَا ، مُغَطًّى بِالغُبَار ، كِلَاسِيكِيًّا إِلَى حَدٍّ مَا فِي الأُسلُوب ،

وَجَمِيلًا رَغمَ ذَلِكَ لِهَذَا كُلِّه ، بِهَيئَةِ خَجَلٍ بَسِيطٍ لِمُرَاهِق ،

كَأَنَّه أَرَادَ أَن يَبُولَ ثُمَّ انسَحَبَ إِلَى الرُّكنِ حَيثُ الرِّجَالُ العَجَائِز ،

مُمَثِّلُونَ فَاشِلُونَ بِشَعرٍ مَصبُوغٍ وَعُيُونٍ مُلَوَّنَةٍ ، قَضَوا أَيَّامَهُم وَلَيَالِيَهُم فِي انتِظَارِ مُكَالَمَةٍ سُدًى . فَالجَمِيعُ أَعطَوا إِلَى أَصدِقَائِهِم وَمَعَارِفِهِم (حَتَّى لَو كَانَ الفَاشِلُون وَالبُؤَسَاءُ بِلَا أَصدِقَاء) رَقَمَ التِّلِيفُون نَفسَه ، رَقَمَ هَذِهِ المَقهَى . مَا مِن أَحَدٍ اتَّصَلَ بِهِم قَط .

وَالآنَ عِندَمَا يَرِنُّ الهَاتِفُ ، لَم يَعُودُوا يُدِيرُونَ رُؤُوسَهُم . بِبُطءٍ يَرشُفُون قَهوَتَهُم ،

فِيمَا يَخُطُّون ، عَلَى عُلَبِ السَّجَائِرِ ، سُيُوفًا ، وَأَكَالِيلَ غَارٍ ، وَأَقنِعَةً مَأسَاوِيَّة ،

فِيمَا يُجَرِّبُون ، أَحيَانًا ، بِصُورَةٍ تَأمُّلِيَّةٍ ، شَبَقِيَّةً تَقرِيبًا ، عَلَى هَذَا التِّمثَالِ

الجِبسِي

السُّترَةَ الكِتَّانِيَّةَ لِلأَدوَارِ الَّتِي لَم يُؤَدُّوهَا قَط ، نَاسِينَ الوَقتَ بِذَلِك ، مُعتَقِدِين أَنَّ هَذَا التِّمثَالَ يُصَوِّرُ ذَوَاتَهُم الحَقِيقِيَّةَ فِي عُمرِهِم الحَقِيقِي .

كالاموس ، أثينا ، 19 -20 نوفمبر 1972

1972

لَيَالٍ بِبَنَادِقَ تُطلِقُ الرَّصَاصَ وَجُدرَان . فِيمَا بَعد ، هُدُوء .
طَوَابِقُ نَظِيفَة . السِّيقَانُ الخَشَبِيَّةُ ، مُستَقِيمَة .
وَرَاءَ البَاب ، بَابٌ ثَانٍ وَثَالِث ؛ بِينَهُم
قُطنٌ عَازِلٌ مِنَ النَّوعِ المُستَخدَمِ فِي حَشوِ أَفوَاهِ
الجَوعَى أَو المَوتَى . الأَبطَالُ - قَال -
ابيَضُّوا ، يَا إِلَهِي العَزِيز ، أَصبَحُوا بَدِينِين وَصِغَارًا .

أثينا ، 25 نوفمبر 1972

أنفَـاسٌ عميقَــة

يَومُ أَحَدٍ أَبيَض
وَنَورسٌ
أَبيَـض
المَــاء
يَهمِسُ بِالكَادِ تَمَامًا
وَعَرَبَةُ كَارُّو تَمُر
مُحَمَّلَةً بِطِلَاءٍ أَبيَض
وَلَو أَمكَن العُثُورُ عَلَى كَلِمَةٍ بَيضَاء
فَسَوفَ أَقُولُهَا لَك.

كَالَامُوس، 30 مارس 1980

بَـاب

مَحَل النِّجَارَة ،
تَاجِرُ الحَدِيد ،
حِذَاءُ المُزَارِعِ المطَّاط
فِي الرُّوَاق ،
السَّمَاءُ الغَائِمَةُ ، الخَفِيضَة ،
رَغوَاتُ صَابُون ،
وَبصُورَةٍ غَير مُتَوَقَّعَة تَمَامًا ،
بَابٌ أَزرَق
سَاقِط مُسَطَّحًا وَسطَ الرُّكَام
بِالمفتَـاح
مَا يَزَالُ فِي مَكَانِه .

أثينا، 3 مارس 1985

فِي آخـر اللَّيـل

القصـائد الأخيـرة

(1991)

I

نَفي الصَّمت

مساعٍ ضالَّة

سَاعَاتٌ مِن نِسيَانٍ لاَ إِرَادِيٌّ أَو إِرَادِي .
تَعَب .
فَلتُغمِض عَينَيك . فَمَا الذِي جَنَينَاه طوَالَ هَذِهِ القُرُون
مِن التَّفتِيشِ ، سَاهِرِين ، عَن أَدنَى وَمِيضٍ فِي الظَّلاَم ،
فِيمَا نُمَيِّزُ بِالكَاد نَافِذَةً مُصَغَّرَة عَلَى زُجَاجِ نَظَّارَةِ الوَلَدِ قَصِيرِ النَّظَر -
أَهِيَ رُبَّمَا نَافِذَةٌ مَفتُوحَة عَلَى مُعجِزَةِ العَالَم ؟
فَمَن تُحَاوِلُ أَن تَخدَعَه ؟
لَيسَ نَفسكَ بِالتَّأكِيد . هَيَّا إِذَن - فَلتُغمِض عَينَيك .

كارلوفاسي 29 يونيو 1987

في ذَلك الحِيـن

فِي اللَّيل ، مَا يَزَالُ يَصِلُ إِلَيك صَدَى الأَيَّام العَظِيمَةِ وَالمَجِيدَة :
المَنَازِلُ ، الغَابَاتُ ، والسُّفُن المُحتَرِقَة ،
الفُرسَانُ يَتَسَابَقُون إِلَى أَبرَاجِ الكَنَائِسِ ، أَو يَنحَدِرُون فِي السَّهل ،
وَآخَرُون يُلَمِلِمُون القَتلَى ، وَهُم يَرفَعُون الأَعلَام ،
يَرسُمُونَ أَهِلَّةً حَمرَاء عَلَى الجُدرَان . الآن
تَتَرَنَّحُ عَرَبَةُ كَارُّو بِلَا سَائِقٍ أَسفَلَ الطَّرِيقِ السَّاحِلِي
وَالكَلبُ الضَّالُّ الأَسوَدُ يُحَدِّقُ فِي النَّهر
كَأَنَّه أَدرَكَ بِالفِعلِ كُلَّ مَا كُنَّا لَا نُرِيدُ أَن نَرَاه .

كارلوفاسي، 30 يونيو 1987

معرفةٌ مريـرة

فَلتَبقَ - مَعقُودَ الذِّرَاعَين - فِي هَذَا المَأوَى الظَّلِيل .
لاَ مَكَانَ لِلحَارِسِ اللَّيلِي الأَعرَج كَي يَجلِس .
المَقَاعِدُ بِيعَت مُنذُ أُسبُوعَين . فِي البَاحَةِ ، فِي الخَارِج ،
يَرُشُّونَ بِالخَرَاطِيمِ بَعضَ البَرَامِيلِ الكَبِيرَة .
مَرَاكِبُ كَبِيرَةٌ رَاسِيَةٌ فِي المِينَاء . وَمِنَ المَنزِلِ المُقَابِل ،
يَأتِي صَوتُ المِذيَاع . لَا أُرِيدُ الاستِمَاع .
أُلَمْلِمُ مِنَ المَائِدَة أَجنِحَةَ فَرَاشَاتِ اللَّيلِ المُحتَرِقَة ،
دُونَ أَن أدرِي
سِوَى أَنَّ ثِقَلَهَا إِنَّمَا يَكمُنُ فِي أَنَّهَا بِلَا ثِقَل .

كارلوفاسي ، 30 يونيو 1987

نِسيَان

المَنزِلُ ذُو السَّلاَلِمِ الخَشَبِيَّةِ وَأَشجَارِ البُرتُقَال
يُوَاجِهُ الجَبَلَ الأَزرَق الكَبِير . فِي الغُرَف ،
رَوَائِحُ القَرِيَةِ تَنسَابُ بِرِقَّة . عَلَى المِرآتَين
يَنعكِسُ تَغرِيدُ العَصَافِير . لَكِن فِي غُرفَةِ النَّوم ،
ثمةَ خُفُّ شَخصٍ عَجُوز عَلَى الأَرضِيَّة .
هَكَذَا ، بَعدَ حُلُولِ الظَّلاَمِ ، يَعُودُ المَوتَى إِلَى المَنزِل
لِيَستَعِيدُوا شَيئًا مَا تَرَكُوه وَرَاءَهُم -
وِشَاحًا ، سُترَةً ، قَمِيصًا ، زَوجَ جَوَارِب .
وَبِفِعلِ النِّسيَانِ أَو عَدَمِ الانتِبَاه -
يَأخُذُون أَيضًا شَيئًا مَا يَخُصُّنَا . فِي اليَومِ التَّالِي ،
يَمُرُّ سَاعِي البَرِيدِ أَمَامَ بَابِنَا بِلَا تَوَقُّف .

كارلوفاسي ، 30 يونيو 1987

تلميحَـات

فِي المَدخَلِ ذِي البَلاَطِ الأَبيَضِ وَالأَسوَد
وَضَعَ شَخصٌ مَا سَلَّةَ تُفَّاح . النَّافِذَة
تُطِلُّ عَلَى البَحر . خَمسَةُ صَيَّادِين يَحمِلُون
سَمَكَةَ قِرشٍ ضَخمَةً مَيِّتَة . يَقطُرُ الدَّم
عَلَى مَسَارِ الكَارُّو . حِينَ دَخَلتُ
غُرفَةَ الطَّعَامِ ، كَانَت حِزمَةُ جَزَر
مَرمِيَّةً عَلَى مَاكِينَةِ الخِيَاطَة . آهِ يَا أَعوَامَ طُفُولَتِي المَنسِيَّة ،
أَيَّتُهَا الأَعوَامُ الطَّائِشَة ، المبهُورَةُ بِضَوءِ الشَّمسِ
بَينَ مُعجِزَتَينِ مَجهُولَتَين ! وَالكِتَابُ الكَبِير
عَلَى المِقعَدِ القَشِّ فِي الحَدِيقَةِ كَانَ مُغلَقًا .

كارلوفاسي، 2 يوليو 1987

الدَّخِيـل

الحَدَائِقُ - مَا بَعدَ الظَّهِيرَةِ - فِي حَالَةِ بَهجَة :
مَنَاشِفُ بَحرٍ مُلَوَّنَةٌ مَنشُورَةٌ عَلَى شُجَيرَاتٍ مُزهِرَة ،
تُومِئُ ، تَحتَ هَمهَمَةِ زِيزِ الحَصَادِ ،
إِلَى أَجسَادٍ عَارِيَةٍ شَابَّة ، لَوَّحَتهَا الشَّمس
تَقَشَّرَت بِالمِلحِ الوَامِض . لَكِنَّكَ عَلَى نَحوٍ مَا
تُحِسُّ بِأَنَّكَ دَخِيل
عَلَى هَذِهِ المِهرَجَانَاتِ العَامَّة . بِذَلِكَ تَجلِس
وَحِيدًا ، فِي انتِظَارِ اللَّيلِ ، عَلَى أَمَل
أَن تَستَأنِفَ النُّجُومُ ، بِإِشَارَاتٍ خَفِيَّة ،
طُقُوسَك الحَمِيمَة ، عَلَى بُعدِ سَنَوَاتٍ ضَوئِيَّة .

كارلوفاسي ، 2 يوليو 1987

كلمَـاتٌ خِتاميَّـة

تَقضُمُ الفَتَاةُ التَّعِيسَةُ يَاقَتَهَا .
مُنذُ وَقتٍ طَوِيل . مَاتَت أُمَّهَاتُنَا .
تُقَوقِئ دَجَاجَةٌ فِي انتِصَارٍ وَسطَ الأَنقَاض .
لاَ إِجَابَةَ لَدَينَا . فِيمَا بَعد ،
لَم نَعُد نَطرَحُ أَسئِلَة . كَانَ اللَّيلُ يَحل ،
وَالرِّيحُ تَهُب . تَدَحرَجَت قُبَّعَةٌ مِن قَش
عَلَى مَقَاعِدِ الاستَادِ الخَاوِية .
فِي الأَسفَل ، فِي النَّهر ،
تَنسَابُ ثَعَابِينُ المَاءِ وَالسَّلاَحِفُ بِرَشَاقَة .
وَرُبَّمَا يَصلُحُ ذَلِك كَخِتَام
لِحِكَايَةٍ بَعِيدَةٍ عَنَّا الآن ، وَغَرِيبَة .

كارلوفاسي، 6 يوليو 1987

ربَّمـــا

أُمسِيَةٌ هَادِئة . فِي النَّافِذَة ، البَجَعَةُ السَّوداء سَاكِنَة .
عَينَاهَا تُومِضَان . تَوَقَّفَت سَاعَةُ الحَائِط . أَصَابِعُ يَدَيكَ وَرِجلَيك :
عَشرَةٌ زَائِد عَشرَة . هَكذَا عَلَى الأَقَل يُمكِنُكَ العَد .
لَكِنَّ أَلوَانَ السَّتَائِر بَهتَت . يَتَحَوَّلُ الأَحمَرُ إِلَى رَمَادِي .
يَتَلَاشَى الأَصدِقَاء . بَائِعُ اللَّبَنِ الشَّاب تَم تَجنِيدُه .
وَمَارِيَّا طُلِّقَت .
وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، تَم تَجمِيعُ صُورِ المَوتَى فِي الطَّابِقِ السُّفلِي
مَعَ الصَّرَاصِيرِ وَالفِئرَان . وَمَعَ ذَلِك ،
فَإِذَا مَا حَلَّت المَرأَةُ ضَفَائِرَهَا أَمَامَ المِرآة ،
فَلرُبَّمَا يَأتِي مِنَ النَّاحِيَةِ الأُخرَى خَيطُ مُوسِيقَى .

كارلوفاسي، 8 يوليو 1987

المجنـون

كَم مِن أَكَاذِيبَ يَختِرُعُهَا المَرء
لِيحتَفِظَ لِنَفسِهِ بِرُكنٍ صَغِيرٍ عَلَى هَذِهِ الأَرض .
فِي اللَّيل ،
يَعُودُ رِجَالُ المُرُورِ إِلَى بيُوتِهِم ،
تُوصَدُ الدَّكَاكِين ، وَالنُّجُومُ تَزدَادُ جُرأَةً إِلَى الغَرب .
فِيمَا بَعد ، يَأتِي صَوتُ مَجنُونِ الحَي بِطَاقِيَّتِه الحَمرَاء
وَهوَ يُدَندِنُ - فِي الشَّارِعِ المُوحِل - أُغنِيَةً حَزِينَة
أُغنِيَةَ أَطفَالٍ مُثقَلَةً بِالكَثِيرِ الكَثِيرِ مِنَ التَّجَاعِيد .

كارلوفاسي ، 9 يوليو 1987

حادثـة

امرَأَةٌ غَرِيبَة ، مُتَبَاعِدَةٌ ، مُتَحَفِّظَة ،
كَأَنَّهَا بِالكَادِ تَتَشَبَّثُ بِتِرمُومِتر تَحتَ إِبطِهَا ،
مُدرِكَةً - رَغمَ ذَلِك - أَنَّهَا لَا تُعَانِي مِنَ الحُمَّى .
آنَئِذٍ دَخَلَت المَرأَةُ الأُخرَى الضَّخمَةُ ، قَادِمَةً مِنَ الشَّقَّةِ المُجَاوِرة ،
وَهِيَ تُمسِكُ بِحِزَامٍ مِن جِلد . أَرَته لِلزَّوج
كَأَنَّ لَه دَلاَلَةً خَاصَّةً لَه .
أَعَادَ الرَّجُل التِّرمُومِترَ إِلَى عُلبَتِه ،
أَخَذَ الحِزَام ، لَفَّه حَولَ خَصرِه . فِي الحَال ،
أَدرَكَ أَنَّه شَاعِر . ذَهَبَ إِلَى الصَّالَة
مُبتَسِمًا بِرَحَابَةِ صَدر إِلَى التَّمَاثِيلِ الخَمسَة .
أَحدُهَا كَان بِلاَ ذِرَاعٍ وَقَضِيب .

كارلوفاسي، 11 يوليو 1987

حصَـادُ هَزِيـل

صَبَاحٌ لَا مُبَالٍ ، ضِيَاءٌ شَافٍ ، وَأشجَارُ دلبٍ بِجُذُوعٍ عَرِيضَة .
البَحرُ يُومِضُ عَن بُعدٍ ، بِلَا اكتِرَاثٍ ، مُكتَفِيًا بِذَاتِه .
لَكِنَّ الآخَرِين - كَيفَ سَيَكتَفُون بِنَصِيبِهِم الهَزِيل ؟
مَن حَلُمُوا فِي المَاضِي بِمَوَاكِبَ كُبرَى ، وَبَيَارِقَ ، وَحُشُودٍ هَاتِفَة ؟
مَن يُحِسُّونَ الآنَ - بَعدَ سَنَوَاتٍ مِن الاستِعدَاد -
أَنَّهُم غَيرُ مُستَعِدِّين أَبَدًا ؟ يَنظُرُون إِلَى التَّلِّ المُقَابِلِ ، المُغَطَّى بِالصُّنُوبَر ،
يُلَمِلِمُون بِدِقَّةٍ بَالِغَةٍ أَحَاسِيسَ هَارِبَة -
لِيَحتَفِظُوا ، هُم أَيضًا ، بِبَعضِ الحَقِّ فِي هَذَا العَالَم .
تَرتَقِي فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ المُنحَدَرَ وَهِيَ تُمسِكُ سَلَّةَ تُوت .
لاَ أَكثَرَ مِن ذَلِك: التَّل ، الفَتَاةُ الصَّغِيرَة ، وَسَلَّةُ تُوت .

كارلوفاسي ، 11 يوليو 1987

فُتــور

فِي اللَّيل ، تُبحِرُ سُفُنٌ كَبِيرَةٌ ، مُضَاءَةٌ تَمَامًا ، مُخَلِّفَةً فِي البَعِيدِ ، فِي الأُفُق ،
حَدسًا بِالأَسَى . سَاكِنٌ الآنَ كُلُّ شَيء
فِي أَرْكَانِ الذَّاكِرَة : الفُندُقُ الرَّخِيص ،
السَّرِيرُ الحَدِيدِيُّ ، أَعقَابُ السَّجَائِرِ فِي درَجَاتِ السُّلَّم ،
وَشَمعَدَانٌ قَدِيمٌ فِي المِغسَلة .
وَحِينَ تَوَقَّفتَ أَمَامَ النَّافِذَةِ المُطِلَّةِ عَلَى الغَرب ،
كَانَت هُنَاكَ نُجُومٌ فِي السَّمَاءِ الصَّغِيرَةِ وَدَرَّاجَة
تَستَنِدُ إِلَى الجِدَارِ المُقَابِل . فِي اليَومِ التَّالِي ، فِي الفَجر ،
انهَمَرَ مَطَرٌ عَنِيف . وَأَنتَ ، أَمضَيتَ لَيلَةً بِلَا نَوم ،
عَلَى أَمَلِ أَن تَظهَرَ ديُوتِيمَا[*] فِي أَعمَاقِ المِرآة .

كارلوفاسي، 13 يوليو 1987

[*] العرافة التي تلعب دورًا محوريًا في "المأدبة" لأفلاطون. وليس معروفًا ما إذا كانت شخصية حقيقية أم مخترعة.

فَـرَار

رُبَّمَا كَانَ الوَصفُ بِحَاجَةٍ إِلَى بَعضِ الرَّوعَة .
لَكِن مَن ذَا الَّذِي كَانَت لَدَيهِ الرَّغبَة ؟
جَلَسُوا عَلَى الأَرض . خَلَعُوا قُمصَانَهُم . تَحَاشَوا النَّظَرَ إِلَى بَعضِهِم البَعض .
خَطَّ أَحَدُهُم دَائِرَةً عَلَى الأَرض . رَاحَ آخَرُ يَلعَبُ وَحِيدًا فِي أَصَابِعِه .
وَالثَّالِث
كَانَ يَرقُبُ الغُيُوم - كَيفَ كَانَت تَفِر .
أَمَّا أَنَا ، فَكُنتُ أَتَخَيَّلُ كُوبًا مَوضُوعًا عَلَى مِنضَدَةٍ خَاوِيَةٍ ، فِي العَرَاء .
كَانَ ذَلِكَ كَافِيًا . وَضَعتُ حَقِيبَتِي الخَاوِيَةَ تَحتَ رَأسِي كَوِسَادَة ،
وَوَسَطَ انعِكَاسَاتِ الكُوبِ نِمت .

كارلوفاسي ، 14 يوليو 1987

أمَـارَات

سَيَرحَلُ المُستَحِمُّون الجَمِيلُون ، وَاحِدًا بَعدَ الآخَر .
وَعَلَى البَحرِ ، لَن يَبقَى سِوَى الغُرُوبِ الشَّاسِعِ لِلخَرِيف ،
وَقَارِبٍ صَغِيرٍ حَزِين . وَنَحن ،
نُمَاطِلُ المَطَر ، وَالرِّيَاحَ الهَائِجَة ،
نُمَاطِلُ المَحتُوم (إِلَى مَتَى ؟) .
هَا هِيَ أَورَاقُ الشَّجَرِ الصَّفرَاءُ تَتَرَاكَمُ عَلَى دِكَكِ الحَدِيقَة .
فَرُبَّمَا تَتَذَكَّرُنَا كَنِيسَةُ الثَّالُوثِ المُقَدَّس ، المَهجُورَةُ فِي قِمَّةِ التَّل ؛
فِيمَا ، دَاخِلَ المَنزِلِ ، مُبَعثَرَةً عَلَى الأَرضِ ، صَنَادِلُ الصَّيف
وَالمِنشَفَةُ الكَبِيرَةُ الزَّرقَاءُ لِبِرسِيفُون الصَّغِيرَة[*] .

كارلوفاسي ، 16 يوليو 1987

[*] ابنة زيوس وربة الحصاد ديميتر، وملكة العالم السفلي، في الأساطير الإغريقية.

حَـل العُقـدة

مُتَتَبِّعِينَ مُحَاوَلَتَهُم الفَاشِلَةَ عَلَى القِمَّةِ ، التَقَينَا بِمُتَسَلِّقِي الجِبَل .
كَانُوا يَحمِلُون بَطَّانِيَّةً مُمَزَّقَةً وَقُبَّعَةً حَمرَاء .
أَغنَامٌ بَرِّيَّةٌ كَانَت تَتَقَافَزُ إِلَى أَشجَارِ الخَرُّوب .
فَقَدنَا ثِقَتَنَا فِي الأَحدَاثِ ، فِي الأَحلَام .
كَانَ ثَمَّةَ سُفُنٌ أَجنَبِيَّةٌ تُفرِغُ شَيئًا مَا ، تُحَمِّلُ شَيئًا مَا فِي حَاوِيَاتٍ مِن رَصَاص .
لَا أَحَدَ كَانَ يَدرِي بِمَا يَجرِي . وَالجَرَائِدُ وَجَّهَت بَصَرَهَا إِلَى مَكَانٍ آخَر .
آنَئِذٍ تَحَرَّكَ الثَّورُ الضَّخمُ بِبُطءٍ عَلَى السَّقفِ وَالتَهَمَ العَلَم .

كارلوفاسي، 16 يوليو 1987

شَفَافيةٌ بِلاَ جَـدوَى

وُعُودٌ غَامِضَةٌ - مَن أَطلَقَهَا ؟ وَمَتَى ؟
وَوُعُودٌ أُخرَى مِنَّا (لِمَن ؟) . اعتَدنَا عَلَيهَا .
رَأَينَا الجِبَالَ تَسِيرَ فِي الغَسَقِ كَالجِمَالِ المُثقَلَةِ بِالأَحمَال ،
رَأَينَا الظَّبيَ الصَّغِيرَ تَحتَ القَمَر ، وَزَهرَةَ الرَّبِيعِ وَسطَ العَدَم ،
صَدَأُ السُّفُنِ الرَّاسِيَةِ يُلَطِّخُ المِيَاهَ العَذرَاء . وَعَلَى سَفحِ التَّل ،
فِيمَا وَرَاءَ السَّروِ الدَّاكِنِ ، العَمَودِي ،
رِيشَةٌ مِن دُخَانٍ سَاكِنَةٌ ، تُحَاوِلُ أَن تَمنَحَنَا
وَتَمنَحَ العَالَمَ مَعنًى مَا لَا وُجُودَ لَه .
آهِ - كَيفَ لَم يَعُد يُغوِينَا هَذَا الجَمَالُ الصَّامِت !

كارلوفاسي ، 18 يوليو 1987

اهتـدَاء

جَاءُوا بِلاَ كَلِمَة ، زَبَائِنُ مَسَاءِ السَّبت .
كَانَ شَهرُ يُوليُو . جَلَسُوا فِي شُرفَةِ المَقهَى البَائِس ،
يَرقُبُون السُّنُونُو يَنقُرُ الأَيقُونَاتِ فِي الغُرُوبِ الذَّهَبِي ،
يَتَأَمَّلُونَ إِشَارَاتِ المُرُورِ الحَمرَاءَ وَمحَطَّاتِ الوَقُودِ عَلَى امتِدَادِ الشَّارِع ،
وَالضَّرِيحَ الصَّغِيرَ المَطلِيَّ بِالأَبيَضِ عِندَ مُفتَرَقِ لِيفِيتسوفَا - سبَرطة .
كُنَّا نَعرِفُ مَدَى صُعُوبَةِ تَحوِيلِ السَّلبِيِّ إِلَى إِيجَابِي .
ثُم أَتَى الغَرِيب . جَلَسَ وَحِيدًا عَلَى الشَّاطِئ
وَرَاحَ يَرمِي فِي المَاءِ - كَقَوَارِبَ صَغِيرَةٍ مِن وَرَق -
أَورَاقَ اليَانَصِيبِ التِي لَم تَعرِف المَكسَبَ قَط .

كارلوفاسي ، 18 يوليو 1987

أخبـارٌ أليمـة

عَلَى رِمَالِ المَسَاء
تَرتَسِمُ الظِّلَالُ الهَارِبَةُ لِتورَسَين .
أيُّ سُؤَالٍ يَستَيقِظُ فِي هَذِهِ الأغوَارِ المَنسِيَّة
حِينَ تَهوِي رِيشَةٌ أمَامَ البَابِ المُوصَدِ مُنذُ أعوَام ،
وَمِنَ الدَّاخِلِ نَسمَعُ الخُطَى البَطِيئَةَ لِلغَائِبِين ،
مَن نَظَرُوا ذَاتَ يَومٍ فِي المَرَايَا الكَبِيرَة
وَصَدَّقُوا آنَئِذٍ صُورَتَهُم ؟
فِي الخَارِج ، فِي الشَّارِع ، كَانَ صَوتُ بَائِعِ الجَرَائِدِ الأجَش
يُعلِنُ الأخبَارَ الأليمَة .
حُفرَةٌ . حُفرَتَان . لاَ أحَد .

كارلوفاسي ، 20 يوليو 1987

حَج

سَارُوا أَيَّامًا وَأَيَّامًا . وَاثِقُون مُسبَقًا فِي المُعجِزَة .
سَتَتَجَلَّى ، فِي أَيَّةِ لَحظَةٍ سَتَتَجَلَّى - فِي مُنعَطَفٍ قَادِم ،
مِن وَرَاءِ هَذَا التَّل ، أَو التَّالِي .
نَعَم ، سَيَرَونَهَا بِأُمِّ عيُونِهِم ، ثُم يُعلِنُونَهَا ، يُشهِرُونَهَا بِأَلسِنَتِهِم .
بَل رُبَّمَا احتَفَظُوا فِي أَيدِيهِم بَطَرفٍ مِن رِدَائِهَا الذَّهَبِي .
فِي بِدَايَةِ الشَّهرِ الثَّانِي ، غَلَبَهُم التَّعَب .
تَهَالَكَ العَشرَةُ إِلَى الأَرض ، وَفِي الحَالِ سَقَطُوا فِي النَّوم .
فَوقَ نَومِهِم ، انبَثَقَ القَمَرُ ، لاَ مُبَالِيًا ، مُستَغرِقًا فِي حُزنِه .
ثُم تَدَحرَجَت الأَحجَارُ الضَّخمَةُ بِلَا صَوتٍ فِي الفَرَاغِ العَظِيم .
استَيقَظُوا . حَولَهُم ، ذَلِكَ الإِشرَاقُ المُبهِرُ ، المُطلَق .
وَلاَ قَمَر .

كارلوفاسي، 21 يوليو 1987

الوطـن

تَرَكُوا المَوتَى فِي الأَسفَل ، فِي السَّهل ،
مَعَ أَحصِنَتِهِم وَالكَلبِ الأَسوَد .
أَخفَوا الأَعلَامَ فِي الكُهُوفِ القَدِيمَة .
مَا أَسمَينَاه "وَطَن" كَانَ زِيزَ الحَصَادِ ، وَأَشجَارَ الزَّيتُونِ ، وَالغَارَ ، وَالآبَار ،
وَبَقَرَتَين سَودَاوَين تَحلُمَان تَحتَ شَجَرِ الحُور ،
وَقِطعَةَ رُخَامٍ وَسطَ الحَقلِ الأَصفَر
أَو طَائِرًا أَبيَضَ يَقِفُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدَةٍ ، مُتَطَلِّعًا إِلَى البَعِيد
فِيمَا وَرَاءَ الذَّاكِرَةِ وَالنِّسيَان .
هَكَذَا ، بِقَبضَةٍ مِن طِينٍ ، وَحَبَّتَي ذُرَةٍ ، وَحِفنَةِ قرنفُل ،
أَعَدَّت أُمَّهَاتُهُم العَجَائِزُ لَهَم التَّعوِيذَة
وَرَاقَبنَهُم - بِلاَ كَلِمَةٍ - وَهُم يَرحَلُون .
وَبَعدَ عِدَّةِ خُطوَات ،
ثَغَت النَّعجَةُ السَّودَاءُ الحَامِلُ ، خِلَالَ اللَّيل .

كارلوفاسي، 21 يوليو 1987

ساعة الخفَـاء

تَسلَّق طِفلٌ الشَّجرَةَ الكَبِيرَة .
دَخَل طَائِرٌ مِن النَّافِذَة .
لَم يَمُر الأُتُوبِيسُ فِي المَوعِد .
وَضَعَ الرِّجَالُ عَلَى عُيُونِهِم نَظَّارَاتِ الشَّمس .
تَعَرَّى الأَولَادُ فِي قَارِعَةِ الطَّرِيق .
بَعدَهَا ، جَاءَ المَوكِبُ الخَاطِفُ لِلدَّرَّاجَاتِ البُخَارِيَّةِ الصَّفرَاء ،
وَهَؤُلَاء الَّذِينَ أَسمَوْا الطُّيُورَ ، وَالجِبَالَ ، وَالحَيَوانَاتِ البَرِّيَّة ،
ظَلُّوا بِلَا أَسمَاء (وَأَنا مِن بَينِهِم)
فِي مَشهَدٍ طَبِيعِي مِن رُخَامٍ أَذَابَته الشَّمسُ السَّاطِعَة .

كارلوفاسي، 22 يوليو 1987

تذييـل

بِفِعلِ التِّكرَارِ والتِّكرَارِ ، تَفقِدُ الأَشيَاءُ المعنَى وَاللَّون -
الأَحجَارُ ، المَاءُ ، النَّوَافِذُ ، وَذَلِكَ الرَّجُلُ ذُو الحَقِيبَةِ القَدِيمَة
الذِي يَنتَظِرُ أَمَامَ الجَمَارِكِ ، فِيمَا السَّاعَةُ الكَبِيرَة
تَدُقُّ الثَّامِنَة ، وَالقَارِبُ خَارِج دَائِرَةِ البَصَر
رَغمَ صَفِيرِهِ المَسمُوع .
عَلَى رَصِيفِ المِينَاءِ ، لَم يَبقَ سِوَى الرَّافِعَةِ الضَّخمَة كَالصَّلِيبِ وَسطَ
السِّلَالِ الفَارِغَة .
خَرَجَت النُّجُومُ أَعلَى السُّفُنِ الكَبِيرَةِ النَّاعِسَة
وَهُنَاكَ ، فِي المَيدَانِ المَهجُورِ ، عِندَ أَقدَامِ النُّصُبِ التِّذكَارِيَّةِ لِلأَبطَال ،
أَنزَلَ أَربعَةُ بَحَّارَةٍ جُثمَانَ الغَوَّاصِ الغَرِيق .

كارلوفاسي ، 22 يوليو 1987

ليس تمامًا

عَبْرَ البَابِ المَفتُوح ، تَرَاهُمَا :
امرَأتَان - أَهُمَا أُمٌّ وَابنتُهَا ؟ - فِي وِشَاحَينِ سَودَاوَين ،
تَجلِسَان جَنبًا إِلَى جَنبٍ عَلَى أَرِيكَةٍ قَدِيمَة .
لَا تَتَحَرَّكَان أَو تَتَحَدَّثَان .
أَمَامَهُمَا رَغِيفُ خُبزٍ عَلَى المَائِدَة .
قِطَّةٌ تَنَامُ فِي الكُرسِي . فِي الخَارِج ، يُومِضُ الخَلِيج ،
يَصرُخُ زِيزُ الحَصَاد ، أَسرَابُ السُّنُونُو تَخُطُّ شَيئًا مَا فِي الهَوَاء -
شَيءٌ مَا انتَهَى دُون أَن يَكتَمِل .
لَكِن قَبلَ أَن أَستَطِيعَ قَولَ مَا أَعنِي بِالتَّحدِيد ،
تَنهَضُ المرأَةُ العَجُوزُ وَتُغلِقُ البَاب .

كارلوفاسي، 25 يوليو 1987

صَيفٌ آخَـر

هَذِهِ النَّهَارَاتُ الجَمِيلَةُ المُشمِسَةُ تُلغِي ذَرَائِعَ الحُزن .
المَنَازِلُ المتَنَاثِرَةُ عَلَى التَّلِّ الأَخضَرِ تَتَألَّقُ بِالطَّلَاءِ الأَبيض .
وَانظُر - حِصَانٌ أَحمَرُ يَرعَى فِي السَّهل ! وَمِن الأَصيَافِ المَاضِيَة
تَنبَثِقُ ذِكرَى مَا مَنسِيَّة . حَقًّا ،
كَانَت الفَتَاةُ فِي حَقلِ الذُّرَةِ وَكَانَ ذَلِكَ الصَّبِي
وَسطَ الغُبَارِ الذَّهَبِيِّ لِلأَصِيل ،
يُلَوِّحَان بِمِنشَفَةِ البَحرِ إِلَى قَارِبٍ عَابِر .
حَقًّا ، كُنتَ أَنتَ أَيضًا بِإِيمَانِكَ بِالمُوسِيقَى ، وَمَا كُنتَ تَملِكُ شَيئًا
سِوَى مَا كُنتَ تُعطِي وَمَا قَد سَتُعطِي .

كارلوفاسي، 25 يوليو 1987

نَـاسٌ وحقَـائب

لَا تترُك المِنشَفَةَ المَبلُولَةَ عَلَى المِنضَدَة .
فَيَنبَغِي عَدَمُ التَّشَتُّتِ بَعدَ ذَلِك .
فَبَعدَ نَحوِ شَهر ، سَيَنتَهِي صَيفٌ آخَر .
كَم هُو مُحزِن
أن نُنَحِّي جَانِبًا المَايُوهَات ، وَنَظَّارَاتِ الشَّمس ،
وَالقُمصَانَ بِنِصفِ الكُمِّ ، وَالصَّنَادِلَ ، وَأحذِيَةَ القُمَاشِ البَيضَاء ،
وَأَلوَانَ الغُرُوبِ عَلَى البَحرِ السَّاطِع .
قَرِيبًا سَتُغلِقُ أَبوَابَهَا دُورُ سِينمَا الهَوَاءِ الطَّلق ،
وَيَتِمُّ تَجمِيعُ مَقَاعِدِهَا فِي الطَّابِقِ التَّحتِي ، وَتَتَنَاقَصُ القَوَارِبُ المُبحِرَة .
وَبَعدَ عَودَتِهِن بِسَلَامٍ إِلَى بُلدَانِهِن ، سَتتَصَفَّحُ السَّائِحَاتُ الجَمِيلَات
الصُّوَرَ المُلَوَّنَةَ لِلسَّبَّاحِين ، وَالمُجَذِّفِين ، وَصَيَّادِي السَّمَك - لَا نَحن .
وَهَا هِيَ الحَقَائِبُ فِي المَخزَنِ الآن تَنتَظِرُ أن تَكتَشِف
مَوعِدَ الرَّحِيل ، وَإِلَى أَينَ سَنَمضِي هَذِهِ المَرَّة ، وَإِلَى أَيَّةِ مُدَّة .
وَتَعرِفُ أَنَّ بِهَذِهِ الحَقَائِبِ الخَاوِيَةِ المُترَهِّلَةِ

قِطعَةَ حَبْلٍ وَبَعضَ الشَّرَائِطِ البِلاَستِيك .
وَلَكِن مَا مِن عَلَم .

كارلوفاسي، 26 يوليو 1987

الكَلمَـة الأخِيـرة

المُهلَةُ تَنفَد . يَهبِطُ مَبعُوثُون مِن الجِبَال .
يَتَوَقَّفُون عَلَى ضِفَّةِ النَّهر ، يَخلَعُون ثِيَابَهُم ، وَيَغتَسِلُون .
وَمَعَ أَوَّلِ شَارَةٍ عَلَى حُلُولِ اللَّيلِ ، يَعُودُون دُون أَن يَترُكُوا رِسَالَة .
يُقعِي الآخَرُون تَحتَ القَمَر . لَا يَستَطِيعُون تَحدِيدَ الطَّرِيقِ الذِي يَسلُكُون .
حُقُولُهُم مَهجُورَةٌ ، مَا جَمَعَ أَحَدٌ الذُّرَة .
آنَئِذٍ ، وَصَلَ "فَانجِليس" ، وَضَعَ حِزمَتَه عَلَى الأَرض ، وَقَالَ بِصَوتٍ لَاهِث :
"أَيُّهَا العَجَائِز ، مَا الذِي تَنتَظِرُونَه بَعدَ ذَلِك ؟ لَا طَرِيق آخَر" .

كارلوفاسي ، 27 يوليو 1987

عمُود

أَحجَارٌ ، وَأَشوَاكٌ ، وَزِيزُ حَصَاد . جَفَافٌ عَظِيم .
الآبَارُ وَالأَنهَارُ جَافَّة . الطُّيُورُ وَلَّت إِلَى سَمَاوَاتٍ أُخرَى .
أَشجَارُ الزَّيتُونِ تَتشَبَّثُ بِلَمسَةِ اخضِرَار ، وَالبَحرُ يُومِضُ بِالزُّرقَة .
أَحيَانًا ، يَبِينُ قَاربٌ فِي الأُفُق . لَا يَرسُو هُنَا .
يَمُوتُ الرُّضَّعُ وَالعَجَائِز . تَسفَعُ المَلَاءَاتُ الجِلد .
وَحِيدًا ، يَنتَصِبُ عَمُودٌ ، مُضِيئًا ، لَيلَ نَهَار .
قَالَ "ثَانَاسِيس" : "سَأَتَسَلَّقه ، وَأُصِيحُ فِي اللهِ أَن يَأتِي بِالمَطَر" .
تَسَلَّقَه ، وَصَاح . لَم تُمطِر .
هَوَى "ثَانَاسِيس" عَن العَمُودِ . فِي اليَومِ التَّالِي ، دُفِن .

كارلوفاسي ، 27 يوليو 1987

مَا لاَ وزنَ لَـه

مَن تَبَقَّوا كَانُوا يَنتَظِرُون دَورَهُم .
رَحَلَ عَنَّا مِيخَالِيس ، وَستَرَاتِيس ، وَمِيلِيتِيس .
رَحَلَ الجَمِيع - شَأن سُوتِيرِيس - فِي الأَربَعِين .
العَرَبَاتُ المُحَمَّلَةُ بِالبَطِّيخِ تَهبِطُ مِن القُرَى .
البَاعَةُ الجَائِلُون فِي الشَّارِع بِالمِيزَان : يَزِنُون وَيَبِيعُون .
"حَصَادٌ هَزِيل" ، يَقُولُون . وَتَرتَفِعُ الأَسعَار .
وَ"ستَاثيس" العَجُوزُ يَجلِسُ فِي شُرفَتِه ، صَامِتًا ـ ، مُستَغرِقًا ، يَنظُرُ إِلَى البَحرِ البَعِيد .
يَبتَسِمُ وَحِيدًا .
فَمَا جَدوَى الوَزنُ وَالمُقَارَنَة ؟
كَأَنَّكَ يُمكِنُ أَن تَعرِفَ وَزنَ الأَشيَاء .
"بَطِّيخٌ طَازِج" ، يَصِيحُون ، "جَاهِزٌ لِلسِّكِّين !"
وَتَنعَسُ البِغَالُ فِي الشَّمسِ ، وَتَهُزُّ ذُيُولَهَا .

كارلوفاسي ، 28 يوليو 1987

طبُوغرَافيَا

حَمِيرٌ بِحَوَافِرَ مُلَطَّخَةٍ بِالطِّينِ مِنَ القَنَوَاتِ المُوحِلَة ،
تَأتِي إِلَى المَدِينَةِ ، مُحَمَّلَةً بِسِلَالٍ مِنَ الطَّمَاطِم ، وَالبَامِيَةِ ، وَالبَاذنجَان .
تَأتِي أَيضًا شَاحِنَاتٌ مُتَهَالِكَةٌ ، بِمِيكرفُونَاتٍ مُدَوِّيَة ،
تَبِيعُ البَطِّيخَ الضَّخمَ فِي الشَّمسِ الحَارِقَة .
ثُم يَأتِي الصَّيَّادُون يَجُولُون فِي الشَّوَارِعِ بِأَسمَاكِ البِيكَارِيل وَالسَّردِين ؛
تهرَعُ القِطَطُ عَبرَ الأَعشَابِ ، وَالشَّبَابِيكُ تَنفَتِح .
آه ، لَو تَهُبُّ فَحَسب نَسمَةٌ صَغِيرَة !
حِكَايَاتٌ غَرِيبَةٌ وَأَسرَارٌ مَفضُوحَةٌ تَدُورُ فِي المِينَاء ؛
فِي الأَفنِيَةِ ، مَشَابِكُ الغَسِيلِ تُمسِكُ بِالمَنَاشِفِ ، وَالقُمصَانِ ، وَالمَلاَبِسِ الدَّاخِلِيَّة ؛
وَيُوَاصِلُ الثَّرثَرَةَ زِيزُ الحَصَّادِ وَالعَصَافِير .
فِي الرِّيفِ ، بِالطَّبعِ ، هُنَاكَ خُزَعبَلَاتٌ أَقَل ، هَذِهِ الأَيَّام .
وَفِي اللَّيلِ ، مَعَ ذَلِكَ ، كَثِيرًا مَا أَلمَحُ العَجَائِزَ يَنثُرُونَ حَبَّاتِ المِلحِ وَرَاءَ الأَبوَاب ،

وَأَرَاكَ ، أَنتَ أَيضًا ، تَحفُرُ شَيئًا مَا عَلَى الحَائِط
لِطَردِ الشَّرِّ مِن الجَانِبِ الآخَرِ مِنَ الحَائِط .

كارلوفاسي ، 29 يوليو 1987

حُـلمٌ غَريب

لاَ أَدرِي لِمَاذَا - قَال - لَكِنِّي أَظَلُّ أَحلُمُ هَذَا الحُلم :
سُوقُ سَمَكٍ كَبِير ، وَقَذِر ، تُغَطِّيه أَمعَاءُ الأَسمَاكِ وَالموَازِينُ الجَافَّة .
عَجَائِزُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء يَجلِسُون عَلَى الدَّكَك ، وَفَتَيَاتٌ حَولاَوَات يُمسِكن
بِمَسَابِحَ طَوِيلَةٍ تَتَجَرجَرُ بِلاَ صَوتٍ عَلَى القِرمِيدِ الدَّاكِن
فِي الضَّوءِ الخَافِتِ الذِي يَتَسَرَّبُ مِن أَلوَاجِ الزُّجَاجِ الدَّاكِنِ فِي الأَعلَى .
لَكِنَّ الأَغرَبَ أَنَّهُم لَا يَبِيعُونَ الأَسمَاكَ ، بَل بَبَّغَاوَاتٍ
فِي أَقفَاص - بَبَّغَاوَاتٍ عَجِيبَةِ المَنظَر ، مِن كُلِّ الأَلوَان .
أَحَدُهَا جَثَمَ عَلَى كَتِفِي ، وَضَعَ مِنقَارَه فِي أُذُنِي وَقَالَ : "اللَّعنَة" .

كارلوفاسي ، 29 يوليو 1987

الثانية بعد الظُّهـر

فِي الحَقلِ الأَصفَرِ، قُبَّعَةٌ مِن قَشٍّ وَبَقَرَةٌ حَمرَاء .
حصَانٌ أَبيَضُ يَسُوطُ بِذَيلِهِ ذُبَابَاتٍ خَضرَاء .
تَذَكَّرتُ حَقلَ ذُرَةِ الشَّاعِرِ المَيِّت ، وَعَبَّادَ الشَّمس .
نَظَرتُ إِلَى سَاعَتِي : الثَّانِيَةُ بَعدَ الظُّهر .
بَعضُ الغَوَّاصِينَ العَرَايَا كَانُوا عَائِدِينَ مِنَ المِيَاه ، بِأَدَوَاتِهِم التِي لاَ تَزَالُ مَبلُولَة .
أَحَدُهُم ، وَكَانَ يَحمِلُ زَعَانِفَه الزَّرقَاءَ وَأُخطَبُوطًا كَبِيرًا ،
نَظَرَ إِلَيَّ مُتَرَقِّبًا ، كَأَنَّه يَعرِفُنِي . "أَهلًا" ، قَال .
"أَهلًا" ، رَدَدتُ ، وَأَحسَستُ أَنِّي كَانَ يَنبَغِي أَن أَقُولَ مَا هُو أَكثَر .
آنَئِذٍ ، هَبَّت نَسمَةٌ قَادِمَةٌ مِنَ الجَبَل ، فَارتَعَشَت
شَجَرَةُ الزَّيتُونِ ، وَصَمَت زِيزُ الحَصَاد .
أَمَّا أَنَا ، فَمَضَيتُ - فِي سَكِينَةٍ - لأُرَبِّتَ عَلَى عُرفِ الحصَانِ الأَبيَض .

كارلوفاسي ، 29 يوليو 1987

بَسَـاطةٌ مَـا

أَيَّامٌ هَادِئَةٌ وَمَأهُولَةٌ بِالأَشجَار .
تَلِيقُ بِك ، تِلكَ النَّسمَةُ الصَّغِيرَةُ حَولَ شَفَتَيك .
تَلِيقُ بِك ، تِلكَ الوَردَةُ التِي تَنظُرُ إِلَيهَا .
هَكَذَا ، لَا أُكَاذِيبَ سِوَى البَحرِ ، وَالغُرُوب ،
وَذَلِكَ القَارِبِ الذِي يَندَفِعُ فِي تَوَرُّدِ المَسَاء
مُتَّجِهًا وَحِيدًا إِلَى شَاطِئِه
كَفَتَاةٍ مَعَ قِيثَارٍ حَزِين .
فَلأُمسِك بِالمِجذَافَين
كَأَنِّي أُمسِكُ بِشُعَاعَينِ مَنسِيَّينِ مِن أُرجُوَان .

ليلَــة

مِيَاهُ القَمَرِ تَسِيلُ عَلَى السُّقُوف . وَعَلَى المِنضَدَة ،
أَورَاقُ الكُوتشِينَة الموزَّعَةُ لِلمُتَوَفَّى . عَلَى الجُدرَان ،
قُشُورُ أَسمَاكٍ وَوَمَضَاتٌ صَغِيرَة .
يَتَنَاقَشُ الجَمِيع ، الخَمسَةُ الذِينَ كَانُوا يَعُودُون دَائِمًا إِلَى أَيَّامِ المَاضِي الحَرِجَة .
أَمَّا هُو ، فَكَانَ يَعتَصِمُ بِصَمتٍ لَبِق (لَابُدَّ أَنَّه كَانَ يُخفِي تَحتَ هَذَا الصَّمت بَعضَ اليَأسِ المَكتُومِ ، لَابُدَّ أَنَّه كَانَ يَتَلَقَّى خِلاَلَه ،
هَادِئًا ، ذَلِكَ المُستَعصِي العَظِيم). كَانَ وَجهُه مَغمُورًا بِضِيَاءٍ مُوجٍ . وَفَجأَةً ،
فِي اللحظَةِ نَفسِهَا حِينَ تَذَكَّرنَا جَمِيعًا الحَربَ بِقَلَق ،
أَحسَسنَا بِالمُوسِيقَى تَضَعُ يَدَهَا عَلَى أَكتَافِنَا .

غيـابَات

امرَأَةٌ جَمِيلَةٌ ، صَمُوت ، لاَ مُبَالِيَة ،
تَكتَسِي بِأُرجُوَانِ المسَاء
بَينَ طَاوُوسَين يَتَبَختَرَان .
فِي الخَارِج ، أَمَامَ البَابِ ، الحِذَاءُ الضَّخمُ المترِب
لِحَارِسِ الغَابَة . وَأَعلَى الصَّوَارِي ،
قَمَرٌ يُتَمتِمُ لِلرَّاصِدِين .
الآنَ ، عَلَيكَ أَن تُوَجِّهَ الكَلَامَ إِلَى مَوضِعِه ،
لَكِنَّ الكَلِمَات تَفتَقِرُ إِلَى قَصَائِدَ سَبَقَ أَن قِيلَت .

غير مكتوب

أُمسِيَةٌ يَائِسَةٌ تُلَوِّنُ بِالأَحمَرِ الوُجُوهَ المُنهَكَة .
كَلبٌ كَبِيرٌ يَتَثَاءَبُ أَمَامَ البَاب .
حَلُمنَا بِمَدِينَةٍ مَلأَى بِالتَّمَاثِيلِ وَالجُسُور .
مَا مِن أَحَدٍ كَانَ يَذكُرُ مَا جَرَى خِلَالَ ذَلِك . كَانَت النِّسَاء
يَنظُرنَ إِلَى الغُرُوبِ بِاكتِفَاء . وَإِذَا بِالقَنَادِيلِ الخَضرَاء
تُضِيءُ فَجأَةً بِالصَّيدَلِيَّة
وَيَظهَرُ رَاكِبَا الدَّرَّاجَةِ الغَامِضَان
بِشَعرِهِمَا المُغَطَّى بِالنِّشَارَة . آنَئِذٍ
سُمِعَت قَفزَةُ السَّمَكَةِ فِي النَّهرِ الأَسوَد
مُؤَكِّدَةً غَيَابَنَا مِن جَدِيد .

إخفَـاق

جَرَائِدُ قَدِيمَةٌ مَرمِيَّةٌ فِي الفِنَاء. دَائِمًا الكَلَامُ المُتَكَرِّرُ نَفسُه :
اختِلاَسَات ، جَرَائِم ، حُرُوب . مَاذَا نَقرَأ ؟
يَحِلُّ مَسَاءٌ صَدِئ . أَضوَاءٌ صَفرَاء .
وَهُم ، مَن كَانُوا يُؤمِنُون فِي المَاضِي بِالأَبَدِي ، شَاخُوا .
مِنَ الغُرفَةِ المُجَاوِرَةِ يَفِرُّ بُخَارُ الصَّمت .
وَالحَلَزُونُ يَتَسَلَّقُ الحَائِط . وَالصَّرَاصِيرُ تَتَرَنَّح
فِي عُلَبِ البَسكَوِيتِ الحَدِيدِيَّة .
يُسمَعُ طَنِينُ الفَرَاغ . وَيَدٌ كَبِيرَةٌ مُشَوَّهَة
تُغلِقُ الفَمَ النَّبِيلَ الحَزِينَ لَـه
هُوَ الذِي كَابَدَ مَرَّةً أُخرَى فِي نُطق
كَلِمَة زَهرَة .

بِلا توَافُـق

شَاحِنَاتٌ ضَخمَةٌ مُحَمَّلَةٌ عَن آخِرِهَا ، مُغَطَّاة ،
تَشُقُّ الطَّرِيقَ طوَالَ اللَّيل . ضَوضَاءُ مَاءٍ عَكِر
تُسمَعُ فِي البَالُوعَات المُعتِمَةِ وَالغَامِضَة
تَحتَ نُعَاسِ المسَاجِين . مَا أَنَّى أَحَد .
هَكَذَا انتَظَرنَا عَبَثًا عَلَى مَدَى أَعوَام . الطَّرِيقُ مُعَلَّم
بِمحَطَّاتِ خِدمَةِ السَّيَّارَاتِ وأَشجَارٍ عَلِيلَة . فِي فِنَاءِ السِّجن ،
آنِيَةُ زَبَادِي فَارِغَةٌ وَرِيشُ طُيُور . النَّجمَةُ الأُولَى تَهَلَّلَت :
"هَيَّا ، يَا عَزِيزِي يُورجُوس العَجُوز" . ثُم انطَفأت . وَبِترُوس ،
البَذِيءُ دَائِمًا ، اختَتَم : "فَلتَتَعَلَّم إِذَن
بِدِرَاسَةِ السُّنُونُواتِ الصَّغِيرَةِ خِلَالَ دَرسِ المُوسِيقَى" .

في المستشفى

مَسَاءٌ هَادِئ . مدخَنَة ، السُّقُوفُ ، خَطُّ التَّل ،
غَيمَةٌ صَغِيرَة . أيَّ حُبٍّ تَحمِلُ
وَأنتَ تَرقُبُ السَّمَاءَ مِنَ النَّافِذَةِ المفتُوحَة
كَأنَّك تَأخُذُ أجَازَةً مِنه . هُو الذِي يَرقُبُك . فِي الوَاقِع ،
مَاذَا تَلَقَّيت ؟ مَاذَا أعطَيت ؟ فَاتَ أوَانُ إعدَادِ كَشفِ حِسَاب .
كَلِمَتُكَ الأُولَى وَالأَخِيرَة ،
هِي التِي نَطَقَ بِهَا الحُبُّ وَالثَّورَة .
وَكُلُّ صَمتِك ، نَطَقَ بِه الشِّعر . فَلتَذبُل الوُرُود
سَرِيعًا ! ذَلِكَ سَبَبُ أنَّكَ سَتَمضِي فِي نُزهَتِك
بِصُحبَةِ الدُّبِّ الصَّغِيرِ الذِي سَيَظَلُّ وَاقِفًا
بِوَردَةٍ كَبِيرَةٍ مِن بِلاستِيك فِي مَخَالِبِه الأَمَامِيَّة .

المُستعصِي

الكَثِيرُ كَانَ يَتِمُّ إرجَاعُه فِي المَاضِي إلَى أَبَاطِيلِ النُّجُوم .
العَجَائِزُ كُن يَأتِين . يَضَعنَ فَوَانِيسَهُن عَلَى الأَرض .
يَنتَظِرنَ حَتَّى الفَجر . ثُم يَرحَلن مِن جَدِيد .
كُن يَقتَصِدنَ فِي الزَّيتِ لإِضَاءَةِ شُمُوعِ الرَّاحِلِين .
نَحنُ الآخَرِين ، مُنعَزِلِينَ فِي بُيُوتِنَا ، كُنَّا نُشَاهِدُ مِن خَلفِ الزُّجَاج
نِيرَانَ الرُّعَاةِ عَلَى التِّلاَل . وَطوَالَ اللَّيلِ ، كَانَت مَشَاغِلُ النَّسِيج
تَعمَلُ بِلاَ تَوَقُّف . ضَجِيجُ العَمَل
كَانَ يَقطَعُ رُؤَانَا لِسَلاَلِمَ حَجَرِيَّة
مُغَطَّاةٍ بِسَجَاجِيدَ حَمرَاء ، كَانَ يَصعَدُهَا مُضرِبُون حُفَاة ،
أَربَعَةً أَربَعَةً ، حَامِلِينَ مَشَاعِلَ وَأَعلاَمًا . مَعَ ذَلِك ،
ظَلَّت جَمِيعُ الأَبوَابِ مُستَعصِيَةً عَلَى الدُّخُول .

شُـرُود

كَانَ يَتَكَلَّم . يَتَكَلَّمُ كَثِيرًا . لَم يَترُك شَيئًا
إلاَّ وَوَازَنَه بِصَوتِه . سَهَرَاتٌ وَسَهَرَاتٌ
مِنَ الإنصَاتِ إلَى القِطَارَاتِ ، وَالسُّفُنِ ، وَالنُّجُوم ،
مِن تَقيِيمِ نَسِيجٍ وَلَونِ صَوتٍ مَا ،
مِن مَنحِ أسمَاء لِلظِّلاَلِ ، وَالغُيُوم . الآن ،
يَصمِتُ هَذَا الثَّرثَارُ المُتَحَمِّس ،
رُبَّمَا لأنَّه تَبَيَّنَ أن الفَوَانِيسَ مُنطَفِئَةٌ ، هُنَاك ، فِي العُمقِ تَمَامًا ، وَلأنَّه يَرفُض
أن يَلفُظَ الكَلِمَةَ الفَرِيدَةَ ، الكَلِمَةَ النِّهَائِيَّة: أَسـوَد .

لاَ وَقت

لَا وَقتَ لَدَيَّ ، يَقُول . لَا وَقت . أَشجَارٌ ، مَنَازِل ،
جِبَالٌ ، طُيُورٌ ، أنهَارٌ ، أَنوَارٌ ، فَرَاشَةٌ شَقرَاء ،
نَافِذَةٌ بِستَارَةٍ صَغِيرَةٍ بَيضَاء ،
حِصَانٌ مُتعَبٌ عَلَى الجِسرِ الخَشَبِي ،
وَلَدٌ بأهدَابٍ مُنتَشِيَة :
يُومِئُون لِي جَمِيعًا بُرهَةً وَيَتَلَاشُون . يَترُكُونَنِي
وَحِيدًا تَمَامًا ، أَعمَى ، أَصَمَّ وَأَبكَمَ عَلى ذُروَةِ العَالَم .

ليسَ سِـوَى ذَلك

رَجُلٌ عَنِيد . إزَاءَ عِنَادِ الزَّمَنِ ، لَا يُوَاجِهُه إلَّا بِتَأكِيد :
"حُبٌّ ، شِعرٌ ، ضَوء" . عَلَى قِمَّةِ عُودِ ثِقَابٍ يَبتَنِي مَدِينَةً كَامِلَة
بِمَنَازِلَ ، وَأشجَارٍ ، وَتَمَاثِيل ، وَمَيَادِين ،
بِمُغَامَرَاتٍ جَمِيلَةٍ ، وَشُرفَاتٍ ، وَمَقَاعِد ، وَقِيثَارَات ،
بِسُكَّانٍ حَقِيقِيِّين وَرِجَالِ بُولِيس وَدُودِين .
القِطَارَاتُ تَأتِي دَائِمًا فِي مَوعِدِهَا . آخِرُ قِطَار
يُفرِغُ مَنَاضِدَ صَغِيرَةً مِن رُخَامٍ لِمَقهًى عَلَى شَاطِئِ البَحر
حَيثُ المَتَنَزِّهُون فِي قَوَارِب تَجذِيفٍ بِصُحبَةِ فَتَيَاتٍ جَمِيلَات
يَحتَسُون اللَّيمُون المُثَلَّجَ وَهُم يُشَاهِدُون نَشَاطَ المِينَاء .
لَيسَ لَدَيَّ مَا أَقُولُه لَك سِوَى ذَلِك ، خَشيَةَ ألَّا تُصَدِّق .

طَريق السَّـلامَة

لاَ يَكُفُّ عَن القِتَال . فِي هَذِهِ النُّقطَة
وَسطَ كُلِّ الشُّكُوكِ وَالتَّمَزُّقَات
رَأته امرَأَة ، وَابتَسَمَت لَه . إِلَى الجَحِيمِ جَمِيعًا ! قَال .
هَيَّا ، أَرفَع
سُلَّمَ الحِبَالِ الكَبِير . أُعَلِّقُه بِالشَّجَرَة ،
لَا بِنِيَّةِ أَن أقطَعَ مِنهَا الفَوَاكِهَ أَبَدًا . لَا . لَيسَ إِلَّا لأَتَسَلَّقَهَا .
وَهَكَذَا ، مُتَمَايِزًا فِيمَا وَرَاءَ الأَورَاقِ الكَثِيفَة ، أَعرِف
أَنَّ ثَمَّةَ فِي مَكَانٍ مَا ، هُنَاكَ ، فِي مَكَانِي الذِي تَركتُه فَارِغًا
عُصفُورًا خَجُولًا يُرَدِّدُ بِلَا كَلَل
الأُنشُودَةَ الأَبَدِيَّةَ لِوَضعِنَا الزَّائِل .

هذَا دَائمًـا

كُلُّ شَيءٍ يَستَعصِي عَلَى التَّفسِير - عَلَى الحَل . مَعَارِفُ مُتَرَاكِمَةٌ ، مُبَعثَرَة ،
شَفَرَاتٌ ، قَوَانِين ، أَرشِيفَاتٌ ، هَوِيَّات ، كُتُب -
مَن تَكُون ؟ مَن أَكُون ؟ أَينَ ؟ مَتَى ؟
إِلَى مَتَى وَلِمَاذَا ؟ لاَ أَحَد يُجِيب .
وَتَندَهِشُ دَائِمًا عِندَمَا تَقُول "مَسَاء الخَير" ، "تُصبِح عَلَى خَير" ، مِثلَمَا فِي
المَقهَى القَدِيم
تَتَبَيَّنُ خَلفَ الزُّجَاجِ الدَّاكِن
البَحَّارَينِ عَلَى المَعَاشِ يَلعَبَان الشَّطرَنج .
وَإِلَى الجَانِبِ ، عَلَى المِنضَدَةِ الصَّغِيرَة ، وَردَةٌ حَمرَاء .

الخُروج مِن السَّـجن

وَكُلُّ شَيءٍ مُستَسلِمٌ ، مَهجُورٌ ،
فِي تَمَامِ الفَرَاغِ اللَّا مُبَالِي ، تَجَرَّدَ مِن جَنَاحَيه
(اللَّذَين حَمَلَاه فِي المَاضِي إِلَى السَّمت) . يَنتَزِعهُمَا رِيشَةً رِيشَةً
كأَنَّه يَنتَزِع بَتَلَاتِ زَهرَةٍ لُؤلُؤِيَّةٍ كَبِيرَةٍ ، غَرِيبَة ،
أَمَامَ دَكَاكِينِ الفَطَائِرِ بِمَقَاعِدِهَا القَذِرَة ،
وَفِيمَا يَتَسَاقَطُ الرِّيشُ الوَرَقِيُّ الدُّهنِيُّ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيق ، أَحيَانًا مَا كَانُوا
يَتَنَازَعُون عَلَى إِطَارِ دَرَّاجَة .
فَتَح الحَارِسُ لِي البَاب . خَرَجْت .
أَمَام السِّجن ، إِبرِيقٌ ، وَطَوقٌ ، وَعُصفُور .

قَبُـول

جَهلٌ إيجَابِي ، مُرِيحٌ ، مَقبُول .
مَتَاحِف ، مَكتَبَاتٌ عَامَّةٌ ، مَركَبَاتُ فَضَاء ، مَرَاصِد .
مَعبَدُ أَبُوللُّو إِبِيكُورِيُوس (نَتَأَمَّلُه لِسَاعَات) .
الـ"هُنَا" ، الـ"هُنَاك" ، المُستَعصِي . مَاذَا نَتَعَلَّمُ يَا طِفلِي ؟
أَقطَعُ أَظَافِرَ الأَصَابِع . هَكَذَا ، مُنحَنِيًا إِلَى الأَمَام ،
كَأَنِّي كُنتُ أَسعَى إِلَى السُّجُودِ أَمَامَ شَيءٍ مَا . كَم مِن أَقنِعَةٍ بَاهِرَة
تُغَطِّي الوُجُوهَ بِصُورَةٍ تَامَّة ، تُغَطِّي
مَكَائِدَ الزَّمَن ، وَالمَوت . وَهوَ ، المُتَغَطرِس ،
عَلَى قِمَّةِ الجَبَل ، وَقَد ثَقَّبته النُّجُوم ،
يَغصِبُ نَفسَه عَلَى ابتِسَامَةٍ أَخِيرَة ،
مُتَظَاهِرًا بِأَنَّه مُعَافًى ، بِأَنَّه خَالِد . لَا تَنسَ - قَال -
أَن تَأخُذَ مِظَلَّتَك . فَالوَقتُ يُنذِرُ بِالمَطَر .

محتُوم

رَحَلُوا ، وَاحِدًا وَرَاءَ الآخَر . سَمِعنَا بِذَلِك . لَم يَعُودُوا .
كَيفَ يُمكِنُ أَن نَعتَادَ عَلَى مِثلِ هَذِه الفِرَاقَات ؟
لَا جِبَالَ ، لَا مَنَازِل ، لَا أَشجَار .
لَا نَاسَ أَبَدًا . وَالأَسمَاءُ نُسِيَت .
وَالرَّمَادُ يُغَطِّي حَتَّى قَلب الصَّفحَات .
وَحِيدَةً ، فِي الحَقلِ الجَافِّ لِلعُلِّيقِ الأَصفَر ،
نَبَتَت وَردَةٌ كَأَنَّمَا بِفِعلِ الرُّعب . فِي اللَّيل ،
أَتذَكَّرُ حِين شَهِدتُ فِي البَعِيد ، فِي عرضِ البَحر ،
المجَانِينَ الصِّغَارَ الثَّلاثَة الضَّالِّين . أَتَذَكَّر .
فَيَا ضِيَاءَ القَمَرِ الأَلِيم ، المُستَعصِي ، فَلْتَحفَظنِي .

أيضًا

هَذَا الأصَمُّ الأبكَمُ ، وَذَلِكَ الأعمَى ، وَهَذَا الآخَرُ العَجُوزُ لِلغَايَة -
رُبَّمَا يُحِسُّ الثَّلاَثَةُ مَعًا عَلَى خُدُودِهِم
بِفِرَاءِ اللَّيلِ العَذب . الأولَادُ المُسَرنَمُون
يَستَمتِعُون بِألاعِيبِ شَعوَذَةِ النُّجُوم . وَأَنتَ ، أَنتَ ارتَدَيت
صَندَلَكَ الكِتَّانَ الأبيَض ، المُخضَرَّ بِالعُشب ،
لإخرَاجِ الكَلب . وَعِندَمَا سَتَستَدِيرُ عِندَ نَاصِيَةِ الشَّارِع ،
فَلتَلحَظ جَيِّدًا هَذِهِ الغَيمَةَ الصَّغِيرَةَ المُتَرَدِّدَة . إنَّهَا تُخفِي عَنكَ شَيئًا مَا ،
شَيئًا مَا ، بِالتَّحدِيدِ ، يَبتَسِمُ أيضًا دَاخِلَكَ بِطَرِيقَةٍ تَستَعصِي عَلَى التَّفسِير .

مشـهَد قَـرَوي

النَّاسُ المَدهُوشُون مِن الشَّمسِ الكَبِيرَة ،
مِن أَورَاقِ الشَّجَرِ الكَثِيفَةِ ، مِن كَثرَةِ زِيزِ الحَصَاد ،
مِنَ النَّزَوَاتِ الفَاتِنَةِ لَعَصَافِيرِ الدُّورِي ،
يَظَلُّون جَامِدِين ، مُتَسَائِلِين
أَيَّ مَوقِفٍ يَتَّخِذُون . فَالمُرشِدُون الثَّلَاثَة - فِي الأَسفَلِ قَلِيلًا ،
عَلَى شَاطِئِ النَّهر - يَغسِلُون أَقدَامَهُم وَشَعرَهُم ،
والأُذُنُ مَرفُوعَةٌ ، وَالعُرفُ سَاكِن ،
يَرقُبُون السَّمَاءَ الصَّافِيَةَ فِي حَالَةِ انتِصَابٍ أَقصَى . فِيمَا بَعد ،
عَادَ مُحَصِّلُ القَرِيَة ، فَتَجَمَّعَت النِّسَاءُ عَلَى الجِسر ،
وَسَمِعنَ أَعلَى تَنُّورَاتِهِن السَّودَاء
الصَّلصَلَةَ الجَنَائِزِيَّةَ لِكَنِيسَةِ سَانت -بِيلَاجِي .

مُفـاجئ

أَيَّامٌ بَطِيئَة . وَالجَمَالُ الرَّحِيمُ مَنسِي .
أَلوَانٌ رَائِعَةٌ لِلمَسَاءِ فِيمَا وَرَاءَ الصَّوَارِي .
ضَربَاتُ وَأَصوَاتُ النَّجَّارِين فِي التِّرسَانَةِ الصَّغِيرَة
وَالتَّرَاخِي الشَّجِيُّ لِلغَسَق - كُلُّ هَذَا
بِلَا جَوَاب . عَلَى الرَّصِيفِ المَهجُور ،
حَقِيبَةُ القُمَاشِ البَائِسَةُ لِلمُهَاجِرِ السِّرِّي . رُبَّمَا كَان
بِدَاخِلِهَا شَيءٌ مَا يَخُصُّنَا .
عِندَمَا أُضِيئَت الفَوَانِيس ، عَادَ رِجَالُ الشُّرطَةِ الثَّلَاثَةُ عَلَى الدَّرَّاجَاتِ النَّارِيَّة ،
نَزَعُوا خَوذَاتِهِم
مَدُّوا الذِّرَاعَ اليُمنَى وَرَصَدُونِي .

بَعد طُـروَادة

الأحَادِيثُ الآنَ تَوَقَّفَت عَن كَرَمِ النُّجُوم .
الأطفَالُ كَبُرُوا . الآخَرُون رَحَلُوا .
فِي الغُرفَةِ الصَّغِيرَةِ ، دُميَةٌ مَكسُورَة .
الحِصَانُ الخَشَبِيُّ الصَّغِيرُ مِن عَصرِ البَطَالِمَةِ الجُدُد
بَقِي فِي المَمَرِّ المُعتِمِ ذِي البَلاَطِ الأبيَضِ وَالأسوَد .
لَم يَعُد أَحَدٌ يَمتَطِيه . أَمَّا الآخَر ، الحِصَانُ الكَبِيرُ المَشقُوقُ المُجَوَّف ،
فَالصَّرَاصِيرُ وَالعَنَاكِبُ هُم مَا يَسكُنُونَه .
لَا يَخدَعُ عَدُوًّا وَلَا حَبِيبًا . أَعلَامُ العَامِ المَاضِي ، فِي الخِزَانَة ،
مَعَ ثِيَابِ "ثُلاَثَاء المَرفَع" ، بِلاَ نَفتَالِين .
سَتَلتَهِمُهَا العِثَّةُ كُلَّهَا . فِبِأَيَّةِ مُنَاسَبَة
هَتَفَ هَذَا الفَيلَسُوف المَعتُوهُ ذَاتَ لَيلَةٍ مُوحِشَة :
"لَقَد حَمَلتُ إِلَى أَعلَى الجَبَلِ رَمَادِي" . وَصَمَت إِلَى الأَبَد .

انفصالات

مُطَارَدِين ، اجتَازُوا صَحرَاوَاتٍ وَصَحرَاوَاتٍ ، أَهوَالًا وَأَهوَالًا ،
نَامُوا فِي مَغَارَاتٍ بَرِّيَّةٍ وَهُم يَسمَعُونَ الذِّئَابَ تَعوِي طُوَالَ اللَّيل .
الخُرجُ فَارِغٌ . وِعَاءُ المَاءِ فَارِغ . تَقَاسَمُوا
ثِمَارَ خَرُّوبٍ وَبَلُّوطٍ جَافٍّ عَلَى بِغَالِهِم . مِن قِمَّةِ التَّل ،
رَأَوا السَّفِينَةَ الصَّغِيرَةَ لِلخَطِّ المِلَاحِيِّ المُلغَى تُبحِرُ فِي حُزن ،
لَم يَكُونُوا يَعرِفُون لِمَن يُوَجِّهُون تَحِيَّتَهُم . وَمَا كَانَ يَدعُونَه مَجدًا ،
مَاذَا كَانَ إِذَن ؟ لَقَد ضَمَّدَ الجِرَاحَ تَمَامًا ،
وَحَوَّلَ الحِرمَانَ تَمَامًا إِلَى كِنز . إِلَى أَن لَم يَتَبَقَّ ،
فِي خَاتِمَةِ المَطَافِ ، إِلَّا قِنَاعٌ مِن ذَهَب
- وَخَلفَ هَذَا القِنَاعِ ، لَا وَجه .

فُـرُوض المسَـاء

نَسيتُ كُلَّ شَيء - يَقُول - لَا أدرِي شَيئًا ، لَا أفهَم
المَاءَ وَلاَ الشَّجَر . حِينَ كُنتُ عَائِدًا مِنَ البَحر ،
قَالَت لِي غَيمَتَان ذَهَبِيَّتَان "مَسَاء الخَير" . كَانَ اللَّيل يَحل .
لَم أنظُر إِلَى السَّمَاءِ لأَتَفَادَى الرَّد . كَانَ سِربُ سنُونُوَات
يَطِيرُ فَوقَ رَأسِي ، مُقَدِّمًا لِي عَن طِيبِ خَاطِرٍ عُذرًا مَقبُولًا .
لَكِن مَن سَيَقبَلُه الآن ؟ تَعبُرُ الجِسرَ عَرَبَةٌ مُحَمَّلَةٌ بِالبَطِّيخ .
وَلَو وَاصَلتَ حَدِيثَكَ الوُدِّيَّ مَعَ نَجمَةِ المَسَاء ، فَأَنتَ تَعرِفُ تَمَامًا
أَنَّ ذَلِكَ لَن يَكُونَ سِوَى ذَرِيعَةٍ جَدِيدَةٍ لِمُمَاطَلَةٍ دَنِيئَة .

الاندهَـاش نَفسُه

نَبَاتَاتٌ مُتَسَلِّقَةٌ أَحَاطَت بِالمَنزِل ، سَدَّت النَّافِذَة .
لَم يَعُد مُمكِنًا سِوَى رُؤيَةِ الدَّاخِل - مِنضَدَةٌ مُرَبَّعَة ،
كُشتُبَانِ الخِيَاطَةِ ، مِطفَأةُ سَجَائِر ، سَاعَاتٌ أَثِيرِيَّةٌ
تَدُورُ بَينَ قِطَعِ الأَثَاث . مِن وَقتٍ إِلَى آخَر ، تَتَذَكَّر
بُذُورَ قُطنٍ - أُولَئِكَ العَجَائِز اللاَّئِي يُخبِّئنَ فِي أَصَابِعِهِن الجَافَّة
الأَبيَضَ العَمِيقَ الذِي تَبَقَّى لَهُن مِن أَلفِ عَذَاب .
وَأَحيَانًا ، فِي قَلبِ المَجهُول ، تُسمَع
الـ"آه" تَرتَعِشُ مِن الجَبَل . هَكَذَا تَتَسَاءَلُ مِن جَدِيد :
مَن ذَا الذِي يَستَطِيعُ التَّحَايُلَ عَلَيكَ فِي اللَّيَالِي القَادِمَة ؟

معيـار الزّمـن

فِي المَاضِي ، كُنَّا نَعتَبِرُ عُصفُورًا أَو وَرَقَةَ شَجَرٍ أَو نَجمَة
- فِي كُلِّ لَحظَةٍ - بِمَثَابَةِ بُرهَانٍ عَلَى النُّبُوءَةِ السَّعِيدَة .
وَنَغُضُّ الطَّرفَ عَنِ الأَسوَد . كُنَّا نَتَسَكَّعُ فِي الحَدَائِق
وَسطَ التَّوَافُقِ الهَادِئِ لِلزُّهُور . أَمَّا الآن ،
فَالزَّمَنُ أَصَم أَبكَم - مِسمَارٌ فِي الجِدَار ،
زُجَاجٌ مُهَشَّمٌ فِي الشَّوَارِع . وَفِي المَسَاء ،
تَشحُبُ وَجنَاتُك . لَا تَخَف ،
فَأَنتَ الذِي قَطَعتَ الصَّحرَاءَ ، وَحِيدًا بِكِبرِيَاء ،
أَنتَ الذِي ضَرَبتَ بِعَصَاكَ الحَجَر ،
لِتَنبَثِقَ سرَوَةٌ مِن المَاءِ الفَائِر ،
لَا تَخَف ؛ قَبلَ أَن تَنَامَ ، فَلتَتَذَكَّر
أَنَّكَ غَرَستَ ، أَنتَ أَيضًا ، شَجَرَةً تَارِيخِيَّةً فِي الغَابَةِ العَتِيقَة .

الشَّـاعر

غَمَسَ يَدَه عَبَثًا فِي الظُّلُمَات ،
لَم تَسوَد يَدُه أَبَدًا . يَدُه
مُسمَطَةٌ إِزَاء اللَّيل . وَعِندَمَا سَيَمضِي
(لأَنَّنَا جَمِيعًا سَنَمضِي ذَاتَ يَوم) ، أَتَخَيَّلُ بَقَاء
ابتِسَامَةٍ لَن تَكُفَّ عَن قَولِ "نَعَم" وَأَيضًا "نَعَم"
إِلَى كُلِّ الآمَالِ القَدِيمَةِ وَالمُحبَطَة .

حَنِيـن

لَو أَمكَنَ فَحَسب أَن يَعُود ، ذَلِكَ الزَّمَنُ القَدِيم !
حِينَ كَانَ يَفِيضُ جَمَالُ الأَشيَاء
أَو حِينَ كَانَ سَائِغًا - سَائِغًا تَمَامًا كَوَردَةٍ فِي كُوب زُجَاجِي ،
كَعَاشِقَين عَلَى أَرِيكَةٍ فِي حَدِيقَةٍ عَامَّة
أَو كَالعَصَافِيرِ ذَات الذَّيلِ اللَّعُوب .
مَا إِن بَدَأَ الزَّمَنُ فِي الفَسَادِ ، حَتَّى تَجَلَّى ثَلاَثَةُ مَلاَئِكَة بِمظَلَّاتٍ وَردِيَّة
أَمَامَ النَّافِذَةِ لِيُوَشوِشُوا لَك
بِالقَصِيدَةِ التِي سَتَكتُبَهَا عَلَى إِيقَاعِ المَطَرِ الرَّهِيف .

بحثٌ عَبَثـي

المرأةُ الجَمِيلَةُ ذَات الشَّعرِ الحَزِينِ وَالأسَاوِرِ المخفِيَّة
تَنَامُ الآنَ فِي الغُرفَةِ العُلوِيَّة . لاَ تَدرِي أَبَدًا
بِشُكُوكِنَا القَدِيمَة (التِي أَعلَنَّاهَا مَعَ ذَلِكَ فِي تِلكَ الحِقبَة)
وَلَا النِّسيَانِ الذِي اجتَاحَنَا مِن بَعد . أَمَّا أَنَا ، فَسَأهبِطُ إِلَى القَبو ،
أُضِيءُ فِيهِ شَمعَةً وَأَبحَثُ عَن شَيءٍ مَا
قُمتُ بِإخفَائِه مُنذُ أَمَدٍ بَعِيد . فِيمَا بَعد ،
سَأصعَدُ مِن جَدِيدٍ لأُحَاوِلَ إِيقَاظَ المرأَة
ذَات الشَّعرِ الحَزِين . أَمَّا الشَّمعَة ، فَلَن أُطفِئهَا .

اضطِـراب

صَعَدَ السَّلَالِمَ لَاهِثًا . أَمَّا الآخَر
فَخَرَجَ إِلَى البَهوِ ، بِسِيمَاءَ لَا مُبَالِيَة . أَمَّا الثَّالِث
فَلَم يَعرِف مَاذَا يَفعَلُ بِالوَردَةِ التِي يُمسِكُهَا فِي يَدِه .
يَخشَى أَلَّا يَرَوه ، أَلَّا يُطَالِبُوه بِإِيضَاحَات . ذَلك سَبَبُ
تَوَقُّفِه عِندَ النَّافِذَةِ مُتَظَاهِرًا بِالإِنصَاتِ إِلَى زِيزِ الحَصَاد ،
ثُم رَمِيه خِفيَةً بِالوَردَةِ وَإِشعَالِهِ سِيجَارَة .
بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، لَا أَحَدَ يُمكِنُه إِزعَاجِي .

شَيخُـوخَة

آهِ نَعَم ، فَالتَّمَاثِيلُ وَالقَصَائِدُ أَيضًا تَشِيخ .
الجَمِيعُ شَارَكُوا فِي هَذِهِ الحِكَايَة - نَاسٌ ، حَيَوَانَاتٌ ، أَطفَالٌ ، أَنهَارٌ ، أَشجَار ،
أَولَادٌ وَبَنَاتٌ بِدَرَّاجَاتٍ نَارِيَّةٍ ، بَطَّتَان بَيضَاوَان ،
المَجنُونُ الصَّامِتُ مَع عُقبِ سِيجَارَةٍ وَكِسرَةِ خُبزٍ جَافَّة ؛
كَانَت تِلكَ إِذَن ظَهِيرَةُ صَيف ، ظَهِيرَةٌ ذَهَبِيَّة ؛ كُنَّا نَرَى - وَهو يُرَفرِفُ ،
مُلتَمِعًا فِي الأَثِير - رِيشَ دَجَاجَةٍ مَذبُوحَة ،
وَالعَمَّةُ إِيفَانجِلِيَا وَهِي تُنَظِّفُ بَامِيَة فِي المطبَخ ،
وَفَرَاشَةٌ كَبِيرَةٌ تَحُطُّ عَلَى مِلَحَة .
لَا أَحَد ، لَا أَحَدَ أَبدًا كَانَ يَظُنُّ فِي هَذِهِ اللَّحظَة
أَنَّ العَابِرَ يُشَارِفُ الأُسطُورَة . فِي مَحَطَّةِ القِطَار ،
تَجلِسُ عَجُوزٌ فِي رِدَاءٍ أَسوَدَ عَلَى أَرِيكَة
مُمسِكَةً فِي مَرِيَلَتِهَا بِسَلَّةِ بَيضٍ كَأَنَّهَا الشَّيءُ الوَحِيدُ
الذِي تَبَقَّى لَهَا فِي العَالَم . نَامَت هُنَاك . وَحَلَّ اللَّيل .
آهِ نَعَم ، فَالتَّمَاثِيلُ وَالقَصَائِدُ وَذَاكِرَةُ الأَبطَالِ أَيضًا تَشِيخ .

زَاهِـدُون

طَيِّبِينَ وَمُعتَنِينَ بِبُيُوتِهِم - كَانُوا يُرَتِّبُون مُقتَنَيَاتِهِم القَلِيلَة ،
المِنضَدَة ، السَّرِيرَ ، خِزَانَةَ الملاَبِس المُستَنِدَة إِلَى الحَائِط ،
يُعِدُّون قَهوَتَهُم ، يَطبُخُون ، يَنفُضُون الملاَءَات ،
يَكنِسُون ، يَغسِلُون ثِيَابَهُم ، يَقرأُون طوَالَ اللَّيل ،
يَحفَظُون أَسمَاءَ الطُّيُورِ ، وَالأَزهَارِ ، وَالنُّجُوم ،
وَيَعتَنُون أَيضًا بِمَا يُجَاوِرُهُم مِن الحَدِيقَة - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَيسَت عِبثًا؛
مُتَوَاضِعِين، رَصِينِين ،
لَم يَكُونُوا يَفتَقِرُون إِلَى شَجَاعَةِ حَكْيِ أَحلَامِهِم حَتَّى النِّهَايَة ،
رَغَبَاتِهِم ، غَرَامِيَّاتِهِم ، وَالأَفعَالَ التِي لَا يَجرُؤُون عَلَيهَا أَبَدًا .
هَكَذَا ، كَانَ لَهُم أَن يَتَحَرَّش بِهِم - وَسطَ الشَّارِعِ - حَسُودُون وَعَدَائِيُّون
يَبصقُوا عَلَيهِم ، يُهِينُوهُم ، وَيَرجُمُوهُم : هُم الذِين لَم يَكُن لَدَيهِم
سِوَى ابتِسَامَتِهِم الدَّامِيَة . يَمنَحُونَهَا ، هَذِهِ الابتِسَامَة ،
مُخفِينَ تَمَامًا طَبِيعَةَ يَدِهِم اليُسرَى
التِي تَبدُو - لأَوَّلِ مَرَّةٍ - بِالِغَةَ الجَمَالِ وَالجِدَّة .

الزَّمـن

عَلَى مَدَى أَعوَامٍ ، لَم يَنشَغِل بِالزَّمَنِ قَط .
بِكَلِمَاتٍ ، كَانَ يُعَوِّضُ الهَزَائِمَ ، وَالخَسَائِرَ ، وَالإنكَار ،
مُنَقِّحًا بِاستِغرَاقٍ هَالَاتٍ صَغِيرَةً
مِن أَجلِ البُسَطَاءِ ، وَمَشَاهِدَ بِلَا قِيمَة . لَكِن شَيئًا فَشَيئًا
غَطَّت لَوحَةٌ جِدَارِيَّةٌ المَنزِلَ كُلَّه - غُرفَتَي النَّوم ،
قَاعَةَ المُوسِيقَى الصَّغِيرَة ، مخزَنُ الجَانِبِ الشَّرقِي
وَحَتَّى المطبَخ . فِي اللَّيلِ ، بِمِصبَاحِ زَيتِي ،
يَقُومُ بِالتجوَالِ فِي مَنزِلِه ، يُلَاحِظُ ، وَيُعجَب -
هَذَا بِترُوس ، مَارتَا ، مَارِيَا ، وَهَذَا جُوجُوس ، تِيلِيس ،
هَا هُوَ اللِّسَانُ البَحرِيُّ بِـمُونِيمفَاسيَا ، وَهَذَا البَحرُ المتَألِّق
فِي غُرُوبِ سَامُوس - يَا لَه مِن شَبَاب ، يَا إِلَهِي ، وَكَم مِن قُرُون !
لَكِنَّه هُو - أَينَ يَكُون ؟ أَينَ هُو ؟ هُو غَائِب .
عَجُوزٌ هَادِئٌ ، حَزِينٌ ، مَعَ مِصبَاحِه .

المتمَـرِّد

نَاسٌ يَتَظَاهَرُون بِاللَّا مُبَالاَة . كَانُوا يُرِيدُون حِمَايَتَه بِأيِّ ثَمَن
(مُتَخَفِّين هُم أَنفُسهُم تَحتَ اسمِه) . "لَا تَفعَل هَذَا" .
"لَا تَفعَل ذَاك" ، كَانُوا يَقُولُون لَه ، "لَا تُعَرِّض نَفسَكَ لِلنَّمَائِم" .
"لَا تَخلَع ثِيَابَكَ أَو حِزَامَك أَمَامَهُم" .
"لَا تَكُن فِي كُلِّ لَحظَةٍ ضَحِيَّةَ صَرَاحَتِك" . وَهو ،
كَانَ يَبتَسِمُ لَهُم فِي تَسَامُح . بِإِصبَعَين حَذِرَين
كَانُ يُمسِكُ بِهَذِهِ التَّعنِيفَات - وَاحِدَةً وَاحِدَةً - وَيَرمِي بِهَا إِلَى سَلَّةِ المُهمَلَات
مَعَ مَلَابِسِه النَّظِيفَة . هَكَذَا أَصبَحَ عَارِيًا تَمَامًا ، جَمِيلًا ، مُتَمَرِّدًا ،
بِلَا أَيِّ شَيءٍ سِوَى حِذَائِهِ المَثقُوب (مِن فَرطِ الصُّعُود) ،
وَتَقَدَّمَ تَحتَ الهَتَافَاتِ وَاللَّعنَات
لِيَذُوبَ - هَادِئًا - فِي الأَبَدِيَّة .

بَقَـايَا

يَصعَدُ ، يَهبِطُ ، يَعُودُ مِن حَيثُ أَتَى ، يَرقُب ،
ثُم يَنطَلِقُ كَمَا مِن قَبل . لَا يَدرِي أَينَ هُو ، إِلَى أَين .
يَقطَعُ خَيزَرَانَةً ، يَضرِبُ بِهَا الأَدغَال ،
يَضرِبُ بِهَا الرِّيح . يَسمَعُ عُصفُورَ دُورِي .
"هَل يُعجِبُكَ هَذَا ؟" ، يَسأَلُه . لَا يُجِيبُ الدُّورِي .
يُشعِلُ سِيجَارَةً أُخرَى . وَالشَّكُّ القَدِيم
يُعتِم مَعَ كُلِّ يَومٍ جَدِيدٍ بَصَرَه -
لَم يَعُد شَكًّا ، لَكِنَّه الآنَ يَقِين - اليَقِينُ الذِي يُودِي بِه
إِلَى "العَدَم" العَمِيقِ فِي اللَّيلِ المُطلَق ،
تَارِكًا فِي العَالَمِ المشَاهِدَ الطَّبِيعِيَّةَ المُشرِقَةَ التِي أَبدَعَهَا ،
مَشَاهِدَ بِهَا أَشجَارُ حُورٍ بَيضَاء ، وَطُيُورٌ وَمَلاَئِكَةٌ بَالِغَةُ الصِّغَر .

افتِقَـار

امرَأَتَان (رُبَّمَا الأُمُّ وَابنَتُهَا) فِي وِشَاحٍ أَسوَد
تَظهَرَان فِي المنزِلِ مِنَ البَابِ المَفتُوحِ عَلَى مِصرَاعَيه ؛
تَجلِسَانِ عَلَى الأَرِيكَةِ القَدِيمَة ؛ لَا تَتَحَرَّكَان ، لَا تَتَكَلَّمَان .
أَمَامَهُمَا ، عَلَى المِنضَدَة ، رَغِيفُ خُبز ؛ عَلَى الكُرسِيِّ ، القِطَّة .
فِي الخَارِجِ ، يَلتَمِعُ البَحر ، وَيَصِيحُ زِيزُ الحَصَاد بِأَعلَى صَوت ،
سِربُ سُنُونُوَاتٍ يَرسُمُ فِي الأَثِير
شَيئًا مَا مِنَ الكَمَالِ وَالنِّهَائِي .
لَكِن فِي اللَّحظَةِ نَفسِهَا التِي كُنتُ أَكتَشِفُ فِيهَا مَعنَى حَيَاتِي
نَهَضَت العَجُوزُ ، وَأَغلَقَت البَاب .

الكَنِيسَــة المُلغَــاة

كَيفَ أَمكَنَ لِهَذِهِ الكَنِيسَةِ الكَبِيرَةِ أَن تُوجَدَ وَسطَ السَّهلِ المَهجُور ،
وَحِيدَةً ، مُحَاطَةً بِبَعضِ النَّخِيلِ وَسَبعِ شَجَرَاتِ إِيُوكَالِبتُوس ،
وَسَاعَةُ البُرجِ مُتَوَقِّفَة
عَلَى الثَّالِثَةِ مِن أَصِيلِ صَيفٍ غَارِقٍ وَسطَ زِيزِ الحَصَاد ؟
بَابُهَا دَائِمًا مَفتُوح . لَم أَرَ قَط أَحَدًا يَدخُلهَا أَو يَخرُج مِنهَا ،
يَذهَبُ لِيُشعِلَ شَمعَةً فِي الشَّمعدَانَاتِ الكَبِيرَة . بِالكَادِ نُمَيِّز
فِي العَتمَةِ الشُّخُوصَ المَحنِيَّةَ لِلقِدِّيسِين المُعَذَّبِين
بِهَالَاتٍ مَمحُوَّةٍ تَقرِيبًا . وَأَحيَانًا ، فِي المَسَاء ،
فِي جَنَاحِ الكَنِيسَةِ الخَاوِي ، تَصحُو زَقزَقَةُ مُوسِيقَى عَتِيقَة
يُرهِفُ السَّمعَ لَهَا القَمَرُ بِإِخلَاص . ذَلِكَ رُبَّمَا لأَنَّ أَمَامَ العَذرَاء
ابنَتَى سُنُونُوَّان عُشَّهُمَا ، وَصِغَارُهُمَا الخَمسَةُ يَرفَعُونَ فِيه مَنَاقِيرَهُم
المُطَالِبَة .

جَـوابٌ مُـرَاوغ

مِن أَينَ أَتَى هَذَا الحُزنُ المَمزُوجُ بِالغَضَب ؟ مُنذُ الفَجر ،
وَحَتَّى قَبلَ أَن تَنهَضَ وَتَحتَسِي قَهوَتَك ، تَنطَلِق
عَصَافِيرُ الدُّورِي فِي الزَّقزَقَةِ الخَرقَاء . وَفِي الحَدَائِقِ الكَثِيفَة ،
وَحدَهَا الوُرُودُ تُعلِنُ عَن لَونِهَا . نَحلٌ وَفَرَاشَاتٌ
تَلتَمُّ فِي أَسرَاب . كُلٌّ مِنهَا مَشدُودٌ إِلَى عَمَلِه . صُفَّارَةُ السَّفِينَةِ تَنطَلِق .
يَهبِطُ البَعضُ ، يَصعَدُ البَعضُ الآخَر . وَلَا يَبقَى
سِوَى هَذَا الحُزنِ المَمزُوجِ بِالغَضَب . آهِ ، ذَلِكَ الجَمَال
الذِي كَانَ يَمنَحُ مَعنًى لِكُلِّ هَذَا ، أَينَ اختَفَى ؟ مَسَاءَ أَمس ،
رَأَينَا قُربَ الشَّاطِئِ ثَلاَثَ بَجعَاتٍ تَطفُو مَذبُوحَة .

الملاحظات الأولى لمجموعة "نَفي الصمت" كُتبت في أثينا، كالاموس، دياكوفتو، أندرافيدا، كيباريسيا، أندريتسا، من 5 يونيو 1986 إلى 27 يونيو 1987.

وكُتبت المسودة الأولى للقصائد في كارلوفاسي من 29 يونيو إلى 30 يوليو 1987، والمسودة الثانية (المنشورة هنا) في كارلوفاسي من 31 يوليو إلى 25 أغسطس 1987 . وكالمعتاد ، تحمل كل قصيدة تاريخ كتابتها الأولى .

ي . ر

II

الشَّـــجرة الجـــردَاء

1987

مفَاتِيـح بِلا فَائـدة

ذَلِكَ البُعدُ وَلَا أَبعَد . لَا أَبعَدَ مِن ذَلِك .
الأُتُوبِيسُ الدَّاخِلِيُّ يُفرِغُ سَائِحِينَ أَجَانِب ،
حَقَائِبَ أَجنَبِيَّةً ، وَأَكيَاسَ نَومٍ أَجنَبِيَّة .
لَا تَتَعَرَّفُ حَتَّى عَلَى الحَقِيبَة
التِي حَمَلَت ذَاتَ مَرَّةٍ شَيئًا مِنك -
قَمِيصًا أَزرَقَ أَثِيرًا ، تِلكَ اللَّقطَة
لِحُبِّكَ الأَوَّل . الكُتُبُ عَلَى الأَرفُف
تُدِيرُ ظُهُورَهَا ، وَكَومَةُ المَفَاتِيح
عَلَى المنضَدَة - لَا تَدرِي
وَلَا تُبَالِي بِأَيَّةِ أَقفَالٍ تَتَعَلَّق...
هَذَا المفتَاحُ الفِضِّيُّ الصَّغِير ، عَلَى سَبِيلِ المِثَال -
آه - فِعلًا ، إِنَّه مفتَاحُ عُلبَةِ المُجَوهَرَات
المَلِيئَةِ بِالمَاسِ ، وَالزُّمُرُّدِ ، وَاليَاقُوت ،
وَصَلِيبٍ ذَهَبِيٍّ بِثَلَاثِ يَاقُوتَات ،

سَقَطَت مُنذُ سَنَوَاتٍ فِي البِئر .
جَفَّفُوا البِئرَ ، وَبَحَثُوا . لَم يَجِدُوا
أَيَّ شَيءٍ ، سِوَى الصُّخُور . قِيل
إِن بِرسِيفُون الصَّغِيرَةَ قَد أَخَذَت البَاقِي مَعَهَا تَحتَ الأَرض .

كارلوفاسي ، 7 أغسطس 1987

في الصَّـمت

إِنَّهَا بِالتَّحدِيدِ الأَشيَاءُ التِي لَم تَقُلهَا
هِي التِي ضَخَّت دِمَاءً فِي الكَلِمَاتِ التِي قُلتَهَا ، وَالتِي ظَلَّت
مُعَلَّقَةً فِي الهَوَاءِ ، مُلتَبِسَةً ، مُبهَمَة - كَنَغَمَات
مِن مُوسِيقَى مَا قَاتِمَةٍ قَادِمَةٍ مِنَ المُستَقبَل . الآن ،
لَيسَ لَدَيكَ مَا تَقُول لأَنَّكَ لَا تَملِكُ مَا تُخفِيه . الصَّمت
يَشُقُّ طَرِيقَه فِيكَ عَبرَ الأَشيَاء - وَلهَذَا تَستَرِقُ السَّمع
لِلصَّرخَةِ الأَلِيفَةِ لِلدَّرَّاجَاتِ البُخَارِيَّةِ عَلَى الطَّرِيقِ السَّاحِلِي ،
تَسمَعُ صُفَّارَاتِ سَامِينَا ، وَإِيكَارُوس ، وَالإِيجِيَّة ،
وَهِيَ تَرحَلُ ، لَيلَ نَهَارٍ ، فِي بِحَارٍ عَاتِيَةٍ وَهَادِئَة ،
وَوِجهَتُهَا الأَخِيرَةُ ذَلِكَ المَرسَى الشَّاسِعُ ، بِلاَ ضَوء .

كارلوفاسي ، 7 أغسطس 1987

الخوف الآخـر

جَاهَدُوا فِي مُكَافَحَةِ المَخَاوِفِ القَدِيمَةِ ، بِرُؤُوسٍ لَا تَنحَنِي .
السِّجنُ، التَّعذِيبُ، المنفَى- فِي اللَّيلَةِ السَّابِقَةِ عَلَى الإعدَام ، كَتَبَ يُورجُوس
إِلَى أُمِّه : "لَا تَبكِي" ، قَال ،
"سَأمُوتُ مُنتَصِبًا . لَا تَنسَي أَن تُرسِلِي إِلَيَّ التَّحِيَّة
إِلَى الجِبَالِ ، وَالطُّيُورِ ، وَالأَشجَار" .
حَفَرَ أَلِيكسِيس مِطرَقَةً وَمِنجَلًا عَلَى جِدَارِ زِنزَانَتِه ،
ثُم كَتَب اسمَه تَحتَهُمَا . غَنَّى آخَرُون وَرَقَصُوا
أَمَامَ البَرَامِيلِ المتَدَلِّيَة . جَاهَدُوا .
لَكِنَّ هَذَا الخَوف
خصمٌ صَامِتٌ ، بِلاَ مُتَنَفَّس ، وَخَفِي .
لَا يَلعَنُكَ أَو يَضرِبُكَ بِهُرَاوَةٍ ، لَا يَرفَعُ مُسَدَّسًا .
خَفِيًّا ، يَنتَظِرُ فَحَسب . وَكُلُّ مَا بِوُسعِك
أن تَستَلقِي بِهُدُوءٍ وَبِكَرَامَةٍ بِلَا ثِيَاب
مِن أَجلِ يَومِكَ الأَخِير : حِذَاءٌ أَسوَد ، جَوَارِبُ سَوداء ،

بَذلَةٌ سَودَاء . لَكِن فِي طَيَّةِ السُّترَةِ قرُنفُلَة حَمرَاء
تَذكَارًا لِتِلكَ الأَيَّامِ الأُخرَى ، لِتِلكَ المَخَاوِفِ الأُخرَى ، المَهزُومَة .

كارلوفاسي ، 7 أغسطس 1987

نُضُـوب

مَضَت الخُيُولُ وَفُرسَانُهَا الوَسِيمُون .
بُيُوتُ القَرِيَةِ خَاوِيَة . بَعضُ العَجَائِز
يَجلِسُون عَلَى الجِدَارِ الخَفِيض وَيُشَاهِدُون الغُرُوب .
مَاذَا هُنَاك لِيُقَال ؟ خَاوِيَةٌ جِرَارُ النَّبِيذِ وَالقَمَر
مُنذُ أعوَام . وَهُم نَسَوا
أَشجَارَ زَيتُونِهِم ، وَكُرُومِهِم ، وَأحفَادَهُم .
لَكِنَّهُم أحيَانًا فِي الفَجرِ ، فِي نَومِهِم ، يَسمَعُون
النُّجُومَ تُخَرِبِشُ الجِدَارَ بِأَظَافِرِهَا ،
بَحثًا عَن كِنزٍ لَم يَسبِق العُثُورُ عَلَيه .
وَحِينَ يَستَيقِظُ العَجَائِزُ ، يَكُونُونَ أَكثَرَ تَعَبًا مِن ذِي قَبل .
يُمسِكُون بِالعِصِي كَأَنَّمَا لِيَستَنِدُوا إِلَيهَا ،
أَو لِيَضرِبُوا بِهَا غَرِيمًا قَدِيمًا لَا يَستَطِيعُون رُؤيَتَه .

كارلوفاسي، 8 أغسطس 1987

التَّماثِيــل ونحن

التَّمَاثِيلُ هَادِئَةٌ تَمَامًا . لَا يَهُمُّهَا
تَخرِيبُ الزَّمَن . تَتَحَطَّمُ أَيدِيهَا ،
أَقدَامُهَا ، وَرُؤُوسُهَا - لَكِنَّهَا
تَبقَى فِي انتِصَابَتِهَا الأَصلِيَّة .
تَبتَسِم ، حَتَّى وَهِيَ مُمَدَّدَةٌ عَلَى ظُهُورِهَا ،
أَو تُدِيرُ ظُهُورَهَا لَنَا وَلِلزَّمَنِ وَالوَجهُ مَدفُونٌ فِي الطِّين ،
كَأَنَّهَا مُنهَمِكَة
فِي فِعلٍ جِنسِيٍّ لَا نِهَائِي ، وَنَحنُ نَنظُر ،
مُتعَبِين وَمُحبَطِين بِلَا تَفسِير .
فِيمَا بَعد ، نَعُودُ إِلَى فُندُقِنَا البَائِس ،
نُسدِلُ السَّتَائِرَ فِي مُوَاجَهَةِ وَهَجِ الأَصِيل ،
وَنَتَمَدَّدُ عَرَايَا عَلَى السَّرِيرِ الأَخرَق ،
وَنَحنُ نُحَاكِي سُكُونَ التَّمَاثِيلِ الهَادِئ .

كارلوفاسي، 9 أغسطس 1987

من زَمَـنٍ آخَـر

غَرِيب -
فِي ذَلِكَ الهَيكَلِ المحتَرِقِ لِلمَنزِل
بَقِيَت المِرآةُ الكَبِيرَةُ سَلِيمَةً ، وَإِنَاءُ زُجَاجِي
بِه تُفَّاحَاتٌ عَطِنَة . عَبرَ النَّوَافِذِ الفَاغِرَة
وَمَضَ البَحرُ اللَّانِهَائِيُّ مِرَارًا وَتكرَارًا ،
كَأَنَّ شَيئًا لَم يَحدُث . دُفِنَ الموتَى فِي قَبرٍ جَمَاعِي ،
فِي المقبَرَةِ الصَّغِيرَةِ عَلَى التَّل . بَعدَ أُسبُوع ،
عَادَ الآخَرُون . جَاءُوا وَوَقَفُوا عَلَى البَاب ،
رَشَمُوا الصَّلِيبَ عَلَى أَنفُسِهِم ، ثُم رَحَلُوا مِن جَدِيد .
أَصغَرُ بَحَّارٍ بَقِي . دَخَل ، مُتَعَثِّرًا فِي الأَخشَابِ المُحتَرِقَة ،
وَحِينَ نَظَرَ فِي المِرآةِ ، رَأَى هَيئَةَ ثيُودُورُوس كُولُوكُوترُونيس[*] مُدَجَّجًا بِالسِّلَاح ،
يَمتَطِي حِصَانَه ، وَاضِعًا خَوذَتَه العَتِيقَة ، مُمسِكًا بِعُنقُودٍ هَائِل
مِنَ العِنَبِ الأَسوَد ، وَهوَ يَمضُغُ وَيَبتَلِعُ حَبَّاتِه وَاحِدَةً وَاحِدَة .

[*] بطل حرب الاستقلال اليونانية.

حديقةٌ في خريف

لَم يَكُونُوا فِي انتِظَارِ أَيِّ شَيء ، وَهُم جَالِسُون فَحَسب فِي سَكِينَة
فِي الحَدِيقَةِ ، وَمَقَاعِدُهُم القَش تَنِزُّ بِالرُّطُوبَة
(القُشَعرِيرَةُ الأُولَى كَانَت بِالفِعلِ فِي الهَوَاء) . نَظَرُوا
إِلَى البَحرِ ، وَالغُيُومِ ، وَالتِّلَالِ ، وَالمَدَابِغِ القَدِيمَة
المهجُورَةِ طَوِيلًا وَشِبهِ الخَرِبَة ، كَمَعَابِدَ قَدِيمَة .
قُربَهُم ، كَانَت دَجَاجَتَان صَفرَاوَان تَنقُرَان بُذُورَ الخَسِّ السَّوداء .
بَعِيدًا فِيمَا وَرَاءَ السَّرو ، كَانَ بَائِعُ الفَاكِهَةِ المُتَجَوِّلُ يُنَادِي
عَلَى آخِرِ الأَعنَاب ؛ دَوِّى صَفِيرُ قَارِبٍ فِي البَعِيد .
نَظَرَ الرِّجَالُ العَجَائِزُ الثَّلَاثَةُ إِلَى بَعضِهِم البَعض
وَبِبُطءٍ أَومَأُوا بِرُؤُوسِهِم ، لأَنَّهُم عَرفُوا
أَنَّهَا كَانَت تَصفُرُ مِن أَجلِهِم . بِالفِعلِ رَحَلُوا .

كارلوفاسي، 14 أغسطس 1987

رُكود

الوَقتُ مُتَأخِّر ، بَعدَ مُنتَصَفِ اللَّيل . لَا مَكَانَ لِلذِّهَابِ إِلَيه .
الحَانَاتُ فِي المَرسَى مُغلَقَة . وَالبَحَّارة
خَلَعُوا ثِيَابَهُم الرَّسمِيَّةَ البَيضَاءَ وَرُبَّمَا نَائِمُون .
حَاوِيَاتٌ قَلِيلَةٌ ، مُثقَلَةٌ بِحُمُولَتِهَا مِن الخَشَبِ كَأَنَّهَا حَوَامِل ،
تَزحَفُ خِلَالَ المِيَاهِ الدَّاكِنَةِ وَشَظَايَا
نَافِذَةِ القَمَرِ المَكسُورَةِ . 30ر1 ، 00ر2 ، الثَّالِثَةُ إِلاَّ الرُّبع -
السَّاعَاتُ تَتَبَاطَأ ، وَرَائِحَةُ الرُّطُوبَةِ ، وَالخَشَبِ المَقطُوعِ مُنذُ قَلِيل
لَا يُمكِنُ أَن تَمحُو الظِّلَّ الذِي يَلُوحُ أَمَامَ الجُمرُك ،
حَيثُ بِالأَمسِ فَحَسب قَامَ غَوَّاصُون عَرَايَا وَسِيمُون - فِي طَلعَتِهِم الأُولَى
بِشَيِّ الأَخطَبُوطِ الهَائِلِ عَلَى الصُّخُور
مِرَارًا وَتكرَارًا ، فِي سَائِل كَثِيفٍ يُشبِه المَنِي .

كارلوفاسي ، 16 أغسطس 1987

ارتحـالاتٌ مُتنَاثِـرة

كُرُومٌ ، بَسَاتِينُ زَيتُون ، مَنَازِلُ بَيضَاءُ مُبعثَرَةٌ عَلَى جَانِب التَّل ،
سنُونُوَاتٌ ، عَصَافِيرُ الدُّورِي ، زِيزُ الحَصَاد - كَانُوا تَقرِيبًا يَنتَمُونَ إِلَينَا فِي
وَقتٍ مَا .
فِي اللَّيلِ ، تُضِيءُ الجَدَاجِدُ نَومَنَا
بَصَيحَاتِهَا الصَّغِيرَة . عَادَت "إِلِينِي" إِلَى سبَرطَة
مُنذُ أَعوَام - تَرَكَتنَا هُنَا بِمَلاَبِسَ قَلِيلَةٍ مِن قُمَاشٍ نَحِيلٍ مُمَزَّق ،
وَبِضعِ قِنِّينَاتِ عِطرٍ خَاوِيَة . بِمُسَاعَدَتِهَا ،
ضَلَّلنَا أَنفُسَنَا زَمَنًا ، فِي مَوجَاتٍ مِن الحَنِين .
ضَلَّلنَا الآخَرِين أَيضًا ؛ - لَم يُلَاحِظ شَيئًا أَحَد .
وَالدِّيُوسكُورِي[*] تَحَوَّلَا ، بِالطَّبع ، إِلَى نَجمَين .
لِهَذَا آمَنَّا بِتَحَوُّلِنَا . لَكِن الآن
لَا يُقَدِّم التِّرمُومِتر المَكسُورُ أَيَّةَ قِرَاءَة .
أَحيَانًا فَحَسب ، فِي لَيَالِي أَرَقِنَا ، تَغمزُ لَنَا حُبَيبَاتُ الزِّئبَق المُتَنَاثِرَةُ عَلَى

[*] ابنا "ليدا" و"زيوس"، وشقيقا "هيلين" طروادة.

الأرض،
كَنُجُومٍ مُستَعَارَة.

كارلوفاسي، 17 أغسطس 1987

منضَـدة العمَـل

المِنضَدَةُ التِي كَتَبتَ عَلَيهَا قَصَائِدَك اليَومِيَّة
نَخَرَهَا السُّوسُ ، تَملأُهَا ثُقُوبُ الرَّصَاص . فِي اللَّيل ،
تَعزِفُ الرِّيحُ بِهَا كَنَاي ، وَأَحيَانًا ،
فِي سَاعَاتِ الصَّبَاحِ القَلِيلَةِ ، تَأتِي أُورَانيَا السَّمَاوِيَّة[*]
وَتَضَعُ حَقِيبَتَهَا فَوقَ المِنضَدَة ،
ثُم قُفَّازَيهَا البَيضَاوَين ، وَأَسَاوِرَهَا الخَمس .
تَتَمَدَّدُ إِلَى جِوَارِك . تَتَظَاهَرُ بِأَنَّكَ نَائِم .
وَمَن يَدرِي ، فَرُبَّمَا كُنتَ نَائِمًا بِالفِعل .

كارلوفاسي، 20 أغسطس 1987

[*] أورانيا: ربة علم الفلك، في الأساطير اليونانية. ينبع الإسم من الكلمة اليونانية التي تعني "السماوية" أو "السماء". وهي قادرة على التنبؤ بالمستقبل.

معرفـة الذَّات

يَترُكُ وَرَاءَه النَّوم ، وَالطَّرِيقَ الذِي يَرصُفُه القَمَر
بِأورَاقِ شَجَرٍ ذَهَبِيَّةٍ نَحِيلَة . هُو الآنَ مُستَقِل ،
هُنَا ، فِيمَا بَعدَ العَدَمِ هَذَا ، الصَّغِير ،
بِعُكَّازٍ وَسَلَّةٍ فَارِغَة . يَرَى
الجِبَالَ ، مُرَفرِفَةً فِي الضَّبَاب .
وِحدَتُه الآنَ بِلَا وَزنٍ ، وَيَستَطِيعُ تَقرِيبًا الطَّيَرَان . لَكِن لَا ،
يَجلِسُ فِي مِقعَد . يَلتَقِطُ تُفَّاحَة . يَقضُمُهَا .
عَلَى الأَقَل ، فَهوَ يَستَطِيعُ قِرَاءَةَ اسمِه - فِي آثَارِ أسنَانِه .

كارلوفاسي، 27 أغسطس 1987

الجلُوس خارج المطَر

الأَمطَارُ الأُولَى هُنَا . أَحصِنَةٌ مَبلُولَة
تَقِفُ تَحتَ الأَشجَارِ فِي خَرَفِهَا الخَرِيفِي .
جُفُونُهَا تَرتَخِي وَهِيَ تَتَظَاهَرُ بِأَنَّهَا تَمضغ
حِفنَةَ عُشبٍ جَاف . أَرَادَت مَارِيًّا
أَن تُمَشِّطَ أَعرَافَهَا المَبلُولَةَ بِمِشطِهَا .
لَكِنَّ نَاسَ الصَّيفِ الأَخِيرِين كَانُوا يَرحَلُون بِالفِعل .
قُربَ المَكَان كَانَت دَجَاجَةٌ تُصدِرُ قَوقَآتٍ مُتَنَافِرَة . وكَانَ مُحزِنًا
رُؤيَةُ عَصَافِيرِ الدُّورِي الجَائِعَةِ تَتَقَافَزُ خِلَالَ صُفُوفِ الكُرُوم ،
وَالغُيُومُ تُغَيِّرُ شَكلَهَا فِي الأَعَالِي ، مُحَلِّقَةً مُنفَرِدَة
وَالغِربَانُ كَمَسَامِيرَ سَوداء ، تُثَبِّتُهَا فِي مَكَانِهَا .
لِهَذَا ، خِلَالَ سَاعَاتٍ ، ضَرَبَت الشَّيخُوخَةُ مَارِيًّا .

كارلوفاسي، 28 أغسطس 1987

أحجَـارٌ مرسُـومة

أن تَرسُمَ عَلَى الأحجَار - السَّاكِنَةِ ، المنسِيَّة ،
مُتَتَبِّعًا إِيعَازَاتِهَا الصَّامِتَة . انظُر : هَا هِي "كُورِي" ،
عَذرَاءَ جِمِيلَة ، عَارِيَةَ الثَّدِيَين . فِي عَينَيهَا
يُومِضُ حُزنُكَ عَلَى أَنَّك لَم تَكُن حَبِيبَهَا .
فِي الأَعلَى : الشَّابُّ الإغرِيقِيُّ الكلاَسِيكِيُّ ، وَخُصلَاتُه مَربُوطَةٌ إِلَى الوَرَاءِ بشرِيط ،
وَوَجهُه الجَانِبِيُّ بِلَا شَائِبَة . أَشبَه بِرَامِي قُرصٍ ، أَو مُوسِيقِي .
لَكِن لَا مُتَّسَعَ عَلَى الحَجَرَةِ
لِرَسمِ القِيثَارَةِ ، التِي استَنَدَت إِلَى رُكبَتِه . مَعَ ذَلِك ،
فَفِي سَاعَةٍ مُبَكِّرَةٍ ، بَعدَ مُنتَصَفِ اللَّيلِ تَمَامًا ،
تَسمَعُ القِيثَارَةَ الخَفِيَّةَ ، تَعزِفُ شَيئًا مُدهِشًا ،
قَصِيدَةً لَن تَكتُبَهَا أَبدًا ، فِيمَا سَيَّارَاتُ الإِسعَاف
تَصرُخُ هَابِطَةً شَارِعَكَ وَهِيَ تَحمِلُ الـ78 ضَحِيَّة .

كارلوفاسي، 29 أغسطس 1987

تَأرِيخٌ صغِيـر

أَشجَارُ الزَّيتُون مُثقَلَةٌ بِفَرطِ ثِمَارِهَا ، وَالكُرُومُ مُعَنقَدَة ،
النِّسَاءُ أَيضًا حَوَامِل ، وَالأَولَادُ يَسبَحُون ،
الأَب مِيخَالِيس اشتَرَى لِنَفسِهِ قَارِبًا جَدِيدًا ،
أَبيَضَ بِشَرِيطٍ مُزدَوَجٍ أَحمَر . فِي المَسَاءِ ، تَخرُجُ السُّفُن
فِي صُفُوفٍ لِلصَّيدِ عَلَى ضَوءِ الفَوَانِيسِ ، تَرتَعِشُ الأَضوَاء
بِتَأثِيرِ انفِعَالٍ هَادِئ ، كَأَنَّهَا لَا شَيء ، لَكِن حَقًّا لَا شَيء
قَد تَغَيَّرَ فِي هَذَا العَالَمِ السُّفلِي . سِوَى هَؤُلَاء
الذِين هَامُوا عَلَى مَدَى أَعوَامٍ ، الذِينَ اجتَازُوا تَمَامًا صُخُورَ السِّيمبِلِيجَاد
وَهُم يَضَعُون دَائِمًا حَولَ رَقَبَتِهِم
التَّعوِيذَةَ المحتَوِيَةَ عَلَى بَعضِ تُرَابِ الوَطَن ، هُم وَحدهُم ، مَسَاءَ أَمس ،
مَن جَاءُوا لَنَا بِشَيءٍ مَا جَدِيدٍ وَأَبَدِي . لَكِن فِي اليَومِ التَّالِي ،
ذَهَبَت هِيلِين لِتُصَفِّفَ شَعرَهَا أَمَامَ المِرآةِ الكَبِيرَة :
كَانَت المِرآةُ قَد شَاخَت وَشَعرُهَا قَد تَسَاقَط .

هذه الرؤيـة

فِي الأَصِيلِ ، أَقَامُوا تَحتَ أَشجَارِ الصُّنوبَر لِلاستِرَاحَة .
أَخرَجُوا مِن خُرجِهِم كِسرَةَ خُبزٍ جَاف ، وَبِضعَ زَيتُونَات ، وَبَصَلَة .
أَكَلُوا بِشَهِيَّةٍ مَفتُوحَة . كَانَت كِلَابُهُم
تَستَنشِقُ الهَوَاءَ وَهِيَ تُشَاهِدُ البَحرَ عَن بُعد .
وَبَعضُ عَصَافِيرِ الدُّورِي حَطَّت عَلَى الأَرضِ ، قُربَهُم تَمَامًا ،
وَهِيَ تَنقُرُ بِجَسَارَةٍ بَعضَ الفُتَات . هَذِه الرُّؤيَة ،
هَذِهِ المُشَارَكَةُ بَينَ الطُّيُورِ وَالإِنسَان
هِي بِالذَّات مَا احتَفَظنَا بِهَا مِن كُلِّ مَسِيرَةِ الجَوَّالِين ،
دُونَ أَن نَحتَفِظَ بِشُكُوكِهِم وَتَعَبِهِم ،
وَتِلكَ هِي الرُّؤيَةُ التِي رُبَّمَا سَاعَدَتهُم
فِي مُوَاصَلَةِ رِحلَتِهِم فِي الوِهَادِ الوَعرَة ،
إِلَى أَن يَحِلَّ اللَّيلُ ، وَيَطلُعَ القَمَر ، وَفِي الأُفقِ يَسطَع ،
هَائِلًا مَهِيبًا ، التِّمثَالُ وَحِيدُ السَّاقِ لِسَامُوس .

رَد اعتِبَـار

لَم يَكُن يُحِبُّ قَط العَصَافِيرَ وَالأَزهَارَ وَالأَشجَار
التِي تَتَحَوَّلُ إِلَى رُمُوز ، وَتَستَخدِمُهَا مُعَسكَرَاتٌ مُتَعَارِضَة
بِطَرِيقَةٍ مُمَاثِلَةٍ تَمَامًا . أَمَّا هُو ، فَكَانَ يُحَاوِلُ أَن يُعِيدَ إِلَيهَا
طَبِيعَتَهَا وَمَاهِيَّتَهَا الحَقِيقِيَّة . فَلنَأخُذ الحَمَامَةَ عَلَى سَبِيلِ المِثَال ،
فَهوَ لَم يَستَخدِمهَا شِعَارًا لِمُؤتَمَرَاتٍ مُختَلِفَة ، بَل
كَطَائِرٍ جَمِيلٍ عَاشِقٍ ، ذِي خُطًى مُتَمَهِّلَةٍ ، لاَ يَكُف
عَن التَّبشِ فِي الفِنَاءِ وَنَثرِ البُرَاز
وَالرِّيشِ عَلَى الأَرض (ذَلِك يَسُرُّنِي) ؛
أَو فِي الحَدِّ الأَقصَى: سُعَاةُ بَرِيدٍ صِغَارٍ يَنقِلُون أَعلَى المجَرَّات السَّمَاوِيَّة
الرَّسَائِلَ التِي يُوَجِّهُهَا الأَطفَالُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ لِيَطلُبُوا مِنه
كُرَّاسَاتٍ وَأَحذِيَةً وَحَلوَى مَا . أَمَّا الزَّنبَق ،
فَلَيسَ رَمزًا لِلطَّهَارَة ، بَل هُو نَبَاتٌ عَطِر ،
يَفُوحُ بِالحِسِّيَّةِ ، بِبَتَلَاتِهِ المَفتُوحَةِ عَن آخِرِهَا
مُتِيحَةً رُؤيَة عُضوِ الذُّكُورَةِ مُنتَصِبًا بِلِقَاحٍ ذَهَبِي . وَالزَّيتُون ،

لَيسَ مُكَافَأةً لِلانتِصَارِ أو السَّلَام ، لَكِنَّه الأبُ الخِصبُ الذِي يَمنَحُ الزَّيتَ
لِطَعَامِنَا أو مَصَابِيحِنَا ،
مِن أجلِ حَكَّةِ الرَّضِيعِ أو الرُّكبَةِ الجَرِيحَة
لِلطِّفلِ المُزعِجِ ، العَاصِي ، أو أيضًا
مِن أجلِ قِندِيلِ العَذرَاءِ المُتَوَاضِع . أمَّا أنَا - يَقُول - ،
فَمَا مِن أُسطُورَةٍ أبَدًا ، أو بَطَل ، أو إلَه ، بَل عَامِلٌ بَسِيط
شَخصٌ مَا كَالجَمِيع - بروليتَارِيُّ الفَن
عَاشِقٌ دَائِمًا أيضًا للأشجَارِ ، وَالطُّيُورِ ، وَالحَيَوَانَاتِ ، وَالنَّاس ،
عَاشِقٌ - قَبلَ كُلِّ شَيءٍ - لِجَمَالِ الأفكَارِ الصَّافِيَة
وَجَمَالِ الأجسَادِ الفَتِيَّة - عَامِلٌ
يَكتُبُ ، يَكتُبُ بِلَا تَرَاخٍ وَفِي كُلِّ آن
وَاسمُه مُوجَزٌ لِيَسهُلَ نُطقُه : يَانِيس رِيتسُوس .

هُـروبٌ مُسـتحِيل

كَانَا اثنَين يُشَاهِدَان قِمَمَ الجِبَالِ مِن أَعلَى . وَالثَّالِث
كَانَ يُشَاهِدُ فِي الأَسفَل السَّهلَ الجَافَّ ذِي العَنزَاتِ المُتنَاثِرَة .
أَمَّا الرَّابِعُ فَأَغمَضَ عَينَيه . وَالخَامِس
صَاح : "الوَقت..." . "الوَقت..." ، وَتَوَقَّفَ تَمَامًا . وَالبَقِيَّة ،
لَم يُفَكِّر أَحَدٌ فِي سَمَاعِهَا . غُيُومٌ نَادِرَة
كَانَت تَرتَحِلُ فِي السَّمَاء ، فَاتِحَةً كَأَهدَابِ حَرِيرٍ وَرديَّة . فَجأَةً ،
أَطلَقَ سِربُ غِربَانٍ فِي السَّمَاءِ صَرخَاتٍ خَارِقَة .
أَدَارَ الجَمِيعُ رُؤُوسَهُم ، لِيَرَوْا وَيَسمَعُوا . آنَئِذٍ ،
تَحتَ ظِلَالَ الطُّيُورِ ، وَدُون تَبَادُلِ كَلِمَة ،
بَدَوا هَابِطِين لِلذَّهَابِ إِلَى مَنَازِلِهِم التِي كَانُوا قَد هَجَرُوهَا ،
كَمُذنِبِين ، كَمُتَآمِرِين فَاشِلِين . فِي هَذِهِ اللَّحظَة ،
أَضَاءَت بِضعَةُ أَنوَارٍ فِي النَّوَافِذ . وَالبَقَرَةُ الكَبِيرَةُ السَّوداء
كَانَت قَادِمَةً بِخُطًى بَطِيئَةٍ ، طَائِعَةً ، خَلفَ أُورِيست .

وَاجبٌ خَـريفِي

كَانَ المَنزِلُ الآنَ يَفُوحُ بِالخَرِيف . وَمَرَّةً أُخرَى ، لَم نَكُن مُستَعِدِّين
لِذَلِك،
بِلَا بلُوفَر وَبِلَا كُوفِيَّة . مُنذُ الصَّبَاح ، غُيُومٌ مُفَاجِئَة
تُعتِم التِّلَال . لَابُدَّ أَن نُسَارِع
بِتَخزِينِ التَّموِين ، لأَنَّ الرِّيَاحَ الصَّاخِبَة
لَن تَتَأَخَّرَ عَن العَودَة . أَبخِرَةُ المطبَخ
تَحتَلُّ مَركَزَ الصَّدَارَةِ فِي صَمتِ الأَروِقَة . وَاحِدَةً بَعدَ أُخرَى ،
تُغلِقُ مُنشَآتُ شَاطِئِ البَحرِ أَبوَابَهَا . عَلَى المِرفَأ المَبلُول ،
عُلَبُ سَجَائِرَ خَاوِيَة ، وَآنِيَةٌ مِنَ البلاَستِيك ، وَجَرَائِد
وَالقِطَطُ الضَّالَّةُ ، الجَائِعَةُ ، التِي تَتَفَرَّج
عَلَى سَاعَةِ الحَائِطِ بِلَا عَقَارِب بِمَبنَى الجُمرُك . أَسئِلَةٌ مَنسِيَّة
تَصِرُّ مِن جَدِيدٍ كَدَوَّارَاتِ هَوَاءٍ صَدِئَة
عَلَى سُطُوحِ المَنَازِلِ المهجُورَةِ التِي تَرجِع
إِلَى مَوتَى ، مَسلُولِين ، مُنذُ أَعوَام ، بِلَا وَرَثَة .

لَكِن أَنت ، إِزَاءَ إِصرَارِ المطَرِ وَالرِّيَاحِ ، تُعَارِضُه عَلَى ضَوءِ مِصبَاحِك ،
عَلَى هَذَا الكُرسِيِّ الخَشِن ،
بِإِصرَارِكَ عَلَى تَركِ شَيءٍ مَا لِهَؤُلَاءِ القَادِمِين - بَيتَي الشِّعرِ هَذَين
المكتُوبَينِ بِيَدِ المطَر ، وَاللَّذَين يُشِيرَان فِي ارتِجَاف
دَائِمًا وَأَبَدًا نَحوَ الشَّمس .

نُسخة

هَذَا المَنزِلُ ذُو حُدُودٍ مَنسِيَّة - لَا أَدرِي مُنذُ مَتَى .
فِي القَبوِ ، مَقَاعِدُ مُتَخَلِّعَةٌ ، وَتِمثَالٌ نِصفِيٌّ مِن جِبس
لِفَيلَسُوفٍ غَابِر . فِئرَانٌ تَمُر ، جَائِعَةٌ ،
تَنظُرُ حَولَهَا بِازدِرَاء . وَمَعَ ذَلِك ، أَتَذَكَّر ،
ثَمَّة طَاحُونَةٌ عَتِيقَةٌ مَعَ شَجَرَتَي تِينٍ جَردَاوَين .
كَانَ الخَادِمَان قَد رَحَلَا . وَفِي الخَارِج ، فِي المَشهَد الطَّبِيعِي مُتَعَدِّدِ الزَّوَايَا
وَالرَّمَادِي ،
كَانَ عَجُوزٌ يَركُضُ شِبهَ عَارٍ فِي غَيظ ،
رَافِعًا مِظَلَّةً حَمرَاءَ مَفتُوحَةً ، وَهوَ يُطَارِدُ سِربَ دُيُوكٍ سَودَاء
كَانَت قَد أَقَامَت حَولَ الآبَارِ وَعَلَى أَكتَافِ تَمَاثِيلَ عَارِيَة .

محادثـة صريحـة

فِي لَحظَةِ الرَّحِيل ، تَوَقَّفَ عِندَ البَاب . "تَعرِفُون - يَقُول -
نَسيتُ أَن أُخبِرَكُم بِالشَّيءِ الأَهَم . لَكِنَّنِي
مَا إِن تَذَكَّرتُه حَتَّى ذَهَبَ فِعلًا مِن ذِهنِي . فَاغفِرُوا لِي" .
نَظَرنَا إِلَى بَعضِنَا البَعض . لَم يَقُل أَحَدٌ شَيئًا . أَمَّا هُو ،
فَأَغلَقَ البَابَ خَلفَه . ذَهَبَ إِلَى الحَدِيقَة . عَبْرَ زُجَاجِ النَّافِذَة ،
نَرَاه يَتَمَشَّى بِخُطًى مُتَمَهِّلَة ، بِسِيمَاءَ مُتَفَكِّرَة ، وَاليَدَانِ فِي الجَيبَين . فَجأَةً ،
خَلَعَ السُّترَةَ (وَاعِيًا بِلاَ أَدنَى شَكٍّ بِأَنَّنَا نُلاَحِظُه)
وَطَرَحَهَا عَلَى كَتِفَي التِّمثَال . يَعُودُ أَدرَاجَه
يُشِيرُ إِلَينَا بِالطَّرقِ عَلَى الزُّجَاج ، يَنفَجِرُ فِي الضَّحِكِ وَيُعلِن
"ذَلِكَ مَا كُنتُ قَد قُلتُه لَكُم" . يَضحَكُ مِن جَدِيد
وَابتَعَدَ بِخُطَى طِفلٍ مَرِحَة .

لَا شَـيء آخَـر

هَذِهِ النَّوَافِذُ وَهَذِهِ الأَشجَارُ تَعرِفُكَ أَيضًا .
بِذَلِك ، فَلَم تَرحَل إِذَن أَبَدًا . أَولَادٌ فِي الثَّانِيَةِ عَشرَة
يَدخُلُون الحَدِيقَة . يَقطَعُون أَزهَارَ عَبَّادِ الشَّمسِ . السُّفُن
تَنقِلُ بَضَائِعَ وَمُسَافِرِين . تَصفُر .
تَمُر سُنُونُواتٌ وَأَوزٌ بَرِّي . تَتَبَدَّلُ الفُصُول .
تِكرَارَاتٌ مُضجِرَة . سُجُونٌ ، كُرَةُ قَدَم ، إِضرَابَات .
مِظَلَّةٌ سَودَاءُ فِي الرُّوَاق . وَأَنت ،
تَضِيعُ عَن بُعدٍ فِي هَذَا المجهُولِ المُشتَرَكِ بَينَنَا - أَنت
الذِي لَم تَطلُب فِي حَيَاتِكَ سِوَى البَقَاءِ فِي أَيِّ مَكَانٍ هُنَا
تَستَنشِقُ خِفيَةً الوَردَةَ الأَكثَرَ رَهَافَة .

يقظــة

أَرفُضُ - يَقُول - أَن أَستَسلِمَ لِلمَحتُوم . انظُرُوا ، إِنَّنِي أَرسُم
عَلَى هَذِهِ الأَورَاقِ بِلَا غُفرَانٍ سُفُنًا صَغِيرَةً ، نَوَارِسَ ،
أَزهَارَ لُؤلُؤِيَّةٍ كَبِيرَةً ، ثِيرَانًا فِي حَالَةِ انتِصَاب ، فَتَيَاتٍ عَارِيَاتٍ تَمَامًا .
أَستَخدِمُ أَيضًا الذَّهَبِيَّ وَالأَحمَر ،
هُنَاكَ ، حَيثُ ذَلِكَ هُو أَكثَرُ مَا يَنقُص . فِي الظَّهِيرَة ،
لَا أَنسَى الاستِمَاعَ إِلَى زِيزِ الحَصَادِ ، وَالاستِمَاعَ -
فِي اللَّيلِ - إِلَى الصَّرَاصِيرِ ، وَالمقَارَنَةَ بَينَهُمَا
فِي نِقَاطِ تَوَقُّفٍ مُتَأَهِّبَةٍ بِوَلَائِمَ سِرِّيَّة
بِرِفقَةِ نُدَمَاءٍ وَسِيمِين ، وَعَازِفِي نَاي . أَمَّا البُومَة ،
فَلَا غَضَاضَةَ عِندِي فِي شَرحِ صَرخَاتِهَا الكَئِيبَة
بِأَمثَالٍ ذَاتِ رَصَانَةٍ كَبِيرَة - كَمَا كَانَ يَفعَلُ بِاستِفَاضَةٍ أَسلَافُنَا .
هَكَذَا إِذَن ، رَصِينًا ، مُتَلَاعِبًا ، مَوهُوبًا
(مُشَارِكًا مِن بَعد فِي الصَّمتِ ، وَمُتَوَاطِئًا) يُمكِنُنِي الآنَ أَيضًا
أَن أَنَامَ لِبُرهَةٍ وَعَينَايَ مَفتُوحَتَانِ عَن آخِرِهِمَا .

المنـزل الغَريب

شَبَكَةُ الحَدِيقَةِ - صَدِئَة . نَبَاتَاتٌ مُتَسَلِّقَة
تُغَطِّيهَا حَتَّى الأَعلَى . المُلاَّكُ غَائِبُون
مُنذُ أَعوَام ، وَرُبَّمَا مَوتَى . أَمَّا هُو ، فَمُنذُ أَيَّام
وَهوَ يَطُوفُ بِهَذَا المنزِلِ كَأَنَّه كَانَ يَسعَى إِلَى
اكتِشَافِ سِرٍّ مَا فِيه ، كَأَنَّه كَانَ يُرِيد .
استِكشَافَ الدَّاخِل . ذَاتَ مَسَاء ،
طَرَقَ المِطرَقَةَ البرُونزِيَّةَ بِإِلحَاح .
فَتَح لَه تِمثَالُ الصَّالَة . دَخَل .
صَعَدَ السَّلاَلِم . لَا شَيء . كَانَت السَّتَائِرُ مُعَلَّقَة ،
أَسدَلَتهَا الظِّلَال . وَالمَرَايَا
كَانَت تَعكِسُ بِارتِبَاكٍ صَمتَ الأَثَاثِ وَالبِيَانُو .
رَائِحَةٌ كَئِيبَةٌ لِلغُبَار ، وَالخَشَبِ المَنخُور
وَالشُّكُوكِ السِّرِّيَّة . عَلَى المِنضَدَةِ المغَطَّاةِ بِالدَّانتِيلَا ،
قَفَصٌ بِه عُصفُورَا كَنَارِي مَيِّتَان . لَا أَحَد .

تَمَكَّنَ بِصُعُوبَةٍ مِن نَافِذَةٍ لِيَرَى البَحر .
البَحرُ البَنَفسَجِيُّ المُذهَبُ لِلغَسَق . قَارِب
يَتَلَاشَى ، وَقَد التَهَمَه الاتِّسَاع . وَفَجأَةً ،
أَحَسَّ بِتِمثَالِ الصَّالَةِ يَقِفُ وَرَاءَه
وَهوَ يُدَخِّنُ سِيجَارًا ضَخمًا لِسَيِّدِ المنزِلِ المُتَوَفَّى .

الفانُـوس المنطَفـئ

أُرِيدُ أَن أَترُكَ لِكُلٍّ مِنكُم - يَقُول - نَظرَة
الإِعجَابِ الهَادِئِ هَذِه إِزَاءَ الغُرُوب . أُرِيدُ أَيضًا
أَن أَترُكَ لَكُم الصَّدَى الأَلِيم
وَالفَرِيدَ لَصَوتِ بَائِعِ السَّمَكِ فِي صَبَاحَاتِ يُولِيُو ،
وَطَنِينَ النَّحلَةِ فِي قَلبِ زَهرَة
أَو الـ"آه" الخَرسَاءَ لِفَرَاشَةٍ بَيضَاءَ قُربَ الزَّهرَةِ البَنَفسَجِيَّة .
لَكِنِّي أُرِيد - أَكثَر مَا أُرِيد - أَن أَترُكَ لَكُم هَذِهِ الطَّرِيقَة
التِي تَتَغَيَّرُ بِهَا الأَلوَانُ إِلَى الفِضِّي وَالوَردِي
حِينَ يَنغَلِقُ البَابُ مِن جَدِيدٍ ، وَتُعتِمُ الغُرَف
وَتَحتَفِظُ المَرَايَا بِصُورَةِ البَحرِ بَالِغَةِ الصَّفَاء
إِلَى حَدٍّ أَن تَزرَقَّ مَلَاءَاتُ سَرِيرِ الزَّوجِيَّةِ الكَبِيرِ لِلمَوتَى . ذَلِكَ مَا كُنتُ
أُرِيد -
لَكِن استَبَقَنِي تَمَامًا اللَّا مَرئِي
الحَاضِرُ أَبَدًا فِي كُلِّ مَكَانٍ ، الذِي أَطفَأَ فَانُوسِي

حَتَّى لاَ أَرَى سِوَى أَنِّي أَستَطِيعُ الإِشَارَةَ إِلَيكُم ،
سَوَى أَنِّي أَستَطِيعُ المَسِير.

كارلوفاسي ، سامُوس
7 - 31 يوليو 1978

كُتبت قصائد "الشجرة الجرداء" في كارلوفاسي وساموس من 7 أغسطس إلى 31 أغسطس 1987 . وقد تمت المراجعات العديدة لها من 14 سبتمبر إلى 21 نوفمبر . أما المراجعة الأخيرة وإعادة الصياغة ، فقد تمت من 23 نوفمبر إلى 27 ديسمبر 1987 .

III

فِي آخِـــر اللَّيـــل

1988

جُمُود

فِي غُرفَةِ النَّومِ ، المَرأةُ مَعَ الكَلبِ الأَسوَد .
هَبَطَت الخَادِمَةُ العَجُوزُ إِلَى الصَّالَةِ تَحمِلُ مِصبَاحًا .
لَا هَبَّةَ رِيح - مَعَ ذَلِكَ ارتَعَشَت السِّتَارَة .
كَفَفنَا عَن الأَمَلِ فِي عُودَتِهِم . ثِيَابُهُم
شَاخَت عَلَى الشَّمَّاعَات . تِلكَ اللَّيلَة ،
سَمِعنَا المَبعُوثَ يَتَوَقَّفُ أَمَامَ البَابِ الخَارِجِي .
لَم يَطرُق البَاب ، لَم يَنطِق بِكَلِمَة . فِي اليَومِ التَّالِي ،
وَجَدنَا أَعقَابَ سَجَائِرِه المُذهبَةَ فِي الحَدِيقَة .

كالاموس 6 يناير 1988

كمَا أبـدًا

لَم يَتَبَقَّ شَيءٌ فِي المنَازِلِ أَو الأَشجَار .
الطُّيُورُ تَحُطُّ فِي لَا مَكَان . بَاعَةُ الشَّارِعِ الجَائِلُون
يَمُرُّون طوَالَ النَّهَار . نَعرِفُهُم الآن .
جَوَاهِرُ مُقَلَّدَةٌ ، ثِيَابٌ مُلَفَّقَـة .
يَرحَلُون بَعدَ الظَّلَام ، وَبِضَاعَتُهُم كَاسِدَة . وَمَعَ ذَلِك ،
فَعَلَى الطَّرِيقِ السَّاحِلِيِّ هُنَاك ، عِندَمَا تُضَاءُ الأَنوَار ،
تَظَلُّ مَجمُوعَةٌ مِنَ الكِلَابِ تَتَقَاتَلُ عَلَى عَظمَة .

كالامُوس 6 يناير 1988

لَا شَـيء

عِظَامُ أَسمَاكٍ وَجُلُودُ قَنَافِذَ مَشقُوقَة
عَلَى المَائِدَةِ الكَبِيرَةِ تَحتَ الأَشجَار .
رَادِيُو ترَانزِستُور وَحِيدٌ فِي غُرفَةِ الحَارِس .
مَتَى جَاءُوا إِلَى هُنَا ؟ مَتَى رَحَلُوا ؟
مَن كَانُوا ؟ تِلكَ اللَّيلَةَ قَابَلنَا
مُتَسَلِّقِي الجِبَالِ الخَمسَةَ خِلَالَ هُبُوطِهِم ،
مُستَنزَفِين ، حَامِلِينَ رَافِعَ العَلَمِ الوَسِيم
مَلفُوفًا فِي بَطَّانِيَّةٍ حَمرَاء .
فِي تِلكَ اللَّحظَةِ بِالتَّحدِيد ، دَوَّت صُفَّارَةُ السَّفِينَة .

كالامُوس 6 يناير 1988

صـوت الجـرَس

الفَجر - وَلَا يَزَالُ مِصبَاحُنَا مُضِيئًا .
صُفرَةٌ مَمزُوجَةٌ بِقَلِيلٍ مِنَ الزُّرقَة .
مَوقِدُ الغَاز ، قَهوةٌ ، رَائِحَةُ البِلَى ، شَيخُوخَة .
لَعبُ الوَرَقِ فِي كُلِّ مَكَان ،
مَنَافِضُ السَّجَائِرِ تَفِيض . نِسَاءٌ ، رِجَال ،
حَدَائِقُ ، كُتُب - هُنَا لِدَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ ،
ثُم الرَّحِيل . رَحِيل . وَذَلِكَ الرَّنِين
الذِي سَمِعتَه قُبَيلَ الفَجرِ مُبَاشَرَةً لَم يَكُن لِسَاعِي البَرِيد ،
بَل لِشَاةٍ صَغِيرَةٍ حَزِينَةٍ يَقُودُونَهَا إِلَى الذَّبح .

كالامُوس 7 يناير 1988

تفَاهَــات

مَشَابِكُ شَعر ، أَحزِمَةٌ ، أَموَاسُ حِلَاقَة -
أَيُّهَا البَائِعُ المُتَجَوِّل ، لَن تَدرِي أَبَدًا
مَا الذِي تَعنِيه لِي بِضَاعَتُك البَائِسَة ،
أَيَّةَ أَبوَاب شُرفَاتٍ فَتَحَت
عَلَى البَحر ، أَيَّةَ غَابَاتٍ
أَظَلَّتنِي ، وَتَمَاثِيلَ أَحَبَّتنِي -
وَالآنَ فَهَذَا الحَلَزُونُ الصَّغِير
بِقَرنَيهِ الهُلَامِيَّين
يَجتَازُ فِي بَهجَةٍ وَرَقَةَ شَجَر ،
حَالِمًا حُلمِي .

كالامُوس 7 يناير 1988

حظًّا سعيدًا

أشجَارُ حُورٍ ، أشجَارُ زَيتُونٍ ، أشجَارُ تِين ،
إِيُوكَالِيبتُوس ؛ أسمَاءٌ ، أشكَالٌ ، صُوَر ،
تَمَاثِيلُ مَهجُورَةٌ فِي جَمَالِهَا ،
دَرَّاجَةٌ قَدِيمَةٌ ، صَدَأت بِالخَارِج ،
قَوَارِبُ بِلَاستِيكِيَّةٌ لِلطِّفلِ المُتَوَفَّى -
نَسيتَ فِيمَ كَانَت تُستَخدَم ،
لَا تَدرِي مَن تَرَكَهَا إِلَى مَن .
لِهَذَا ، وَدَاعًا أَصدِقَائِي ، وَحَظًّا سَعِيدًا .
مَا مِن نَجمَةِ لَيلٍ وَاحِدَةٍ هِي كِذبَة .

كالامُوس 7 يناير 1988

تَــوَازُن

طَائِرَانِ مَيِّتَان فِي جِرَابِ الصَّيَّاد .
رَأَيتُ الدَّمَ عَلَى الصُّخُور ،
رَأَيتُ حُزنَ القَارِب
يَتَلَاشَى عَلَى الأُفُق .
انتَظَرتُ حَتَّى السَّابِعَةِ مسَاءً . آنَئِذٍ
حَلَّت الأَمطَارُ الغَزِيرَةُ وَالرِّيح .
وَاحِدًا وَرَاءَ الآخَر رَحَلَ العَازِفُون ،
مُمسِكِينَ بِجَرَائِدَ فَوقَ رُؤُوسِهِم .
تَرَكُوا آلاَتِهِم عَلَى المِنضَدَة .
أَخِيرًا أَصبَحتُ حُرًّا إِمَّا أَن أَنَامَ أَو أَطِير .
بَدَلًا مِن ذَلِك ، قَرَّرتُ ارتِدَاءَ جَورَبٍ وَاحِد .
الآن كُلُّ شَيءٍ فِي مَكَانِهِ الطَّبِيعِي .

كالامُوس 8 يناير 1988

تحولات اللّحظة الأخيرة

حَرَكَةُ السِّتَارَةِ تُخفِي الوَجهَ الآخَر .
الأَرضِيَّةُ يَتَنَاثَرُ عَلَيهَا قِشرُ الفُستُق
وَثَلاثَةُ شَبَاشِبَ نَاعِمَة - شَبَاشِبُ رَجُلٍ عَجُوز .
الجَاكِيت الأَحمَرُ مَرمِيٌّ عَلَى الكُرسِي . حَقًّا ،
لَقَد أَبلَيتَ أَقنِعَةً كَثِيرَةً فِي زَمَنِك . الآن
تَرمِيهِم فِي النَّارِ وَاحِدًا بَعدَ الآخَر
وَتَستَمتِع بِرُؤيَتِهِم يَشتَعِلُون ،
وَوَهَجٌ أَحمَرُ يُومِضُ عَلَى يَدَيكَ المَتبَطِّلَتَين .

كالامُوس 8 يناير 1988

مسَــامير

مَن يَحتَاجُ إِلَى هَذَا ، أَو ذَاكَ ، أَو تِلك ؟
الكَلبُ مَات ، وَبَعدَه الحِصَان .
تَحتَ السَّلاَلِم - السَّلَّةُ الخَاوِيَة .
صَيَّادُو الأَسمَاكِ يُنَادُون عَلَى أَسمَاكِهِم .
المنزِلُ يُدَوِّي بِالغِيَاب ،
وَفِي المِرآةِ ، مَسِيحٌ شَاحِبٌ مَصلُوب
يَتَشَبَّثُ بِشَرَاهَةٍ بِالمِسمَارَين .

كالامُوس 9 يناير 1988

إخــلَاء

المَنَازِلُ تَخلُو ، شَيئًا فَشَيئًا . الكَلِمَاتُ أَيضًا .
لَا يَزَالُ بِهَذِهِ السَّلَّةِ تُفَّاحٌ مُنذُ أَمس فَحَسب .
سَنَّانُ السَّكَاكِينِ كَانَ مُعتَادًا عَلَى المُرُورِ ، لِسَنِّ السَّكَاكِينِ القَدِيمَة . الآن
تُقحِمُ ذِرَاعَكَ خَارِجَ النَّافِذَة ، لَا لِتُشِيرَ إِلَى غَيمَةٍ أَو قَارِب ،
بَل لِتَختَبِرَ الهَوَاءَ بِالخَارِجِ ، وَتَعُودُ يَدُك
بِاللَّمسَةِ البَارِدَةِ ، المُزعِجَةِ ، لِلعَدَمِ هُنَاك .

كالامُوس 9 يناير 1988

لَا شيء

وُجُوهٌ مُتعَبَة ، أَيدٍ مُتعَبَة .
ذَاكِرَةٌ مُتعَبَة . الهِجران
حِينَ يَبدأُ السَّمعُ فِي الذَّهَاب . اللَّيل
حَل . كَبُرَ الأَطفَال ، تَرَكُوا البَيت .
لَا تَنتَظِر إِجَابَة . لَكِن آنَئِذٍ ،
مَاذَا كَانَ سُؤَالُك ؟ إِلَى العَدَم ،
بِتِلكَ السَّنَوَاتِ التِي عَذَّبتَ نَفسَكَ فِيهَا
مُحَاوِلًا أَن تُلصِقَ ابتِسَامَةَ مُوَافَقَةٍ
عَلَى قِنَاعِكَ الكَرتُونِي . فَلتغمِض عَينَيك .

كارلوفاسي، 16 يناير 1977

أبديَّـات

الصُّحُفُ نَفسُهَا المَوجُودَةُ اليَومَ فِي الحَامِلِ ،
قَرَأنَاهَا العَامَ المَاضِي ، وَالعَامَ قَبلَ المَاضِي ، وَمُنذُ خَمسِينَ عَامًا .
وَمَن يَدرِي ، فَرُبَّمَا بَعدَ قَرنَين مِنَ الآن سَيَقرَأُون
الصُّحُف نَفسُهَا: حُرُوبٌ ، فَيَضَانَاتٌ ، أَوبِئَةٌ ، مَجَاعَات..
يَسقُطُ كُوبٌ وَيَنكَسِر . فِي الصَّبَاحِ ، تَأخُذُ المرأة
الملاَءَاتِ إِلَى البَاحَةِ فِي الخَارِجِ لِتُعَرِّضَهَا لِلهَوَاء ،
مَعَ أَعضَائِكَ التَّنَاسُلِيَّة - لأَنَّهَا هِي أَيضًا أَصبَحَت بَالِغَةَ الرَّخَاوَةِ وَالعَطَن
حَتَّى أَنَّك - مِنَ الآن فَصَاعِدًا - سَيَكُونُ عَلَيكَ أَن تَسنِدَهَا ، بَدَلًا مِن أَن
تَتَمَاسَكَ بِنَفسِهَا .

أثينا ، 16 يناير 1988

المحاكمة

هَرَوَلَ البَعضُ فِي الشَّارِعِ الكَبِير
بِلَا تَوَقُّفٍ أَمَامَ وَاجِهَاتِ المحَلَّات .
كَانَ الآخَرُون عَائِدِين ، مُنهَكِين ، مِن الجِنَازَة ،
يَرتَدُون مَعَاطِفَ أَطوَلَ مِنَ المُعتَاد .
فِي جُيُوبِهِم ، كَانَت لَا تَزَالُ هُنَاكَ كِسرَةُ خُبزٍ جَافَّة
(مِن ذَلِكَ النَّوعِ المُستَخدَمِ فِي طُقُوسِ الدَّفن)
فِي انتِظَارِ أَن يَرمُوهَا دُونَ أَن يَرَاهُم أَحَد .
وَرَاءَهُم ، فِي ثِيَابٍ سَوداء ،
جَاءَت الأُم ، تُلَمِلِمُ الكِسرَات
كَأَنَّهَا تَجمَعُ شَوَاهِدَ لِيَومِ الحِسَاب
عَلَى مَن تَبَقَّوْا عَلَى قَيدِ الحَيَاة .

أثينا ، 17 يناير 1988

حتَّى ذَات لَيلـة

العَمَّةُ "مَارِيتسَا" وَالعمَّةُ "كَاتِينَا" ، بِقُبَّعَتَيهِمَا الصَّغِيرَتَين ،
وَدَبَابِيسِهِمَا الذَّهَبِيَّة ، وَبيتِهِمَا المُكتَظّ بِالأَثَاث ،
وَصَنَادِيقِ الثِّيَابِ المُتخَمَةِ بِملَاءَاتٍ مُزدَوَجَةٍ مُطَرَّزَة ،
وَمَعرَضِ أَدَوَاتِ المطبَخِ النُّحَاسِيَّة - لِمَاذَا جَمَعنَا كُلَّ هَذَا ، تَقُولَان ،
بَل إِنَّنَا لَا نَستَطِيعُ حَتَّى الجُلُوسَ هُنَا . وَمَعَ ذَلِك ،
فَلَم تَتَوَقَّفَا عَن التَّكدِيس - خُيُوط ،
مَشَابِكُ لِلمَلَابِس ، حَقَائِبُ وَرَقِيَّة ، فِيمَا الصَّرَاصِيرُ وَالعِثَّة يَعِيثُون بِكُـلِّ هِمَّة .
حَتَّى ذَات لَيلَةٍ ، شَبَّت النِّيرَانُ بِالمنزِل .
جَرَت هَاتَانِ العَانِسَتَانِ الرَّشِيقَتَانِ حَافِيَتَين فِي الشَّارِع ،
شِبه عَارِيَتَين ، يَطفُو وَرَاءَهُمَا رِدَاءُ النَّومِ الطَّوِيلُ الأَبيَض ،
وَتَوَقَّفَتَا مَصعُوقَتَين ، تَرتَعِدَانِ وَهُمَا تَرَيَانِ النَّار ،
وَكُلٌّ مِنهُمَا تَتَشَبَّثُ بِقُبَّعَةٍ سَوداءَ صَغِيرَةٍ ، لاَ أَكثَر .

أثينا ، 17 يناير 1988

الوضـع الأصـلي

لَيلَةً بَعدَ لَيلَةٍ ظَلَّ مُستَيقِظًا
يُتَابِعُ تَقَدُّمَ الجَيشَين المُتَوَاجِهَين عَلَى الخَرِيطَة
فِي حَربٍ دَائِمَةٍ ، غَيرِ مُعلَنَة .
لَم يُخفِ تَفضِيلَه لِلجَانِبِ التَّابِعِ لِلصَّفِّ الأَحمَر .
كَانَ يَستَمتِعُ كَثِيرًا بِتَحرِيكِ الدَّبَابِيسِ الحَمرَاء
أَعمَقَ فَأَعمَقَ فِي المنطِقَةِ السَّودَاءِ ،
إِلَى أَن وَصَلَ إِلَى حَافَّةِ الخَرِيطَة ،
حَيثُ لَم يَعُد هُنَاكَ مَزِيدٌ مِن القُرَى أَو المُدُنِ أَو الجُزُرِ أَو المُحِيطَات
أَو حَتَّى الأَسمَاء . آنَئِذٍ ، تَطَلَّعَ إِلَى الوَرَاءِ ، وَرَأَى
أَنَّ الصَّفَّ الأَسوَدَ قَد وَصَلَ إِلَى وَضعِهِ الأَصلِي .
كَانَت الغُرفَةُ مُتخَمَةً بِدُخَانِ السَّجَائِر ،
وَأَحَسَّ أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الدَّبَابِيسِ مَغرُوسَةٌ فِي ظَهرِه ،
مَعَ أَنَّهَا لَا تُسَبِّبُ لَه أَيَّ أَلَم . يَنهَض ،
يَفتَحُ النَّافِذَة . يَنظُرُ إِلَى الشَّارِعِ فِي الأَسفَل .

لَا أَحَد . لَا سَيَّارَةَ أَو مَار . لَيسَ سِوَى
المَدِينَةِ الثَّلجِيَّةِ ، المَيِّتَةِ ، تُومِضُ فِي البَعِيد .

أثينا ، 18 يناير 1988

مرَاحِـل التَّعَب

دُخَانُ القِطَارِ يَعلُو بِنعُومَةٍ إِلَى وَهَجِ المَسَاءِ الأَحمَر .
تَجلِسُ امرَأَةٌ عَجُوزٌ فِي مَدخَلِ مَنزِلِهَا مَعَ قَفَصِ كَنَارِي
مُنصِتَةً إِلَى الرَّجُلِ الأَعمَى وَهوَ يَعزِفُ عَلَى الأُكُورديُون ، عَلَى سَلاَلِمِ كَنِيسَةِ
سَانت فَارفَارَا .
لَم يَكُن لَدَينَا أَيُّ تَبرِيرٍ لِهَذَا اليَوم ، وَلَا لِلغَد .
وَالأَسمَاءُ لَم تَعُد تَتَطَابَقُ مَعَ الأَشيَاء .
كِلَابٌ ضَالَّةٌ تَهِيمُ فِي الحَي . فِي اللَّيل ،
تُصبِحُ المَنَازِلُ وَالأَشجَارُ وَالنَّاسُ مُتَثَاقِلِين
يَنحَنُون تَحتَ وَطأَةِ تَعَبٍ لَا يُحتَمَل - تَعَب
كَانَ يُمكِنُ - مُنذُ نَحوِ خَمسِينَ عَامًا -
أَن تَحمِلَه فَرَاشَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى أَحَدِ جَنَاحَيهَا .

أثينا ، 19 يناير 1988

فِي الحدِيقـة

لَم يَهتَم البُستَانِيُّ كَثِيرًا بِالزُّهُور .
مَنَحَ كُلَّ عِنَايَتِه لأَشجَارِ الفَاكِهَة .
ارتَدَى قُبَّعَةَ قَشٍّ بَالِيَةً كَهَالَةٍ مَسرُوقَة .
كُلَّ أَصِيلٍ ، تَلتَم مَجمُوعَةٌ مِنَ الأولاَدِ وَالبَنَاتِ تَحتَ الأَشجَار
مَعَ مُمَثِّلٍ بَالِغِ الوَسَامَة . يُرَدِّدُون مَقطُوعَةً مَرِحَةً
أَشبَهَ بِمَقطُوعَةٍ رَعَوِيَّة .
يُلَمِلِمُ البُستَانِيُّ خِفيَةً أَدَوَاتِه
وَيَعُودُ إِلَى كُوخِهِ الخَشَبِيِّ المغَطَّى بِاللِّبلَاب لِلقَيلُولَة .
وَيُمكِنُنِي التَّأكِيدُ (رُبَّمَا بِفِعلِ صَيَاحِ المُمَثِّلِين الصِّغَار) أَنَّ البُستَانِي
يَستَمتِعُ كَثِيرًا - فِي نَومِه - وَهوَ يُحَاوِل
أَن يَقطَعَ - بِالمِقَصِّ الكَبِيرِ - الفُرُوعَ المَائِيَّة
لِلنَّبعِ المُنسَابِ أَبَدًا . بِهَذِهِ الطَّرِيقَة ،
أَستَعِيدُ ، أَنَا أَيضًا ، نَصِيبِي مِن الأَبَدِيَّةِ الهَارِبَة .

أثينا ، 20 يناير 1988

بَـراءة

تحلُّ الزُّهُور، الفَاكهَانِي، الخبَّاز، البَقَّال،
وَالجزَّارُ أبعَدُ قَلِيلًا. تَمُر امرَأَةٌ
حَامِلَةً ثَمَرَةَ خَس كَبِيرَة. يُرَاقِبُهَا الشُّرطِي.
لَكِن كَيفَ يُمكِنُ لِي إثبَاتُ بَرَاءَتِي،
طَالَمَا أَنَّ اللَّيلَ يَحلُّ سَرِيعًا لِيُخفِيَنِي؟
النُّجُومُ تُشَتِّتُ انتِبَاهَنَا بِلَبَاقَة.
وَكُلُّ مَا حَلُمتُ بِه كَانَ وَرَقَةً وَاحِدَةً مُستَحِيلَة
مِن ثَمَرَةِ الخَسِّ الكَبِيرَةِ التِي تَحمِلُهَا المرأَةُ البَائِسَة.

أثينا، 20 يناير 1988

تغيُّـرات

هَؤلاَء الذِينَ رَحَلُوا كَانُوا مِنَّا . افتَقَدنَاهُم .
مَن عَادُوا كَانُوا غُرَبَاءَ تَمَامًا .
لَم يَكُونُوا مُعتَادِين عَلَى وَضعِ نَظَّارَات . الآنَ يَضَعُونَهَا .
فَكَيفَ لَنَا أن نَتَأَكَّدَ أَنَّ لَدَيهِم عُيُونًا وَرَاءَهَا ؟
لاَبُدَّ لَنَا أَن نَرَاهُم وَهُم نَائِمُون ،
حِينَ تَفُوحُ حَقَائِبُ سَفَرِهِم ، المُلقَاةُ مَفتُوحَةً بِالصَّالَة ،
بِالرَّائِحَةِ الغَرِيبَةِ لِلمَلَابِسِ الدَّاخِلِيَّةِ الجَدِيدَة ،
وَفِي الخَارِجِ يَفِيضُ الضَّوءُ الغَامِرُ فِي الشَّارِع ،
مُضِيئًا أَبوَابَ المحَلَّاتِ المُغلَقَة ،
وَمَا لَا يُختَرَقُ يَصبِحُ مَفتُوحًا أَمَامَك ،
لأَنَّكَ لَم يَعُد لَدَيكَ مَا تَشتَرِيه أَو تَبِيعُه .

أثينا ، 23 يناير 1988

هذه اللَّيـلة

هَذِهِ اللَّيلَة ، بَثَّ فِينَا الذُّعرَ الظَّلَامُ الذِي كَانَ أَلِيفًا .
تَجَمَّدَت الأَشجَارُ فِي أَوضَاعٍ مُنذِرَة .
وَالنُّجُومُ القَلِيلَةُ البَاقِيَةُ ، التِي اعتَقَدنَا أَنَّهَا آمِنَةٌ ، اختَفَت .
رَمَت امرَأَةٌ بِزُهرِيَّةٍ مِنَ السِّيرَامِيكِ مِنَ النَّافِذَة .
صَوتُ تَهشِيمِهَا بَلَغَ الجَانِبَ الآخَر دُونَ أَن تُشَوِّشَه المُوسِيقَى .
خَرَجَ الرَّجُلُ الثَّانِي مِنَ البَابِ الأَسفَل مُمسِكًا إِلى صَدرِه بِطَائِرٍ كَبِـيرٍ ، رُبَّمَـا نَعَامَة .
لَكِنَّ صَيحَتَه كَشَفَت أَنَّه طَاوُوس .
فِيمَا بَعد ، بَعدَ مُنتَصفِ اللَّيل ، بَدأ إِضرَابُ السِّكَكِ الحَدِيدِيَّة ،
وَكُلُّ هَؤلَاءِ المنتَظِرِين فِي المحَطَّات
حَمَلُوا سِلَالَهُم ، بَطَاطِينَهُم ، حَقَائِبَهُم وَصَنَادِيقَهم ،
وَانطَلَقُوا فِي المَسِيرَةِ الصَّامِتَةِ لِلسُّجنَاء
الذِين لاَ يَدرُون إِلَى أَينَ يَنقَادُون ، وَلاَ مَن يَقُودُهم .

أثينا ، 23 يناير 1988

مُـرُور

يمُر رَجُلٌ أعرَجُ حَامِلًا تِشِيلُّلو بِلَا حَقِيبَة .
يُحَملِقُ الجَمِيع . بَبَّغَاءُ الجَزَّارِ يَصِيح :
"قُبَّعتُك ، سَيِّدِي ، قُبَّعتُك" - وَبِالفِعل ،
يَخلَعُ الرَّجُلُ قُبَّعَتَه . شُرطِيُّ المرُور
يُشِيرُ بِغَضَب : الضَّوءُ أحمَر !
فَليَتَوَقَّف كُلُّ شَيء - العَرَبَاتُ ، الأَقدَامُ ، الشِّرَاء ،
البَيعُ ، الصُّحُفُ ، الـ -
"عُذرًا ، هَل قُلتَ شَيئًا ؟" ، "لَا ، لَا ، شُكرًا" .

أثينا ، 25 يناير 1988

امتيـاز

أصيلٌ شِتَائِيٌّ هَادِئ . جُندِيَّان فِي أجَازَة
يَتَمَشَّيَانِ عَلَى طُولِ المِينَاء . امرَأةٌ بِكَامِلِ زِينَتِهَا
تَتَفَرَّجُ عَلَى المرَاكِبِ ، وَالرَّافِعَاتِ ، وَعُمَّالِ الشَّحنِ وَالتَّفرِيغ ،
وَالنَّورَسِ الوَحِيدِ الجَاثِمِ فَوقَ أَحَدِ الصَّوَارِي .
يَتَوَقَّفُ الدَّرَّاجُ أَمَامَ وِكَالَةِ الشَّحن .
يُسَلِّمُ حِزمَةً مِن جَرَائِدَ قَدِيمَة .
وَمِن وَاجِهَةِ دُكَّانِ الأَدَوَاتِ المَكتَبِيَّة ،
تَتَفَرَّجُ عَلَيكَ عَارِيَةٌ صَغِيرَةٌ مِن الجِبس .
تُحِسُّ بِالإِطرَاءِ وَالامتِيَاز بِمَا تَمنَحُه لَكَ التَّمَاثِيلُ دَائِمًا مِن حُظوَة ،
مِن أَسرَارِهَا الحَمِيمَة .
هَكَذَا تَشتَرِي حِفنَةً مِن بُذُورِ اليَقطِينِ المُحَمَّصَة
وَتَرمِيهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً فِي المَاء ،
مُدرِكًا أَنَّ التِّمثَالَ الصَّغِيرَ فِي الدُّكَّان يَتَفَرَّجُ عَلَيك .

أثينا ، 27 يناير 1988

رقمٌ مغلوط

تنازُلاتٌ ، إنكارٌ ، مُراجَعات . لا شيء .
والآنَ تجلِسُ عَلَى غيمَةٍ طَرِيَّةٍ ، فِي كُرسِيٍّ قَدِيم ،
وَأنتَ تَتَفَحَّصُ أطرَافَ أصَابِعِك ، المُصفَرَّةَ مِن السَّجَائِر .
تَرُوغُ مِنكَ الأرقَامُ وَالأحدَاث .
الخَسَائِرُ وَالمكَاسِبُ (أيَّةُ مَكَاسِب ؟) لاَ تَعنِيك .
فَقَدتَ عَنَاوِينَ أصدِقَائِكَ القدَامَى .
وَإذَا مَا رَنَّ تِلِيفُونُك ذَاتَ لَيلَة ،
يَجِيئُكَ صَوتٌ غَرِيبٌ ، كَأنَّه مِن بَعِيد .
"آسِف . رَقَمٌ مَغلُوط" .

أثينا ، 2 فبراير 1988

محَـل زُهُـور

كُلُّ مَا كَانَ يَمتَلِكُه أَنفَقَه . بَل حَتَّى أَنفَق
كُلَّ أَسرَارِهِ عَلَى كَلِمَاتٍ مُبهَمَة . استَهلَكَ
أَرصِدَتَه الأَخِيرَةَ مِن السَّمَاءِ فِي طُقُوسٍ صَامِتَة ،
فِي وَلَائِمَ وَهمِيَّةٍ أَكوَابُهَا فَارِغَة ، فِي مُوسِيقَى
بِلَا آلَات . وَهوَ الآنَ صَامِت . وَمَعَ ذَلِك ،
فَهوَ يَعرِفُ أَنَّ بِنَاصِيَةِ "كُورَاكَا" وَ"بَابَانَاستَازيُو"
يَظَلُّ مَفتُوحًا مَحَلُّ زُهُورٍ صَغِيرٌ بَائِس ،
وَالغَرِيبُ أَنَّ هُنَاكَ نَاسًا أَيضًا ،
نَاسًا فُقَرَاءَ عَلَى الأَرجَح ، مَا يَزَالُون يَشتَرُون الزُّهُور .

أثينا ، 5 فبراير 1988

والقصيدةُ أيضًا

كَم هِيَ جَمِيلَةٌ الأَشجَارُ، التِي تُغَطِّي التِّلاَل.
لَقَد أَحَالَ مَايُو كُلَّ شَيءٍ إِلَى أَخضَر. فِيمَا وَرَاءَ الأَشجَار،
المَنَازِلُ الصَّغِيرَةُ البَيضَاءُ تَتَبَادَلُ فِيمَا بَينَهَا
أَحَادِيثَ بَيضَاء وَهَادِئَة - وُصُولُ السُّفُن،
وُصُولُ المُصَيِّفِين، الطُّيُورُ، الغَرَامِيَّات.
"لَكِنَّنِي"، قَال، "رَاحِل". وَالقَصِيدَةُ أَيضًا
وَفَمُهَا مَغلُوقٌ بَصَلِيبٍ مِن شَمع.

كالامُوس، 5 فبراير 1988

أرضٌ محرُوثَـة

مَا يَزَالُ ثَمَّةَ طُيُور . بَل إِنَّهَا تُغَرِّد .
هُنَاكَ أَشجَارٌ ، وَالبَحرُ بِلَا هُمُوم .
سِيقَانُ الكُرُومِ خَضرَاءُ مِن جَدِيد .
الزَّيتُونُ يَكبُرُ فِي الأَغصَان . وَالهَوَاءُ مُفعَم
بِالرَّائِحَةِ الخِصبَةِ لِلأَرضِ المَحرُوثَة .
تُلَاحِظُ لَونَ الجِبَال - تَقرِيبًا زَرقَاء .
تُحَاوِلُ الرَّدَّ عَلَى صَيحَاتِ الطُّيُور ، لَكِنَّكَ لَا تَنجَح .
وَعَينَاكَ تَعُودَانِ دَائِمًا إِلَى الأَرضِ المحرُوثَة ، التِي تَنتَظِر
البَرَاعِمَ الجَدِيدَةَ ، وَالوُرُودَ ، وَالموتَى .

كَالامُوس ، 5 فبراير 1988

القَـارب الأسـوَد

يَجلِسُ الرَّجُلُ العَجُوزُ عَلَى العَتَبَة . اللَّيل .
وَهوَ وَحِيد . فِي يَدِهِ تُفَّاحَة . الآخَرُون
تَرَكُوا حَيَاتَهُم فِي رِعَايَةِ النُّجُوم .
فَمَاذَا يُمكِنُ أَن يَقُولَ لَهُم ؟ فَاللَّيلُ هُو اللَّيل .
بَل إِنَّنَا لَا نَدرِي مَا سَيَحدُثُ فِيمَا بَعد .
القَمَرُ يُسَلِّي نَفسَه فِي فُتُورٍ ، بِلَا انتِهَاءٍ
يُومِضُ عَلَى البَحر . لَكِن فِي قَلبِ
كُلِّ هَذَا البَهَاءِ ، لَا يُخطِئُ أَحدٌ
تَمييزَ القَارِبِ الأَسوَدِ بِمُجَذِّفِه القَاتِم
الذِي يَتَنَاءَى .

أثينا ، 4 مايو 1988

اللَّيـل حَـل

تَأَجَّلَ احتِفَالُ هَذَا المَسَاء .
لَا يُعرَفُ بِأَيِّ مَأتَم
أَو بِأَيِّ فَرَحٍ كَانَ يَتَعَلَّق .
انطَفَأت الأَنوَارُ مَا إِن أُضِيئَت .
مِنَ النَّافِذَةِ ، رَأَينَا العَازِفِين ،
عَادُوا فِي صَمتٍ إِلَى الشَّارِعِ الكَبِير
حَامِلِين عَلَى أَكتَافِهِم
آلَاتِهِم النُّحَاسِيَّةَ الضَّخمَة .
فَلتَبقَ إِذَن هُنَا ،
دَخِّن سِيجَارَتَك
وَسطَ هَذَا الهُدُوءِ الكَبِير
وَسطَ هَذَا العَدَمِ - المُعجِزَة .
صَمَّاءُ بَكمَاءُ هِيَ التَّمَاثِيل .
صَمَّاءُ بَكمَاءُ هِي أَيضًا القَصَائِد . وَاللَّيلُ حَل .

لَاعبُـو الورَق

سَمِعتُ السَّفِينَةُ تَمُر . أَمَّا أَنتَ ، فَكُنتَ مُتَأَخِّرًا .
وَكُنتُ أُحَاوِلُ أَن أَتَذَكَّرَ عُصفُورًا أَبيَض
جَاثِمًا عَلَى هِلبٍ صَدِئ . لَكِنِّي حِينَ أَلقَيتُ نَظرَةً عَبرَ نَافِذَة
الغُرفَةِ السُّفلِيَّة ، مَيَّزتُ فِي الظِّلِّ الخَفِيف
هَؤُلَاءِ الذِينَ كَانُوا يَلعَبُون الوَرَق - الأَوَّل
بِقُبَّعَةِ بَحَّار ، وَالثَّانِي عَارِي الرَّأس ، وَالثَّالِث
بِغشَاوَةٍ سَوداءَ فِي عَينِه اليُمنَى ، وَالرَّابِع
شَابٌّ يُونَانِيٌّ وَسِيم . لَم أَفهَم شَيئًا .
مَلِك ، خَمسَة ، تِسعَةٌ وَسَيِّدَةُ البستُونِي ،
وَوَرَقَةُ "العَدَم" مَخفِيَّةٌ فِي كُمِّي .

زمَـن الثُّـلوج

حَلَّ البَردُ القَارِص . عَصَافِيرُ دُورِي عَابِرَة
تَبقَى عَلَى حَوَافِّ النَّوَافِذ ،
تَنظُرُ بِعُيُونِهَا الصَّغِيرَةِ الحَزِينَة
إِلَى دَاخِلِ المنزِل ؛ تَطرُقُ الزُّجَاج . لَا أَحَدَ يَفتَحُ لَهَا .
فِي الشَّارِعِ ، البَاعَةُ الجَائِلُونَ الصِّغَارُ يُلمِلمُون سِلَالَهُم .
جَمِيعُ رحلاَتِ الخَطِّ البَحرِي أُلغِيَت .
حَلَّت سَاعَةُ الغِطَاءِ الثَّلجِيِّ الكَبِيرِ الأَبيضِ تَمَامًا . وَمفتَاحُ القَبو ،
نَسَوه عَلَى قَاعِدَةِ تِمثَالِ الفَارِس .

تَزَامُـن

صَيدَلِيَّةٌ مُنَاوِبَة ،
مِحَطَّةُ خِدمَةٍ مُنَاوِبَة ،
قَصِيدَةٌ مُنَاوِبَة .
رَائِحَةُ فُرمُول وَيُود
وَالشَّمعدَانَاتُ السَّبعَةُ مُنطَفِئَة .
فِي الممَر الزُّجَاجِيِّ يَتَمَشَّى
العَجُوزُ النَّحِيلُ وَهوَ يُدَخِّن .
"آآي ! آآي !" صَرَخَت المَرأة .
"آآي ! آآيَ !" صَرَخَت مِن جَدِيدٍ ، وَوَلَدَت .

جَـوَاب

بَينَ الأَشوَاكِ البَرِّيَّة
بُرعُمٌ ذَهَبِيٌّ صَغِير
قَال "الآن" .
فَمَاذَا كَانَ بِمَقدُورِكَ أَن تَفعَل ؟
أَنتَ أَيضًا قُلتَ "الآن" .
وَكَانَ الجَوُّ جَمِيلًا .

إقنَـاع

هَذِهِ الوَرَقَةُ الكَبِيرَةُ وَالدَّافِئَة
(لَا أَدرِي مِن أَيَّةِ شَجَرَة)
أقنَعَتنِي مِن جَدِيدٍ
بِالبَقَاء .
اغتَسَلتُ ، تَمَشَّطت .
الآنَ سَأُلَمِّعُ حِذَائِي
وَسَأَنسَى .

سُلَّم

هَذَا السُّلَّمُ الذِي كَانَ يُفضِي إِلَى شُرفَاتٍ كُبرَى
وَإِلَى ذُرَى أَشجَارٍ كُبرَى ،
ذَلِكَ الذِي كَانَ لِلعَجَائِزِ السَّبعِ أَن يَصعَدنَه
فَيَمنَحُهُن أَجنِحَةً تَحتَ قُمصَانِهِن
فِي زَمَنٍ أَعمَى وَعارٍ وَفَارِغ ،
فِي زَمَن لَا يُوصَف ،
هَا هُو الآنَ مَرمِيٌّ عَلَى الأَرض ،
وَشَيئًا فَشَيئًا يُغَطِّيه القُرَّاص ،
مُستَحِيلًا إِلَى تُرَاب ، مُستَحِيلًا إِلَى عُشب ،
يَلتَهِمُه النَّملُ وَالدُّود .

هذه الـ"رُبَّمـا"

رُبَّمَا كَانَت لَهَا قِيمَةٌ مُعَيَّنَة
هَذِهِ الأَشيَاءُ التِي تَرَكنَاهَا وَرَاءَنَا ،
رُبَّمَا كَانَت الأَكوَابُ الاثنَا عَشر تَلتَمِع
عَلَى مَائِدَةِ الوَلِيمَةِ الرَّسمِيَّة ،
رُبَّمَا يُطلِقُون اسمَنَا ذَاتَ يَومٍ
عَلَى قَريَةٍ ، عَلَى جَبَلٍ ، عَلَى شَارِع .
رُبَّمَا . رُبَّمَا . لَكِن هَا هِيَ الآن
هَذِهِ الـ"رُبَّمَا" عَلَى شَفَتَيك
قَد فَقَدَت الوَمِيضَ وَالعُنفُوَان .

إيماءة مُلتبِسة

دَائِمًا مَا تَتَّجِه عَينَاه إِلَى هَذَا المَكَان .
لَا يَرَى أَيَّ شَيءٍ بِالخَارِج . وَمَا إِن وَصَل
حَتَّى تَم ضَبطُه مُتَلَبِّسًا ، وَهو يَحُكُّ نَفسَه
فِي الأُذُن أَو الأَنف . مَعَ ذَلِك ،
فَهوَ يَلتَهِمُ وَجبَاتِه . يَمسَحُ شَفَتَيه
بِالمنشَفَةِ البَيضَاءِ المَكوِيَّةِ جَيِّدًا ، لَكِنَّه رُبَّمَا
خَلفَ هَذِهِ المِنشَفَةِ يُقَدِّمُ خِفيَةً مَا يُؤكَل
إِلَى شَقِيقِه الأَصغَرِ الخَفِي - المسِيح .

أجمَـل

لاَ شُهُودَ لَدَيكَ عَلَى أَخطَائِك . الشَّاهِدُ الوَحِيد: أَنت . رَتَّبتَ ، أَشَّرتَ
وَخَتَمتَ كُلَّ ذَلِك
فِي مَلَفَّاتٍ مُتَوَازِنَةٍ دَائمًا كَأَنَّكَ كُنتَ تُعِد
وَصِيَّتَكَ القَانُونِيَّة . ثُم صَفَفتَهَا بِعِنَايَةٍ عَلَى الرُّفُوف . وَالآن ، هَادِئًا
(وَرُبَّمَا مُرتَاعًا إِلَى حَدٍّ مَا) تَتَحَاشَى أَيَّ تَأخِير
أَو تَسَرُّعٍ خَشيَةَ أَن نَكتَشِفَ بَعدَ مَوتِك
كَم كُنتَ جَمِيلًا ،
أَجمَلَ بِكَثِيرٍ ، آهِ نَعَم ، مِمَّا تَقتَضِيه فَضَائِلُك .

مَا لَا يُنقَـل

كَانَ يَحرِصُ عَلَى مُكَافَأةِ شَخصٍ مَا وَيَبحَث مِن أَجلِ ذَلِك
دَاخِلَه وَحَولَه عَن شَيءٍ مَا جَمِيل . نَعَم ، مُكَافَأَةُ شَخصٍ مَا
أَسدَى مَعرُوفًا إِلَيه . لَكِنَّه لَم يَكُن يَتَذَكَّر:
مَن ، مَتَى ، أَين ، أَيَّ مَعرُوف ؟ مَعَ ذَلِك ، كَانَ يَحتَفِظُ بِالإِحسَاسِ بَالِغِ الرَّهَافَة
بِمَعرُوفٍ مَا صَامِتٍ وَعَمِيقٍ أَسدَاه إِلَيه . وَالآن
يَلمَحُ الظِّلَّ الأَزرَقَ لِتورَسٍ عَلَى الحَصَى الأَبيَض
وَيَمُدُّ ذِرَاعَه لِيُشِيرَ إِلَيه . لَكِن
لَم يَكُن هُنَاكَ مِن أَحَدٍ حَولَه لِيَرَاه .

في النِّهايَـة

كَانَ العَازِفُون قَد رَحَلُوا مُنذُ وَقتٍ طَوِيل . بَعضُ النَّغَمَات
كَانَت مَا تَزَالُ تَتَرَدَّدُ فِي المِرآةِ الكَبِيرَة . وَكَانَت خَادِمَتَان
تُطفِئَان الثُّرَيَّات . نَهَضَ سَيِّدُ المنزِل
مِن مِقعَدِه الوَثِيرِ بِلَا كَلِمَة ، مَسحُوقَ القَلب ،
وَأَحصَى المَقَارِئَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً بِلَمسِهَا بِإصبَعِه لِلتَّأكُّد
مِن أَنَّهَا غَيرُ مَنقُوصَة . تَوَقَّفَ بِضَع ثَوَانٍ أَمَامَ البَابِ المَسدُود
لِغُرفَةِ المُنتَحِر . ثُم
نَادَى عَلَى كَلبِه: "جَاك ! جَاك !" .
ظَهَرَ جَاك ، طَوِيلَ الشَّعرِ ، ضَخمًا كَأَسَد .
أَسلَمَه قِيَادَه فَقَادَه إِلَى الحَدِيقَةِ العَامَّةِ لِيَقضِي حَاجَتَه .
فِي مُنتَصَفِ اللَّيلِ ، لَم يَكُونَا قَد عَادَا بَعد .
خَرَجَت السَّيِّدَةُ إِلَى الشُّرفَةِ . وَكَانَ القَمَرُ يَلتَمِع .

فِي سَـاعة مَطر

طَائِرَاتُ وَرَقٍ قَدِيمَةٍ مُمَزَّقَة ، تَحتَجِزُهَا الخُيُوط
فِي الأَشجَارِ العَارِيَةِ وَأَسلَاكِ التِّلِيغرَاف
تُفَرقِعُ فِي الرِّيح . فَجأَةً
هَطَلَ وَابِلٌ عَنِيفٌ وَفَتَح البَائِعُ الشَّابُّ المُتَجَوِّل
مِظَلَّةً سَوداءَ كَبِيرَةً فَوقَ عَرَبَتِه
لِيَحمِي بُرتُقَالَه . هَذَا التَّنَافُر
بَينَ البُرتُقَالِ الذَّهَبِيِّ وَالمِظَلَّةِ السَّوداء
أُضِيفَ إِلَى صَوتِ المَطَر ، لِيُثرِي
الجَمَالَ القَاتِمَ وَالعَصِيَّ عَلَى التَّفسِيرِ لِلعَالَم .

كُتبت قصائد "آخر الليل" في أثينا وكالامُوس، من أول يناير إلى 4 مايو 1988. وأُعيدت مراجعتها وصياغتها في كالاموس وساموس من 14 يوليو إلى 29 يوليو 1988. وقد تم حذف أربع عشرة قصيدة.

ي. ر

IV

دقَّـات سَاعة الحائِـط[*]

1989-1988

[*] المقاطع مرقمة؛ لكن ثمة فجوات في الترقيم مطابقة للأصل اليوناني. وربما حذف ريتسوس - خلال المراجعة - بعض المقاطع، ولم يتسع له الوقت لكتابة مقاطع بديلة.

[1]

اللَّيلَةَ المَاضِيَةَ ، مَرَّ بِي فِي الشَّارِع
الرَّجُلُ الأَعمَى العَجُوز .
كَانَ يُمسِكُ بِزَهرَةِ رَبِيع -
حُجَّتِي الأَخِيرَة .

[2]

حَتَّى شَجَرَة الدَّردَار
مَعَ قُدُومِ المَسَاء
أَحيَانًا مَا تَنظُرُ إِلَى نَفسِهَا فِي المِرآة .
آنَئِذٍ ، تَكتَسِي الوُجُوهُ بِمَزِيدٍ مِنَ اللَّون .

[3]

فِي مُنتَصَفِ الصَّالَةِ الشَّاسِعَة
مِنضَدَةٌ كَبِيرَة

فَوقَهَا صُندُوقُ تشِيلُّلو فَارِغ .
هَل تَذكُر ؟

[4]

وَهيَ تَهبِطُ السَّلاَلِم ،
سَقَطَت مِن شَعرِهَا وَردَة .
لَم أَلتَقِطهَا .

[5]

تَكُونُ أَفضَلَ حِينَ لَا تَقُولُ شَيئًا .
فَلتَقُل "غَدًا"
وَسَتَكُونُ كَاذِبًا .
فَاللَّيلُ لاَ يَستَطِيعُ إِخفَاءَك .

كارلوفاسي، 20 أغسطس 1988

[7]

هَذَا العَام ، لاَ تَستَدِير
زُهُورُ عَبَّادِ الشَّمس نَحوَ الشَّمس .

تُحني رُؤُوسَهَا ،
مُحَملِقَةً فِي الأَرضِ الجَافَّة .

[8]

فَلتَتَسَاءَل عَمَّا تُفَكِّرُ فِيهِ الطُّيُور
فِي بِدَايَاتِ الخَرِيف
عِندَمَا تَتَسَمَّرُ عَرَبَةُ اليَد
بِمَا فِيهَا مِن أُصُصِ الزُّهُورِ الفَارِغَة
فِي ظِلِّهَا
وَتَكُونُ لِلصُّخُورِ العَارِيَة
الكَلِمَةُ الأُولَى وَالأَخِيرَة .

[9]

الرِّيشَةُ البَيضَاءُ
لِطَائِرٍ مُهَاجِر
حَطَّت وَسطَ المُلصَقَات .
الحَدُّ الأَدنَى مِنَ العَوَالِم –
كُل العَالَم .

[10]

رَحَلَ البَعضُ بِالقَارِب ،
وَالبَعضُ بِالقِطَار .
ظَلَّت السَّيِّدَةُ العَجُوزُ فِي الوَرَاء
مَع مِغزَلِهَا
وَجَرَّةٍ مِن فخَّار .
الخَرِيطَةُ عَلَى الحَائِطِ فَارِغَة .

[12]

جُنُودُ الأَمس عَجَائِز الآن .
الكَلِمَاتُ أَيضًا تَنقَرِض .
وَعَلَى المِنضَدَةِ بَيضَةٌ وَاحِدَة .

[13]

الأَحجَارُ التِي رَسَمتَ عَلَيهَا
- وُجُوهًا وَأَجسَادًا جَمِيلَة -
تَترُكُكَ بَارِدًا .
وَالدُّخَانُ المتَصَاعِدُ مِن سِيجَارَة
مُترُوكَةٍ مُشتَعِلَةً فِي مِطفأَة

هُو دُخَانٌ مِن مَدفأَةٍ
فِي إِيثَاكَا مَا ضَائِعَة - وَ"بِنِيلُوب"
تَجلِسُ إِلَى نُولِهَا
مَيِّتَة .

[14]

مُعظَمُ العُملاَتِ الذَّهَبِيَّة
أَخفَيتُهَا فِي شُقُوقِ الحَائِط .
مَن يَدرِي ، فَرُبَّمَا يَعثُرُونَ عَلَيهَا
حِينَ يَهدِمُون المَنزِل .

[16]

مَدَّدُوا الغَرِيقَ عَلَى رَصِيفِ الشَّحنِ وَالتَّفرِيغ .
كَانَ شَابًّا ، وَوَسِيمًا .
وَالسَّاعَةُ فِي مِعصَمِه الأَيسَر
كَانَت مَا تَزَالُ تَدُق .

[20]

إِذَا مَا كُنتُ قَد أَخبَرتُكَ بِأَكَاذِيب ،

فَلَم يَكُن هَدَفِي أَن أَخدَعَك
بَل فَحَسب لأُحمِيك
مِن ظِلِّك .

[21]

كُل أَوسِمَتِه الذَّهَبِيَّة
مُعَلَّقَةٌ عَلَى الحَائِط ،
وَهوَ تَحتَ التُّرَاب
بِسِنَّتَين ذَهَبِيَّتَين .

[23]

انفَتَحَ البَابُ مِن تِلقَاءِ ذَاتِه .
لَا أَحَد هُنَاك .
هُو الوَقتُ الذِي تَعَلَّمتَ فِيه
أَن تَتَوَقَّف مُنتَظِرًا .

[24]

حَجَرٌ فَوقَ الآخَر :

لَا يَقُوم بِبِنَاء مَنزِل .
كَلِمَةٌ بَعدَ الأُخرَى -
كَلِمَاتٌ فَحَسب - لَا قَصِيدَة .

[28]

ذَاتَ يَومٍ كَانَ لَدَيكَ حِصَانٌ شَاهِقُ البَيَاض .
لِجَامُه الآن
حَولَ رَقَبَتِك .
إِلَى أَينَ يَأخُذُك ؟

[29]

هَذِهِ الأَشيَاءُ البَسِيطَةُ ، المُعتَادَة
أَصبَحَت أَصدِقَاءَه .
الآنَ يَجلِسُ مَعَهُم فِي صَمت
وَيُشعِلُ سِيجَارَة - نَجمَتَه الوَحِيدَة .

أثينا ، 28 سبتمبر 1988

[35]

يُمسِكُ بِيَدِ الرِّيح .

مَعًا ، يُمكِنُهُمَا الذَّهَابُ إِلَى أَيِّ مَكَان .
لَا يَذهَبَان . بَدَلًا مِن ذَلِك ، يَجلِسَان
وَكُلٌّ مِنهُمَا يُخفِي الآخَر .

أول أكتوبر 1988

[37]

تَذوِي الكَلِمَاتُ بِمُرُورِ السِّنِين .
تَبقَى كَلِمَةُ أُم
مَعَ بَسمَةٍ خَفِيَّة
وَمِندِيلٍ أَسوَد .

[38]

أَجنِحَتُك أَصبَحَت بَالِغَةَ الضَّخَامَة .
الأَفضَلُ أَن تُشَذِّبَهَا
بِمحَلِّ الحِلَاقَةِ فِي الزَّاوِيَة .
فَقَط لَا تَنظُر فِي المرآة .

[40]

تَذُوبُ العَنبَرِيَّةُ[*] بِبُطء ،

[*] العنبرية: مادة شمعية تُستخرج من زيت الحوت المعروف بحوت العنبر.

فَتَقطُرَ الشَّمعَ عَلَى أَورَاقِي
لَعَلَّهَا فَقَط تُخفِي
الكَلِمَاتِ السَّودَاء .

[41]

لَم يَستَسلِم . أَرَادَ أَن يَضَعَ
شَيئًا مَا جَمِيلًا أَمَامَ اللَّيلِ المُتَقَدِّم .
لَكِنَّ كُلَّ شَيءٍ جَمِيلٌ شَفَّاف ،
وَمِن نَاحِيَةٍ أُخرَى فَيُمكِنُه دَائِمًا أَن يَرَى
مَرج الزَّنَابِق .

[42]

قَبلَ أَن أَستَطِيعَ العَدَّ إِلَى عَشرَة
عَلَى أَصَابِعِي
يَحِل اللَّيل –
تَارِكًا لَنَا
خُبزًا ، بِلَا أَحلَام .

4 أكتوبر 1988

[43]

مَرَّةً أخرَى حَاولَ أن يَصعَد
السَّلَالِمَ الكَبِيرَة .
لَم يَنجَح .
عَادَ هَابِطًا ،
مُتَّكِئًا عَلَى تَعَبِه .

[44]

زَمَنٌ لِلمَحذُوفَات ،
لِلابتِسَامَاتِ المُلتَبِسَة .
النَّبِيذُ بِلَا طَعم
فِي الكُؤُوسِ الاثنَي عَشر .
الكَأسُ الثَّانِيَةُ عَشرَة فَارِغَة .

أثينا ، 5 أكتوبر 1988

[49]

رَحَلَت الطُّيُورُ ، وَأَورَاقُ الشَّجَرِ ، وَالنُّجُوم .
الآن ،
أَيَّةُ رِحلَةٍ يُمكِن أن تَقُومَ بِهَا

فِي قَطرَة
مَاء ؟

6 أكتوبر 1988

[51]

ذَاتَ مَرَّةٍ ، حَمَاكَ القَمَر
مِن كَآبَتِه .
الآنَ ، يَستَدِيرُ بَعِيدًا ،
بَلِيدًا فِي تَقَادُمِه ،
مُتَرَفِّعًا فِي صَمتِه ،
مَهجُورًا .

7 أكتوبر 1988

[52]

لَا طَرِيقَ فِي الأَمَام .
لَو اَستَطَعتَ فَحَسب العَودَةَ إِلَى الوَرَاء ،
فَرُبَّمَا تَجِد
عُصفُورًا يَنتَظِر
فِي الحَدِيقَةِ القَدِيمَة .

12 أكتوبر 1988

[56]

تُمَاطِلُ بِألاَعِيبَ غِنَائِيَّة .
تَنظُرُ إِلَى نَفسِكَ فِي المَاءِ ، وَتَحلُم .
حَسَنًا ، فَعَلَى الأَقَل مَا تَزَالُ لَدَيكَ مَلاَمِحُك نَفسُهَا .
وَهَذِهِ التَّجَاعِيدُ أَعلَى جَبِينِك
هِي انعِكَاسُ المَاء ،
المُرتَعِشِ بِالانفِعَال .

[57]

بِالثِّقَةِ الكَبِيرَةِ لِشَخصٍ
تَخَلَّى عَنه الأَمَل ،
يَتَخَفَّى وَرَاءَ ابتِسَامَتِه .
يُعطِي الأَطفَالَ حَلوَى
والرِّجَالَ العَجَائِزَ بَالُونَات .

[59]

لِمَاذَا تُحَاوِلُ الرُّؤيَةَ لِمَا هُو أَبعَد ؟
سَيِّدَاتُ الخِدَاعِ الثَّلاث
يُخفِين نِصفَ وُجُوهِهِن

وَرَاءَ مَرَاوِحِهِن .

[61]

إِلَى أَينَ تَمضِي هَذِهِ الأَيَّام ؟
هَل تَذكُرُ أَحَادِيثَكَ القَصِيرَة
مَع عُصفُورٍ ، أَو مَعَ قَمَرٍ صَغِير
كَتَبَ اسمَكَ عَلَى التَّمَاوُجَات
أَلفَ مَرَّةٍ ، وَتَعَرَّفتَ عَلَيه ،
وَكُنتَه ؟

15 أكتوبر 1988

[65]

أُنبُوبُ المَوقِدِ صَدَأ ،
وَالمِرآةُ تَصَدَّعَت . مَن ذَا الذِي
يَنَامُ فِي سَرِيرِنَا ،
طَائِرًا أَسوَدَ
جَاثِمًا عَلَى جَبهَتِه ؟

16 أكتوبر 1988

[69]

عَبرَ الشَّارِع ، الوَاجِهَات
مُشرِقَةٌ بِالشَّمس .
الأَولَادُ يَلعَبُون فِي فِنَاءِ المَدرَسَة .
ظِلُّ طَائِرَةٍ تُحَلِّقُ مُنخَفِضَة
يُومِضُ عَلَى الشُّرفَة ،
عَلَى حَمَامَتَين تَتَغَازَلَان .
وَأَنت ، وَحِيدًا مَعَ صَفحَاتِكَ الفَارِغَة .

20 أكتوبر 1988

[70]

المِرآةُ التِي كَانَت ذَاتَ يَومٍ مُشرِقَة
بِنِسَاءٍ جَمِيلَات
عَمياءُ الآن . فِي هَذِهِ الصَّالَة ،
مَرمِيًّا حَيثُ سَقَط عَلَى السِّجَّاد ،
انطَفَأ الشَّمعَدَانُ الفِضِّي .

[71]

لم تَعُد نَوَافِذُنَا تَسمَح

بِمَشَاهِدِ الصَّبَاحِ الطَّبِيعِيَّة ، وَسَمَاوَاتِ المَسَاءِ ذَاتِ النُّجُوم .
الآنَ لَيسَ سِوَى السَّوَاد
مَربُوطًا مِن أَعلَى لأَسفَل
بِشَرَائِطَ عَرِيضَةٍ مِن الشَّاش .

21 أكتوبر 1988

[73]

مَا هُو أَبيَض فَارِغ .
أَكتُبُ كَلِمَةً عَلَى صَفحَة
بَيضَاء - ثُقب
فِي الفَرَاغ . خِلَالَ الثُّقب
أَرَى مَركَبَاتٍ تَمضِي ،
وَفَتَاةَ الوَردِ الصَّغِيرَةَ تَضَع
بَاقَاتٍ صَغِيرَةً مِن اليَاسمِين
عَلَى مَنَاضِدِ مَقَاهِي الطَّبَقَةِ العَامِلَة .

[74]

السَّائِرُ عَلَى الحَبلِ المَشدُودِ ، المَرِيض ،
يُحَاوِلُ المُحَافَظَةَ عَلَى تَوَازُنِه

بِالحِسَابِ الدَّقِيق
لِكُلِّ ذَبذَبَةٍ ضَئِيلَة . فَضلًا عَن
النَّوَافِذِ الأَربَع المُوَاجِهَةِ لِعَمُودِ التَّهوِيَة .

[76]

صَوتُ الخُيُولِ
الرَّاكِضَةِ خِلَالَ اللَّيل .
فَتَحتُ النَّافِذَة .
نُجُومٌ بِلَا انتِهَاء .
وَإِذَا مَا صَفَّرتُ ، فَسَتَأتِي أَنت .

22 أكتوبر 1988

[77]

مَطَرٌ طوَالَ النَّهَار .
الأَولَادُ يَقِفُون فِي مَحَطَّاتِ الأُتُوبِيس
مَبلُولِين .
وَأَنتَ فِي نَافِذَتِك -
تَبذُلُ مَا فِي وُسعِك لِتُحَوِّل كِيمِيَائِيًّا
قَطرَةَ مَطَر

إِلَى مَاسَة .

[78]

إِلَى الخَلفِ إِذَن - طَالَمَا أَنَّه البَرد .
لَا دِفء ، لَا سَجَائِر .
لِهَذَا يُشعِلُون عُودَ ثِقَاب ،
يُضرِمُون النَّارِ فِي المَخطُوطَات .
يُضِيئُون مَوتَهم .

23 أكتوبر 1988

[80]

حِينَ لَم يَعُد يَنفَعِلُ بِالأَحدَاث ،
أَو الأَحلَام ،
خَلَعَ فَردَةَ حِذَاء ،
وَأَبقَى عَلَى الأُخرَى .
يَستَلقِي فِي سَرِيرِه
مُتَظَاهِرًا بِالنَّوم ،
وَيُطفِئُ السِّيجَارَةَ فِي فَمِه .

20 أكتوبر 1988

[81]

عَلَى مَرِّ الزَّمَنِ ، أَسمَاءُ الأَشيَاء
لَم تَعُد مُنَاسِبَة . دُخَانُ السَّجَائِر
يَملأُ المَنزِل . النِّيكُوتِين
يُسَمِّمُ شِفَاهَ الصَّمت .
غَدًا ، لَابُدَّ مِن شِرَاءِ مِظَلَّة .

20 ديسمبر 1988

[82]

نَعُودُ إِلَى مَا هَجَرنَاه ،
إِلَى مَا هَجَرنَا . فِي أَيدِينَا ،
مَجمُوعَةُ مَفَاتِيح لَن تَفتَح
دُرجًا أَو حَقِيبَةً أَو بَابًا -
نَخبِطُ بَعضَهَا فِي بَعضٍ وَنَبتَسِم
لأَنَّه لَم يَعُد هُنَاكَ مَن نَخدَعُه -
وَلاَ حَتَّى أَنفُسنَا .

1 يناير 1989

V

صَفِيــر السَّــفينَة

1989

(لم يكتمـل هذا القسم)

الصَّيف الأخِيـر

أَلوَانُ الوَدَاعِ فِي المَسَاء.. هُو وَقتُ مِلء
حَقَائِبِنَا الثَّلاَث : كُتُب ، أَورَاق ، قُمصَان..
لَا تَنسَ الثَّوبَ الأُرجُوَانِي الذِي تَبدُو فِيه جَمِيلًا ،
حَتَّى لَو كُنتَ لَن تَرتَدِيه هَذَا الشِّتَاء .
فِي الوَقتِ نَفسِه ، فِي الأَيَّامِ القَلِيلَةِ البَاقِيَة ، سَأُرَاجِع
السُّطُورَ التِي كَتَبتُهَا فِي يُولِيُو وَأَغسطُس -
رَغمَ أَنِّي لَا يُمكِنُنِي التَّوَقُّفُ عَن التَّفكِيرِ فِي أَنَّنِي لَم أُضِف شَيئًا ،
أَنَّنِي فِي الوَاقِعِ حَذَفتُ الكَثِير ، لأَنَّ مَا يُومِضُ خِلَالَ هَذِهِ السُّطُور
هُو شَكٌّ كَامِنٌ فِي أَنَّ هَذَا الصَّيف ،
بِمَا فِيه مِن زِيزِ حَصَادٍ ، وَأَشجَارٍ ، وَمُحِيط ،
وَصَفِيرِ السَّفِينَةِ الذِي يَنطَلِقُ فِي غُرُوبٍ مَجِيد ،
وَقَوَارِبَ شِرَاعِيَّةٍ تَتَمَايَلُ تَحتَ شُرفَاتِ ضَوءِ القَمَر ،
وَحُنُوِّه المَزعُوم - سَيَكُونُ صَيفِي الأَخِير .

كارلوفاسي، 3 سبتمبر 1988

للمترجم : رفعت سلَّام

1 – أعمال شعرية

وردة الفوضى الجميلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1987 .

إشراقات رفعت سلاَّم (طبعة غير كاملة) ، القاهرة 1987 ؛ الطبعة الكاملة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1992 .

إنها تُومئ لي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة 1993 ؛ سلسلة "نوافذ" ، القاهرة 1996 ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ، القاهرة 2005 .

هكذا قُلتُ للهاوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1993 .

إلى النَّهار الماضي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1998 .

كأنَّها نهاية الأرض ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة 1999 .

حجرٌ يطفو على الماء ، دار "الدار" ، القاهرة 2008 .

هكذا تكلَّم الكَركَدن ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ، القاهرة 2012 .

ديوان رفعت سلاَّم ، الجزء الأول (يضم "وردة الفوضى الجميلة" ، "إشراقات رفعت سلاَّم" ، "إنها تومئ لي" ، "هكذا قلت للهاوية") ،

ديوان رفعت سلام، الجزء الثاني (يضم "إلى النهار الماضي" ، "كأنها نهاية الأرض" ، "حجر يطفو على الماء" ، "هكذا تكلم الكركدن") ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2013 .

أرعَى الشَّيَاه عَلَى المِيَاه (تحت الطبع).

2 – دراسـات

المسرح الشعري العربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1986 .

بحثًا عن التراث العربي: نظرة نقدية منهجية ، دار الفارابي ، بيروت 1990 ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1990 ؛ (مكتبة الأسرة) 1996 .

بحثًا عن الشّـعر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة 2010 .

3 – ترجمـات

بوشكين: الغجر . . وقصائد أخرى ، دار ابن خلدون ، بيروت 1982 ؛ طبعة مزيدة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ، القاهرة 2010 .

ماياكوفسكي: غيمةٌ في بنطلون . . وقصائد أخرى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة 1985 ؛ طبعة مزيدة: المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 1998 .

كربرشويك: الإبداع القصصي عند يوسف إدريس ، دار شهدي ، القاهرة 1987 ؛ طبعة كاملة: دار سعاد الصباح ، القاهرة والكويت 1993 .

ليرمونتوف: الشيطان . . وقصائد أخرى ، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات ، الشارقة 1991 ؛ دار نفرو ، القاهرة 2007 .

يانيس ريتسـوس: اللـذّة الأولى (مختارات شعرية) ، الملحقية الثقافية اليونانية، القاهرة 1992 ؛ دار الينابيع ، دمشق 1997 .

هذه اللحظة الرهيبة (قصائد من كرواتيا) ، المركز المصري العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة 1997 .

يانيس ريتسوس: البعيـد (مختارات شعرية شاملة) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997 .

جريجوري جوزدانيس: شعـرية كفافي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 1999.

دراجو شتامبوك: نجومٌ منطفئةٌ على المنضدة ،(صدرت – خطأً – بعنوان "لغة

التمزق") ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 2001 ؛ الطبعة الصحيحة: دار نفرو ، القاهرة 2007 .

شارل بودلير: الأعمال الشعرية الكاملة ، دار الشروق ، القاهرة 2010 ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ، 2015 .

أنا -الآخَـر (مختارات شعرية عالمية) ، مؤسسة البابطين ، الكويت 2011 .

قُسطَنطِين كفَافِيس: الأعمَال الشِّعريَّة الكَاملَة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة 2011 .

آرثَر رَامبُو: الأعمَال الشِّعريَّة الكَاملَة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2012 .

اكسينيا ميهايلوفَا: في انتظار الريح ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة 2013.

والت ويتمان: أوراق العشب (الأعمال الشعرية الكاملة) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2017 .

4 - مراجعـة

سوزان برنار: قصيدة النثر من بودلير حتَّى الآن ، ترجمة راوية صادق ، دار شرقيات، القاهرة 1998/ 2000 .

برنار نويل ، ماجريت ، ترجمة راوية صادق ، دار شرقيات ، القاهرة 2001 .

جان ديفاسًّا نياما ، ثلاثية "الكالبَاس" الروائية ، ترجمة عاطف عبد المجيد ، د . نسرين شكري ، إيمان رياح ، سلسلة الجوائز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2010 .

فيليب كلوديل ، تقرير بروديك ، ترجمة لطفي السيد ، سلسلة الجوائز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2013 .

❖

سُوناتا ضَوء القمَر

[2]

مصَائر (1977) 5

طِين (1978) 11

أوتارٌ منفردة (1979-1980) 31

ظلَال الطُّيُور (1980) 77

إيروتيكَا (1981) 121

معزوفة صغيرة من مقام كبير أحمر 123؛ جسدٌ عريان 157؛ كلمة شبقية 205؛

قصائد أخرى 221

تسبيحة 223؛ ساعة الغناء 224؛ دعوةٌ صغيرة 225؛ مُتوالية 226؛ رياحٌ موسمية 227؛ الصيف في المدينة 228؛ مساعدة 230؛ المنتصر 232؛ التَّل 234؛ نُقصَان 236؛ بلَا نقَاد 239؛ إدراك 242؛ استعداد 244؛ جذُور العَالَم 246؛ رجالنا العجائز 248؛ 6 نوفمبر 1948 251؛ 12 نوفمبر 1948 253؛ 27 نوفمبر 1948 255؛ 21 نوفمبر 1948 256؛ 24 نوفمبر 1948 258؛ 26 نوفمبر 1948 260؛ 27 نوفمبر 1948 262؛ 30 نوفمبر 1948

263؛ 1 ديسمبر 1948 264؛ 7 ديسمبر 1948 265؛ 23 يناير 1949 266؛ 26 يناير 1949 267؛ 30 يناير 1949 268؛ 1 مايو 1950 269؛ 6 مايو 1950 270؛ 7 مايو 1950 271؛ 19 مايو 1950 272؛ 24 مايو 1950 274؛ 30 مايو 1950 276؛ سلَام 277؛ الأيدي 281؛ حتى الفَجر 282؛ مكانٌ خاص 284؛ صيفٌ في ديمينيو 285؛ أجساد 286؛ عبَّاد الشمس 287؛ ظَهيرةُ صَيفٍ في كارلوفاسي 288؛ غياب 289؛ ليليَّـة 290؛ حزن صيفي 291؛ المركـز 293؛ فـلاَّح 294؛ منزل هيلين 295؛ احتمالات 296؛ عاريًـا 297؛ مراهقة 298؛ ألوانٌ مؤكدة 299؛ أغنية صغيرة إلى إرِي 300؛ الليلة غير المملَّة 301؛ بلا انتظار 302؛ عطلة مدرسية 303؛ هدُوء 304؛ قصيدة غنائية 305؛ فِرَاق 306؛ مجد خفي 307؛ الرجل ذو الذراع الوحيدة 308؛ بهلوانيَّـات 309؛ تقديـر 310؛ موضوع رسم زيتي 311؛ المنزل القديم 312؛ الأُوبُول الأخير 313؛ خِدعـة 314؛ تقرير إخباري 315؛ مربَّع تقريبًا 316؛ الوصية الأخيرة والشهادة 317؛ الرجل المتأهِّب 318؛ دَم 319؛ السائر على الحبل 320؛ الفنَّـان 321؛ كلمةٌ واحدة 322؛ بَعث 323؛ ذرائع جديدة 324؛ اعتلالٌ طفيف 325؛ بلا قَوَام 326؛ تعميم الشَّك 327؛ ارتحالات I 328؛ ارتحَـالاَت II 329؛ مصير المراقِب 330؛ حضُور 331؛ نتائج معروفة 332؛ حدَثٌ ليلي 333؛ الآبار والناس 335؛ جواز مرور مزوَّر 336؛ أوقاتٌ غريبة 337؛ تَدهور 339؛ بلا مساومة 340؛ أمانة 341؛ علاقَـة 343؛ الضحكة 344؛ في المطر 345؛ متعدد الأبعاد 346؛ براءةٌ مطلقة 347؛ بلا مرآة الآن 348؛ وجهٌ عريَـان 349؛ حكمـة 351؛ التزاماتٌ غير مؤكدة 353؛ تعرية المشنوق 355؛ الرجل الآخر 356؛ معجزاتٌ مشتركة 357؛ كصلاة 358؛ انقراض 359؛ عاريةٌ بالتدريج 360؛ شهودٌ في كل مكان 361؛ جاذبية الأرض 362؛ هناك 363؛

التمثال في المقهى 364؛ 1972 366؛ أنفاسٌ عميقة 367؛ بَـاب 368؛

في آخر الليل (1991) 369

I نفي الصَّمت.....371

مساعٍ ضالة 373؛ في ذلك الحين 374؛ معرفةٌ مريرة 375؛ نسيان 376؛ تلميحات 377؛ الدخيل 378؛ كلماتٌ ختامية 379؛ ربَّمـا 380؛ المجنون 381؛ حادثـة 382؛ حصادٌ هزيل 383؛ فتُـور 384؛ فـرار 385؛ أمارات 386؛ حَل العُقدة 387؛ شفافيةٌ بلا جدوى 388؛ اهتداء 389؛ أخبارٌ أليمة 390؛ حَـج 391؛ الوطن 392؛ ساعة الخفاء 393؛ تذييل 394؛ ليس تمامًا 395؛ صيفٌ آخر 396؛ ناسٌ وحقائب 397؛ الكلمة الأخيرة 399؛ عمُـود 400؛ ما لا وزنَ له 401؛ طبوغرافيا 402؛ حلمٌ غريب 404؛ الثانية بعد الظُّهر 405؛ بساطةٌ ما 406؛ ليلـة 407؛ غيابَـات 408؛ غير مكتوب 409؛ إخفاق 410؛ بلا توافق 411؛ في المستشفى 412؛ المستعصِي 413؛ شُـرُود 414؛ لا وقت 415؛ ليس سوى ذلك 416؛ طريق السلامة 417؛ هذا دائمًا 418؛ الخروج من السجن 419؛ قَبُـول 420؛ محتُـوم 421؛ أيضًا 422؛ مشهد قروي 423؛ مفاجئ 424؛ بعد طروادة 425؛ انفصالات 426؛ فُروض المساء 427؛ الاندهاش نفسُه 428؛ معيار الزمن 429؛ الشاعر 430؛ حنين 431؛ بحثٌ عبثي 432؛ اضطراب 433؛ شيخوخة 434؛ زاهدون 435؛ الزمن 436؛ المتمرد 437؛ بقايَـا 438؛ افتقـار 439؛ الكنيسة الملغاة 440؛ جوابٌ مراوغ 441؛

II الشجرة الجرداء.....443

مفاتيح بلا فائـدَة 445؛ في الصَّـمت 447؛ الخَـوف الآخَـر 448؛ نُضُـوب 450؛ التماثِيـل ونَحن 451؛ مِن زمَن آخَـر 452؛ حديقةٌ في خـريف 454؛

رُكُود 454؛ ارتحالاتٌ متنَـاثرة 455؛ منضدَة العمَـل 457؛ معرفَـة الذات 458؛ الجلُوس خارجَ المطَر 459؛ أحجَـارٌ مرسـومة 460؛ تأريخٌ صغير 461؛ هذه الرؤية 462؛ رَد اعتبار 463؛ هروبٌ مستحيل 465؛ واجبٌ خريفي 466؛ نسخة 468؛ محادثة صريحة 469؛ لا شيء آخر 470؛ يقظـة 471؛ المنزل الغريب 472؛ الفانوس المنطفئ 474؛

III فِي آخر اللَّيـل.....477

جمُـود 479؛ كمَا أبـدًا 480؛ لاَ شَـيء 481؛ صَوت الجَـرس 482؛ تفَاهَـات 483؛ حظًّا سَعيدًا 484؛ تَـوَازُن 485؛ تحولاَت اللحظة الأخيرة 486؛ مسَـامير 487؛ إخـلَاء 488؛ لَا شَـيء 489؛ أبديَّـات 490؛ المحاكمَـة 491؛ حتَّى ذات ليلـة 492؛ الوضـع الأَصلي 493؛ مراحِـل التَّعَب 495؛ في الحدِيقَـة 496؛ براءة 497؛ تغيـُّرات 498؛ هذه الليلة 499؛ مرُور 500؛ امتيَـاز 501؛ رقم مغلوط 502؛ محل زهور 503؛ والقصيدة أيضًا 504؛ أرضٌ محروثة 505؛ القارب الأسود 506؛ الليل حَل 507؛ لاعبو الورق 508؛ زمن الثلوج 509؛ تزامُـن 510؛ جواب 511؛ إقنَـاع 512؛ سُـلَّم 513؛ هذه الـ"ربَّما" 514؛ إيماءة ملتبسة 515؛ أجمل 516؛ ما لا يُنقل 517؛ في النهاية 518؛ في ساعة مطر 519؛

IV دقَّـات ساعة الحائط.....521

V صفيـر السَّـفينة.....541

الصيف الأخير 543.

❖

هذا هو الجزء الثاني من "أشمل" مختارات شعرية بالعربية من أعمال يانيس ريتسوس، أحد أهم الأصوات الشعرية في القرن العشرين. مختارات تبدأ بـ"إبيتافيوس" (1936)، وصولاً إلى "في آخر الليل"، ديوانه الشعري الأخير، الذي صدر عقب وفاته (1990).

وبين البداية والنهاية، ترجمةٌ كاملة لعدد كبير من أهم أعماله الشعرية الرئيسية، التي فرضت حضور شعريته على المشهد الشعري العالمي والعربي. قارة شعرية فادحة، ذات تضاريس وأعماق وأبعاد متعددة، تؤسس لقصيدة مضادة لما هو ذهني، تأملي، تمتزج فيها الأسطورة بالتاريخ باليومي الراهن، كأنها تأريخ للروح الإنسانية في أرهف تجلياتها.

منشورات 2021

خطوط وظلال للنشر والتوزيع

الأردن، عمان، جبل الحسين، بناية (20)
ص.ب: 11190، عمّان 925220 الأردن
تلفون: 5746218 79 962+ - 4651846 6 962+
email: dar5ototo@gmail.com
دار خطوط للنشر والتوزيع

9 789923 400142